

من هم؟!

وماذا يريدون؟!

الإخوان المسلمون

دراسة نقدية مختصرة

تأليف الشيخ

أبي عبد الرحمن علي بن السيد أحمد الوصيفي

دار الفرقان


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الإخوان المسلمون

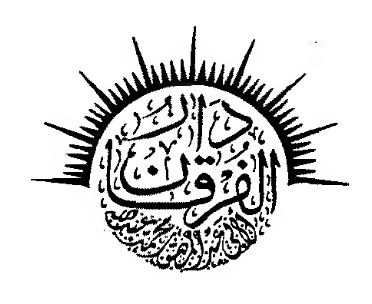
مَنْ هم؟! وماذا يريدون؟!

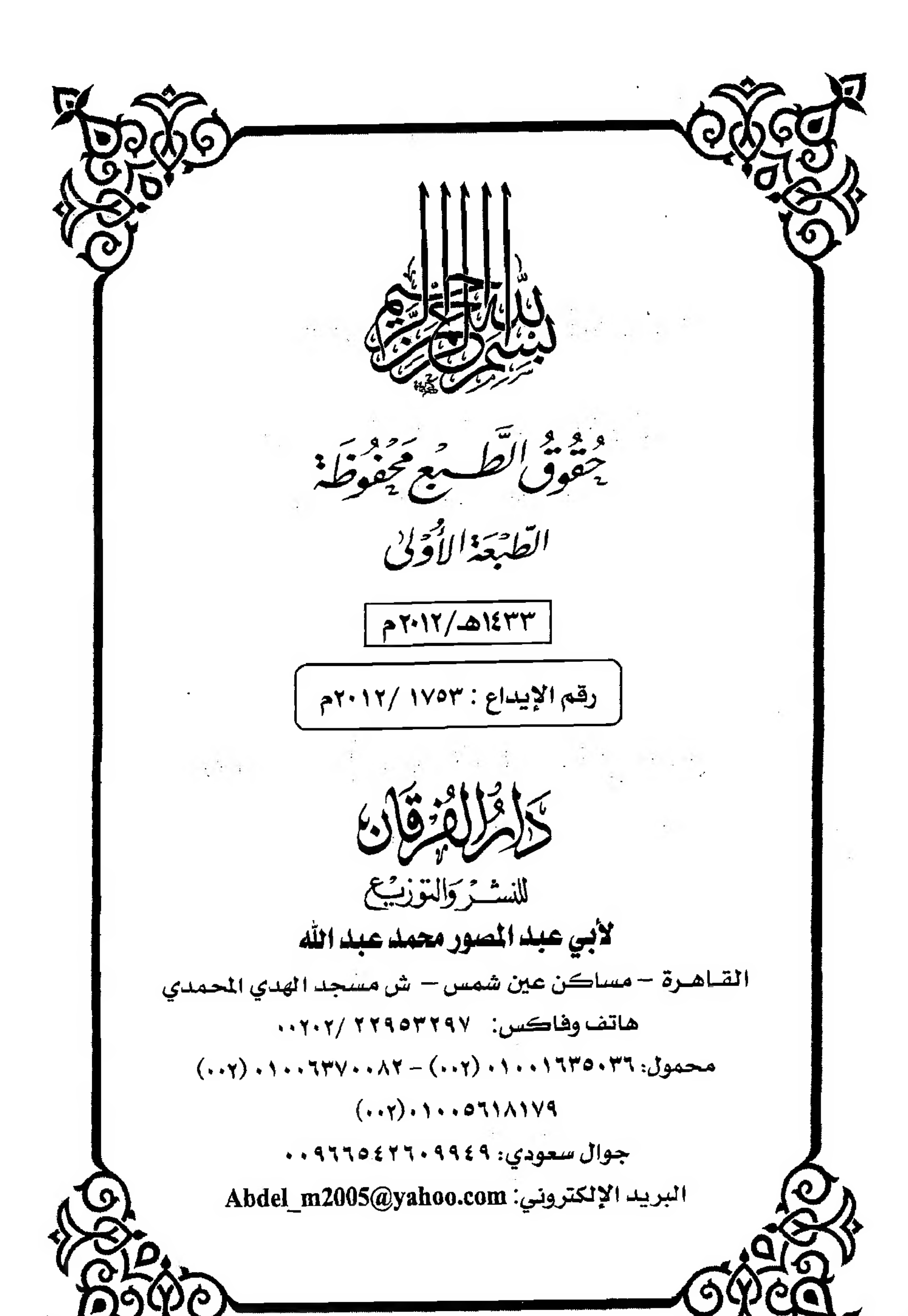
دراسة نقدية مختصرة

تأليف

علي بن السيد الوصيفي

حفظه الله





بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م

رقم الإيداع : ١٧٥٣ /٢٠١٢م

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

لأبي عبد المصور محمد عبد الله

القاهرة - مساكن عين شمس - ش مسجد الهدي المحمدي

هاتف وفاكس: ٢٢٩٥٣٢٩٧ /٠٠٢٠٢

محمول: ٠١٠٠١٦٣٥٠٣٦ (٠٠٢) - ٠١٠٠٦٣٧٠٠٨٢ (٠٠٢)

(٠٠٢)٠١٠٠٥٦١٨١٧٩

جوال سعودي: ٠٠٩٦٦٥٤٢٦٠٩٩٤٩

البريد الإلكتروني: Abdel_m2005@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، والصلاةُ على رسولِ الله ﷺ، وبعد: فلم تكن دعوة الإخوان المسلمين في يوم من الأيام دعوة علمية شرعية، تهتم بالعلوم الشرعية والسنن النبوية والآثار الإسلامية والحديثية، وتدعو إلى تطبيقها في الواقع والمجتمع.. ولم يكن لها دور في نشر العقيدة، فلم تدع إلى توحيد الألوهية ولا إلى توحيد الأسماء والصفات الربانية، ولم تعمل على تصفية الأمة من مظاهر الشرك، ولم يكن لها دور من قبل في نشر السنن النبوية، فلم ترفع شأن أئمة الحديث، ولم ترد على أهل البدع والأهواء.. بل إنها رفعت لواء العداوة تجاه أهل الحديث، وتقربت إلى أهل البدع والأهواء باختلاف صورهم، من أجل الوصول إلى سدة الحكم في البلاد العربية.

وقد باءت تجاربهم بالفشل، ولم يفلحوا إلا في الاغتيالات السياسية والانقلابات الثورية، ولم يكونوا في الصدارة، بل كانوا في المؤخرة يُلعب بهم، ثم يُلقمون حجرًا، ثم يساقون إلى المفاوز والفلوات، يبكون على ما مضى في غير طريق الإسلام والسنة.

ولم يكن للإخوان مبدأ ثابت في دعوتهم، فهم يتقلبون في العواطف الكاذبة والظروف الطارئة، التي تدفع كثيرًا من مفكريهم إلى صياغة مجموعة من النظريات؛ كي تتناسبَ مع الأحداث التي يمرون بها، ثم حين يفاجئون بالمصائب تترى عليهم يقومون بترقيع أعمالهم ونظرياتهم مرة أخرى؛ كي تصلَ إلى الحد الأدنى من القبول، فتنتقل الجماعة من مصيبة إلى مصيبة.. كما هو دأبها.. ولا شك أنَّ افتقارَ تلك الجماعة إلى العلماء، وعدم تمكينهم من تولي زمامها كان السبب الأول في وقوعهم في تلك المصائب.. فالعلماء يرون المصائبَ قبل أن تقع، أما العامة - وما أكثرهم في تلك الجماعة - فإنهم لا يرون المصائبَ إلا بعدَ وقوعها واشتدادِ

لهيبها.. ولو أنك صاحبت رجلًا من قدامى الإخوان لا تجد عنده علمًا ولا إفتاء.. وإنما تجد تاريخَ البنا وجهادَ البنا، وسجون الإخوان. ومحاكمات ١٩٥٤م، وتنظيم ١٩٦٥م. تلك هي القضايا التي يهتمون بها في المنتديات والصحف؛ استعطافًا لأكبر قدر من العامة.

أما المعاصرون فليلهم ونهارهم في التحالفات والأحزاب والأيدلوجيات والأقليات والأقباط وحقوق المرأة والتعددية الحزبية، يعبرون عن وجهة نظرهم بأفكارٍ متقلبة، بالإضافة إلى طمأنة الغرب وأمريكا وجميع الحركات الثورية عن دورهم عند وصولهم إلى الحكم.. فالناس منهم في سعة.

وقد اتفق المحققون من الدعاة والمفكرين أنَّ النماذج البشرية في دعوة الإخوان نماذج جامدة مستنسخة، لا تستطيع الخروجَ عن القالب الذي وُضِعَتْ فيه، وهذا هو الذي جعل دعوةَ الإخوان دعوة جماهيرية، تسخر من العلم، وتتحزب حول شخصية القائد. فهو يرى ما لا يرون، ويعلم ما لا يعلمون.

والقول بأن الإخوان ليس فيهم علماء - ليس بدعًا من القول، فقد قال به العلامةُ المحدث مقبل الوادعي منذ ما يزيد على ثلاثين سنة.. ولكنهم لم ينتبهوا لذلك، حتى فضحهم الدكتور المليجي في رسائله الخاصة.. قال الشيخ مقبل: «وأكبر برهان على انحطاط دعوة الإخوان المسلمين، وأنها أصبحت الآن ليست على شيء - نفور العلماء المبرزين منهم، فلا تكاد تجد في صفوف الإخوان المسلمين عالمًا، بل من التحق منهم من متخرجي الجامعات الإسلامية ميعوه حتى يصير في منزلة العوام» (المخرج من الفتنة. ص:١٠٠) ولم يكن حسن البنا من العلماء المجتهدين، بل كان رجلًا باحثًا بنفسه، وكان يتهرب من المسائل العلمية..

وقال ذات مرة ردًّا على سؤالٍ سائلٍ: «يا أخي، إني لست بعالم، ولكني رجل مدرس مدني أحفظ بعضَ الآيات وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب، وأتطوع بتدريسها للناس، فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أحرجتني» (مذكرات الدعوة - ص: ٨٥) وبغض النظر عن كونه كان يريد الهروب من الجدل من عدمه فالحقيقة تدل على أن نكران العلم كان منهجا عامًّا واستراتيجية ثابتة وضعها حسن البنا لجماعته، بحجة ترك الجدال، ورغبة في تجميع الأمة حول فكره، ومهما أنكر الإخوان ذلك فحقيقة الواقع تدل عليه، سواء في منهج حسن البنا أو في منهج تلامذته.

ولو كان عند حسن البنا قدرات تفصيلية لاستطاع أن يتخلص من تلك المعضلات التي كانت تواجهه بتصرف علمي مناسب، وكلمات معدودة، بدلًا من الهرب من أصل المشكلة وطرحها على الغير.. غير أنه حقًّا لم يكن عالمًا، ولم يكن يقرب إليه أحدًا من أهل العلم، كعادة الأكابر في هذا الفن، وإنما كان يقرب العامة من الناس حوله، كما أكد على ذلك محمد الغزالي في كتابه: (من معالم الحق ص: ٢٢٢. ط: ١٩٨٤م. دار الصحوة) بقوله: «فقد مرت بهذا الرجل العظيم - حسن البنا - ظروف جعلته يختار المعاونين الأوائل له على أساس الكفاية العادية أو الضعيفة إذا صحبها التفاني في الدعوة والإخلاص للقيادة، فهي أجدر بالحفاوة من الكفاية الخارقة إذا ضعفت علاقتها بشخص القائد» اهـ.

وقد أدرك حسن البنا فشل جماعته في الناحية العلمية، ولكن بعد عشرين سنة من نشأة الجماعة.. قال يوسف القرضاوي: «يبدو أن الإمام البنا - عليه رحمة الله - شعر بأنَّ الإخوان في حاجة إلى ثقافة إسلامية مُعَمَّقَة، تملأ الفراغ الثقافي لدى

الإخوان الذين اكتفى كثير منهم بما قرأه في رسائل الأستاذ، وفي الصحيفة اليومية. إلخ، وقال: «ومن قرأ العدد الذي أصدرته جريدة (الإخوان المسلمون).. ولاحظ قائمة الإنتاج الثقافي والعلمي لدى الجماعة وجدها متواضعة جدًّا» (سيرة ومسيرة. ١/ ٢٩٨)، غير أن محمد عاكف زعم أنَّ حسن البنا كان يهتم بالجانب الثقافي، وكان يقدمه على صحة الدين والعقيدة! فقال: «يقول البنا: نريد أن يكون قوي الجسم متين الخلق مثقف الفكر.. قبل أن يكونَ صحيح العقيدة سليم العبادة!» (نافذة مصر نت ٣٠/ ٣/ ١٤٢٧هـ) أما الأستاذ سيد قطب فقد وقف في صف القرضاوي، وذهب إلى القول بضعف قادة الجماعة ومفكريها في الجانب المعرفي الثقافي (انظر آفاق عربية. ٢٩ يوليو ٢٠٠٤م)، وأكد عبدُ العزيز كامل أنَّ سيد قطب: «رأى في بعضهم ضحالة في الفكر واضطرابًا ولينًا في الدين» (مذكرات عبد العزيز كامل ص: ٢٨)، وقد بين عبدُ العزيز كامل أن الإخوان كانوا يسخرون من العلم، ولا يهتمون به كما تبين ذلك في مذكراته. (ص: ٦٩).

وفي آخر حياته.. وبعد أن رأى الفشل الذريع في التربية التي سلكها مع أتباعه، عبر الشيخ حسن البنا للدكتور عبد العزيز كامل عن وجهة نظره قبالة الدروس العامة، التي كان يلقيها في عامة الشعب الإخوانية في ذلك الوقت بأنها «شغل دكاكيني لا قيمة له» (انظر المذكرات الشخصية، ص: ٥٩).

ومن جانبه لم يترك القرضاوي سيد قطب بمفرده يطعن في قادة الجماعة، حتى طعن فيه، وذلك في مقال بعنوان «ملاحظات وتعقيبات» قائلًا: «أحسب أن سيد قطب.. لو أتيح له العيش في كتبه ومراجعه زمنًا، لغير رأيه ومرئياته، ولكن تخصصه ولون ثقافته لم يتح له هذه الفرصة، خاصة أن مراجع الفقه بطريقتها

وأسلوبها لا تلائم طبيعته الفكرية؛ إذ كان أديبًا و شاعرًا، ولم يكن فقيهًا على أي حال» (الشعب المصرية – تاريخ (١٨) نوفمبر ١٩٨٦م).

أما المكانة العلمية في أسر الإخوان المعاصرة.. فقد أكد الدكتور المليجي أن قيادات الإخوان وأسرهم لا يعرفون علمًا ولا دعوة. فقال: «وجماعتنا اليوم تقاد بالصرافين، وليس بالعلماء الواعظين، وبيني وبين من يدعي غير ذلك الإحصاء والتحليل لكافة طبقات القيادات الإخوانية العليا والوسيطة والطرفية، ولننظر كم تكون نسبة علماء الدين في قيادة جماعة قامت على أساس الدعوة الدينية» (جريدة الكرامة - ١/ ٥/ ٢٠٠٧م)، وهذا كله من غرس حسن البنا فقد كان يمنع تلامذته من النظر في التفاسير والاطلاع على أقوال الأئمة الربانيين، اكتفاء ببعض المعاني اللغوية وبعض مشاهد السيرة النبوية. قال محمود عبد الحليم: «سألته مرة – حسن البنا – أي التفاسير تنصحني أن أقرأ؟ فقال لى: إن كنت تريد نصيحتي فلا داعي لقراءة تفاسير. إنَّ القرآنَ واضحٌ. حسبك أن تعرفَ معاني الكلمات الغريبة عليك، وقليلة هى، ثم اقرأ وتدبر معانيه، وافتح له قلبك، وأنت تعرف سيرة النبي ﷺ إذا فعلت فإنك سيتضح لك من معانيه ما لا تظفر به من كتب التفسير» (أحداث التاريخ – ١/ ٢٠٨).

وهذا دليل واضح على أن حسن البنا لم تكن عنده مدرسة تفسيرية، وقد ترك أتباعه يجتهدون بأنفسهم، مع كونهم يفتقرون إلى ملكات الدراسة وأصول العلم.. وفي مجال الفقه سعى سيد قطب في العمل على تجهيلِ الأمة وصرفها عنه. فقال: «أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملًا للإسلامِ في هذه الفترة فأحسب – والله أعلم – أنه مضيعة للعمر، وللأجر أيضًا» (الظلال ٤/ ٢٠١٢)، وقد تأكدت

تلك الحقيقة بطعنهم البالغ في صحابة رسول الله ﷺ من الناحية العلمية، حتى قال محمود عبد الحليم: «وما كان الصحابة (رضوان الله عليهم) مع علوِّ قدرهم - يعرفون من الأحكامِ الفرعية من الدين عُشْرَ ما يعرفه الآن طلابُ المراحل الأولى من الدراسة الأزهرية، ولكن حياتهم مع ذلك كانت ممارسة عملية لما تعلموه من المعلومات الأساسية القليلة من أحكام الدين، فكانوا يتحركون للدين، ويسكنون للدين» (أحداث صنعت التاريخ. ٢/ ٩).

تلك هي الحقيقة.. ليست جماعة علمية.. فما هي.. وماذا تريد؟ والجواب: هي دعوة جماهيرية تلعبُ بالعواطف والمشاعر باسم الإسلام والدين، من أجل الوصول إلى سدة الحكم... هي تنظيم سري أحكمت أركانه بتعاليم الحركاتِ الشيوعية والماسونية والأحزاب الدنيوية... هي فريق اغتيالات سياسية بارع في القضاء على الخصومِ واستحلال الدماء.. هي مخطط ساذج يستغله الغرب الصليبي واللوبي اليهودي من أجل إثارة المجتمعات الإسلامية وهز استقرارها والقضاء عليها.. هي كتيبة ضالعة في إعداد الإشاعات والأكاذيب والتجسس على الأفراد، لمعرفة الاتجاهات ووزن الخيارات.. هي دعوة قائمة على التقليد الأعمى والطاعة المقدسة للمرشد العام.. هي دعوة للإقصاء والاستبداد. هي طريقة للف والدوران والتقية. هي خطاب يتماشى مع التكفير تارة ومع الديمقراطية الغربية تارة أخرى، هي تنظيم فاشل لم ينجح في تاريخه قط، ولم تثبت له تجربة، ولم يتحقق له أمل إلا في السراب، هي جهاد مع أعداء الإسلام في أفغانستان وفي العراق وفي كل مكان. هي دعوة لازدراء العلم والعلماء ورميهم بشتى التهم والأكاذيب.

هي طريقة للغلو في المنتسبين إليهم، ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله

إياها، إذا أحبوا أحدًا رفعوه إلى السماء السابعة، وإذا كرهوا أحدًا جعلوه في الأرض السفلى.. هي فكرة قائمة على استغلالِ النساءِ والأطفالِ وشباب الجامعة الذين لا يدركون المقاصدَ الخفية والأفكار السرية، هي تجربة لا تعرف الحقيقة إلا بعد وقوع المصيبة، ولا ترى النورَ إلا بعد أن تسبحَ في بحور من الظلمات، هي تهديد مستمر لكل مسلم ولكل حارة ولكل ميدان ولكل محافظة ولكل دولة ولكل قارة، ما يثبتونه في موضع ينكرونه في غيره، دعوتهم من أكثر الدعوات تناقضًا مع فكرها الذي تنشده، فهي تحرم ما يبيحه فكرها، وتحارب ما ينشده فكرها، والناس في أمرهم حيارى، في باب الصفات الربانية معطلة ومؤولة ومفوضة، وفي توحيد العبادة لا يشغلهم الدعوة إليه ولا رد ما يناقضه من الشرك، وفي السنن أهل أهواء ورخص وزلات، كل ذلك من أجل تجميع الصفوف للوصول إلى سُدَّة الحكم.

لقد أقمت الأدلة على كل ما قدمت في هذا المختصر من كتابي الجامع «الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي»، وسطرت الشواهد من خلال منهج الإخوان ومن خلال كتبهم، وجعلته في هذا المختصر الذي أسميته: «من هم؟ وماذا يريدون؟»؛ ليحذر المسلمون تلك الطائفة، وليعلموا أنها ليست سبيلًا للرشد ولا طريقًا للهداية، ففاقد الشيء لا يعطيه. نسأل الله أن يجنب الأمة شرورهم، وهي أخطر من شرور الكفار المحاربين؛ لأنها فساد من الداخل، أما فساد الكفار فيبدأ من الخارج، وقد ينفذ، وقد لا ينفذ.. والحفاظ على الأمة حفاظ على رأس المال، أما الانتصار على الكفار فهو الربح الزائد، وشبهات أهل البدع تدخل على القلب مباشرة فتضيع رأس المال، وتذهب الأرباح، فلا يجب

السكوت عليهم، قال أحدهم للإمام أحمد: «إنه يثقل على أن أقول: فلان كذا وفلان كذا. فقال: إذا سكت أنت، وسكت أنا فمتى يعرف الجاهلُ الصحيحَ من السقيم» (الكفاية في علم الرواية للبغدادي - ص: ٤٦)، هذا وما كان من خير فمن الله، وما كان من خلل فمني ومن الشيطان، والله منه براء (فاللهم اجعلنا من أوليائك ونصراء دينك)، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

علي بن السيد الوصيفي

E_ mail: ali_elwasefy@hotmail.com



نشأة حسن البنا

لم تكن نشأة حسن البنا نشأة سوية على منهاج أهل الحديث، فقد نشأ في أول أمره مع الصوفية، فقد كان أبوه حصافيًّا شاذليًّا - وله مؤلف في أوراد الطريقة الزروقية باسم «تنوير الأفئدة الزكية في أوراد الطريقة الزروقية» طبع عام ١٩٣٣م بحارة الروم بالغورية بمصر - والتقى بالشيعة، وتشبع بأفكار الأفغاني، وهو على العموم لم ينتصر بأحد منهم: فالصوفية هتفوا له في السلام، وتخلوا عنه في زمن المحنة، ومظاهرات نواب صفوي كانت السبب في حل جماعته في زمن الثورة، وحركة الأفغاني أسلمته للساسة والحكام، ولم تضع له سبيلًا لفض النزاع معهم. ففي الصوفية تلقى حسن البنا الفكر الصوفي على يد عبد الوهاب الحصافى.. وقد أثرت النظرة الصوفية في تكوين الجانب الروحي الداعي إلى العزلة والنظر إلى النفس والاحتجاب عن الأغيار، ورؤية المشاهد والمكاشفات والاهتمام بالذوق والتجربة على حساب العلم والدراسة، وقد كان لهذا التصور الجانب الأكبر في السيطرة على أتباعه، حتى كانوا بين يديه كالموتى بين يدي المغسلين، ومن هنا نشأ الجانب التنظيمي الذي يتعلق بالإمام تعلق الباطنية، طاعة تامة واستجابة فورية، والنظرة الصوفية تدغم جانب التقية كما يدعمها الاتجاه الشيعي؛ ذلك لأنها تعتمد على الجانب الإشاري في تفسير الدين والحياة، والجانب الإشاري لا يخضع لقواعد علمية شرعية، وهذا سر تصادمها مع الواقع الإسلامي؛ ومن أجل ذلك دعا ابن عربي أتباعه إلى إخفاء كل ما يتعلق بعلمِ الحقيقة والأسرار عن دارسي علمِ الشريعة والرسوم، وقد أثبت حسن البنا مصاحبته للحصافية الصوفية (انظر

مذكرات الدعوة - ص: ٢٧)، وصحب الختمية الميرغنية، واحتفل بهم، وزكاهم عام ١٩٤٨م، مع ما هو معروف عن تلك الطائفة من الوقوع في الشرك، فضلًا عن قولهم بوحدة الوجود الأمر الذي يدفع أي موحد يعرفُ دينَ الأنبياء والمرسلين أن يحذرَ منهم، ولكنه زكى قلوبهم، وجعلهم أعلام العرب والجهاد، وأكد أنهم شاركوا في تأسيس دعوته. فقال:

«إن دار الإخوان لتسعد وتأنس؛ إذ تستقبل هذه القلوب الطاهرة والنفوس الكريمة أعلام الجهاد وأبطال العروبة. ثم قال مبررًا هذه الحفاوة: ولكنه دين قديم منذ نشأت هذه الدعوة بالإسماعيلية، فقد كان أول أنصارها والمجاهدون لتركيزها الإخوان الختمية الميرغنية» (في قافلة الإخوان - ص: ٢٠٢).

وتعبد بأوراد مشايخ الطرق باختلاف صورهم، ونقلها في كتابه «المناجاة»، وأكثر من ذلك فقد نقل من كتاب «نهج البلاغة» المنسوب لعلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والذي ألفه الشريف الرضى الرافضي دعاء الطريقة التيجانية، وعلمه أصحابه، ودعاهم أن يرددوه بنفس الهيئة السابقة، وفيه: «اللهم داحي المدحوات، اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق» (المناجاة ص: ٤٤. دار الطباعة والنشر ١٩٩٢م. رقم الإيداع (٣٢٦٧) وقال شعرًا يوهم القول بوحدة الوجود، على طريقة ابن عربي والحلاج، جاء فيه:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادًا بلوغ كمالِ

فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والإجمالِ

(حسن البنا بأقلام تلامذته. ص٧٠- ٧١).

وفي التشيع رافق حسن البنا كثيرًا من أئمة الشيعة ودعا إلى التقريب معهم... فقد كان نواب صفوي من جملة رفقائه، وكانت دعوته قائمة على التهييج والإثارة. وكان يدفع طلبة الجامعة إلى التظاهر على الأوضاع السياسية، وقد أكد نواب صفوي أن الإخوان والشيعة شيء واحد، وقال: «من أراد أن يكون جعفريًّا حقيقيًّا فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين» (الموقف من الشيعة ص: ١٥).

وقد ولد حسن البنا في أجواء دعوة الأفغانى، وتأثر به، قال محمود عبد الحليم: «دعوة الإخوان استوعبت الدعوتين «دعوة جمال الدين الأفغاني ودعوة السنوسية»» (أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٦٠٦)، وقد كان الأفغاني أحد عتاة الروافض البابية، وكان يرى النبوة مكتسبة، وكان يدعو إلى دمج الأديان.

وقد حكم عليه معاصروه بالإلحاد، قال أحمد أمين في كتابه: (زعماء الإصلاح - ص: ١١٠): «فاتهموه بالإلحاد لهذا، وشنعوا عليه بأنه يقول بأن النبوة صناعة، وشغبوا عليه حتى نصح له بالخروج من الأستانة، فلما جاء إلى مصر اتهمه العلماء.. بالإلحاد» اهـ وقد كان الأفغاني - كما حكى المؤرخون - متلونًا مع كل مذهب ومع كل معتقد ومع كل جنس، يلبس ثياب الشيعة إذا عاش معهم، والعرب إذا جاورهم، له ألقاب متعددة؛ فهو أفغاني وحسيني وطوسي وأسدابادى، له أفكار مختلطة، وله خطط واسعة، ولا يخفى انتماؤه للمحفل الماسوني الفرنسي واختياره رئيسًا عامًّا له في مصر عام ١٨٧٨م.

ومع ذلك فقد كان حسن البنا يراه مجددًا، لو سارت خطته في طريقها لوصلت إلى بغيتها، والبصير بفكر الإخوان لن يعيا في الوصول إلى معرفة العلاقة التي جمعت بين البنا والأفغاني، فهما يشتركان في تهييج العامة على ولاة الأمور،

لتحقيق مكاسب سياسية، قال الذوادي في كتابه (رواد الإصلاح. ص ٩٩): «ويكفي الأفغاني فخرًا وشرفًا أنه كان ملهم الثورات، خطب مرة في الإسكندرية قبل خلع الخديوي إسماعيل عام ١٨٧٩م، فقال: «أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتنبت ما تسد به الرمق، وتقيم أود العيال، فلِم لا تشق قلب ظالمك؟ لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك؟» أهـ.

وقد صادف ذلك هوى في نفس حسن البنا، فبدأ ينقل دعوته من إطار النظام التربوي الدعوى إلى النظام الحركي، وبدأ يظهر على الساحة السياسية، وبدأ يهتم بالانتخابات النيابية، ومخاطبة الملك والوزراء مخاطبة مباشرة... وبعد أن كان لا يحضر دروس الثلاثاء إلا قلة قلية لا تزيد على عدد أصابع اليد تضاعف المتسبون إليه، وبدأ يفتخر بالأعداد الهائلة التي انضمت إليه، وبدأ يهدد الدولة بها.

وقد تأثر بحركة الأفغاني الثورية حركات كثيرة في مصر والعالم العربي، وكتاب كثيرون وأئمة، وكان من آثار تلك الحركات زعزعة الاستقرار وتهييج المجتمع المصري، حتى دخلَ الإنجليز مصر عام ١٨٨١م، ولم يستطع أحمد عرابي أن يردهم، واستمر الإنجليز في مصر إلى أن خرجوا منها على يد الرئيس عبد الناصر في أكتوبر ١٩٥٤م.

❊ ❊ ❊

نشأة جماعة الإخوان المسلمين

أنشأ حسن البنا جماعة الإخوان عام ١٩٢٨م، وذلك بعد تخرجه من مدرسة المعلمين بعام واحد، حيث كان يجتمع بعامة الناس في المقاهى، ويتكلم معهم

بأسلوب عامى، يثير الحماس ويلهب المشاعر، حتى قصده ذات يوم ستة من العمال المهنيين ما بين سباك ونجار، لم يكن فيهم عالم ولا مفكر ولا داع، وطلبوا منه إنشاء جماعة تعمل من أجل الدين، ويكون هو زعيمها وقائدها، هؤلاء الستة هم: إسماعيل عزو وفؤاد إبراهيم وحافظ عبد الحميد وعبد الرحمن حسب الله وزكي المغربي وأحمد الحصرى، فطلب منهم البيعة وكمال الطاعة، كما أشار في (رسالة التعاليم - ص: ٣٩٧) بقوله: «ولا يكفل النجاح في هذه المرحلة إلا كمال الطاعة كذلك، وعلى ذلك بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ» اهـ.

واستمر من عام ١٩٢٨م إلى عام ١٩٣٥م يستخدم لغة الدعوة والدين، و لم يكن يقبل على دروس الثلاثاء في هذا الوقت إلا قلة قليلة، لا تجاوز عدد أصابع اليدين. (انظر أحداث التاريخ. ١/ ٣٨٤).

وفي عام ١٩٣٥م دخل في طور العمل التنفيذي السري، فأسس مليشيات عسكرية في الجيش والشرطة، كما أسس جهازا سريًا خاصًا يخضع لأوامره، بقصد حماية دعوته، وأسس تنظيم الجوالة، ليخفي وراءه عمل تلك التنظيمات، وأنشأ جهاز استخبارات للتجسس على الناس، وأردفه بجهاز متخصص في نشر الإشاعات، لقياس نبض المجتمع تجاه الأحداث، ويحكم تلك الأجهزة السرية باختلاف صورها الإيمان المقدس بالطاعة المطلقة لفضيلة المرشد.

وقد اقتبس حسن البنا فكرة تشكيل التنظيمات السرية من الخلايا الشيوعية، وعندما اشتد عود الجماعة دعا رؤساء الأحزاب والهيئات إلى الانضمام إليه، وبشرهم إن هم سبقوا إليه بالرياسة والريادة، وإن تأخروا بضعف المكانة والذل

والمهانة (انظر رسالة المؤتمر الخامس - ص: ١٧٨) ويبدأ يجابه الدولة ومؤسساتها، ويهدد باستخدام القوة إن لم تنفع لغة الوعظ (الرسائل - ص: ١٨٩).

ووعد أتباعه في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان «متى تكون خطواتنا تنفيذية؟» إن هم بلغوا ثلاثمائة كتيبة مجهزة بالعلم والثقافة والإيمان أن يقاتل بهم كل جبار عنيد، واستمر في الرسائل يغرر أتباعه بدعوته، حتى جعل من تخلف عن جماعته مخدر الإيمان، بخلاف من ينضم إليه ويصير معه، فهو مؤمن كامل الإيمان.

وفي عام ١٩٤٢م رشح نفسه في الانتخابات البرلمانية، فطلب منه النحاس باشا التنازل عن الترشيح؛ وذلك لأن البلد كانت في حالة حرب، فتنازل عن الترشيح مقابل الحصول على تسهيلات دعوية استفاد منها حتى عام ١٩٤٨م.

وفي عام ١٩٤٤م رشح نفسه مرة أخرى، فطلب منه أحمد ماهر التنازل عن الترشيح؛ لأن البلد كانت مقبلة على حالة حرب - وقد كان أحمد ماهر متحالفًا مع الإنجليز ضد الألمان وقوات المحور، ولم يرض منه الإخوان ذلك - فرفض التنازل، وسقط في الانتخابات التي كان يتوافد عليها الإخوان من جميع البلاد كما يفعلون اليوم! فقرر الإخوان بعدها قتل أحمد ماهر، وأعدوا لذلك خطة محكمة، غير أنهم استطاعوا الهرب من تحمل تبعات تلك الجريمة، حيث اتهم فيها شاب من شباب الحزب الوطني اسمه «محمود العيسوي»، وكان منتسبًا إلى الإخوان.

وفي عام ١٩٤٥م قام الإخوان بمظاهرة كبرى بمناسبة وعد بلفور، كان الغرض منها - كما بين محمود عبد الحليم - هز مكانة الحكومة، وإظهار قوة الدعوة.

وفي عام ١٩٤٦م ألقى الإخوان قنابل في جميع أقسام القاهرة، وبعد عشرين سنة من دعوته وتحديدًا في عام ١٩٤٧م شعر بضآلة المفاهيم العلمية في الجماعة،

فبادر بإصدار بعض المجلات العلمية؛ كي تعالج هذا الضعف، وفي عام ١٩٤٨م وقعت أحداث وجرائم صدر بسببها الأمر الرئاسي رقم (٦٣) لعام ١٩٤٨م من دولة النقراشي باشا بحل جماعة الإخوان ومصادرة ممتلكاتها وغلق شعبها في جميع أنحاء القطر المصري، وأطلق عليها منذ ذلك الوقت لقب «الجماعة المنحلة».

وعلى أثر ذلك قام التنظيم الخاص لجماعة الإخوان بتكفير الحكومة والدولة واستحلال دم النقراشي باشا والاتفاق على قتله وقتل موظفي الحكومة.

وعندما اشتدت الفتن على الجماعة عرض حسن البنا على حكومة الملك التنازل عن العمل السياسي للحزب الوطني والعودة إلى العمل الدعوي أو فتح الباب له ليهاجر إلى الجبال والصحاري، بعيدًا عن الناس فلم يسمح له بذلك، وفر جميع أصحابه ورفقائه من حوله، وانفضت تنظيماته، وتركوه وحيدًا يلقى الموت، وفي ١٩/ ٢/ ١٩٤٩م أطلق على حسن البنا عدة رصاصات أمام دار الشبان المسلمين بالقاهرة مات على أثرها في المستشفى، واستمرت جماعة الإخوان بعد وفاة حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث سنين بدون مرشد عام، وقع فيها عدة جرائم، قام بها التنظيم الخاص لجماعة الإخوان على طريقة ابن لادن وتنظيم القاعدة.

❁ ❁ ❁

أحكام علماء الدين في جماعة الإخوان المسلمين

لم يستطع العلامة العثيمين أن يحدد ماهية عقيدة الإخوان، قائلًا: «والله ما نعرف عن الإخوان المسلمين ما هي عقيدتهم» (الفتاوى المهمة - ص: ١٧٤).

وقد شهد جمع من الأئمة أن الإخوان ليسوا من أهل السنة، وقد قال عنهم

شيخنا العلامة محمد حامد الفقى: «الإخوان خِوان الفرق»، وقد أخبرني بذلك شيخنا العلامة محمد عبد الوهاب مرزوق (حفظه الله)، حيث قال: «إن الشيخ محمد حامد الفقي أسماهم: «خوان الفرق» - بكسر الخاء وتشديد الواو - والشيخ مقبل بن هادي الوادعي أسماهم: «الإخوان المفلسون» فهم: «الخَوان المفلسون» اهـ.

وأخبرني شيخنا الأستاذ عبد العزيز عاشور (حفظه الله) عن والده أن الشيخ محمد حامد الفقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ التقى بالشيخ حسن البنا مع جمع من أئمة المعطلة، فقال له: «أنت حاطب ليل» وقال لأئمة المعطلة «لا تقولوا إنكم تعبدون الله. فمعبودكم لا صفات له، والله له أسماء وصفات ثابتة في الكتاب والسنة»، وحاطب الليل هو الذي يجمع من حشائش الأرض بالليل وقد تلدغه الحية، أو هو الذي يجمع الغث مع الثمين، وما يضره بجوار ما ينفعه.

❋ ❋ ❋

أحكام مشايخ الأزهر وعلمائه في جماعة الإخوان

في عام ١٩٥٤م أعلن مشايخ الأزهر أن جماعة الإخوان تستخدم الدين لكسب ثقة الناس، وأنها انحرفت عن منهج القرآن والسنة، قال عباس السيسي في كتابه (في قافلة الإخوان - ص: ٥٦٣): «أعلنت جماعة كبار العلماء بالأزهر رأى الإسلام في عصابة الإخوان، فاستنكرت في بيان أصدرته أمس ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م انحراف هذه العصابة عن منهج القرآن في الدعوة، وجاء في البيان: «فهذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف نتجه به إلى الشعب المصري الكريم وإلى سائر المسلمين»، وتحت عنوان: «التستر بالدين»: «وقد ابتلي المسلمون

في عصورهم المختلفة بمن أخذوا بتلك المبادئ على غير وجهها الصحيح، أو لعبت بقلوبهم الأهواء، فجعلوا منها باسم الدين وسائل يجذبون بها ثقة الناس فيهم، ويتسترون بها للوصول إلى غاياتهم ومطامعهم، والتاريخ الإسلامي حافل بأنباء تلك الطوائف التي انبعثت من خلاله، ثم كانت حربًا عليه أشد من حرب أعدائه... إلخ» اهـ.

❋ ❋ ❋

أحكام أئمة السلف وعلماء الحديث

وقبل الشروع في بيان ما انتهى إليه الأئمةُ من الحكمِ على جماعة الإخوان، ينبغي أن يعلم أن من أثنى من الأئمة عليهم في زمن من الأزمان إنما كان قبل أن يستبين حالهم، وتتضح صورتهم، أما حين ظهرت مناهجهم، وانكشفت أفكارهم، فإنهم لم يختلفوا في الحكم على أنهم من أهل البدع. قال الشيخ مقبل الوادعي: «موقف أهل السنة والجماعة من الإخوان المسلمين أنهم يحكمون على منهجهم بأنه منهج مبتدع، وعلى أفرادهم بأنه من كان يعلم بالمنهج، ويلتزم به فإنه مبتدع، ومن كان لا يعلم المنهج، وهو يظن أنه ينصر الإسلامَ والمسلمين فيعتبر مخطئًا» (تحفة المجيب - ص: ٢٠٣)، وقال بشأن حسن البنا: «حسن البنا ما كنت ملمًّا بأحواله، وبعد قراءة ما كتب في بيان أحواله؛ فإذا الرجل مبتدع زائغ» (المخرج من الفتنة - ص: ٩٩) وقال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز: إنهم من الاثنتين وسبعين فرقة، وذلك حين سئل عن حديث النبي ﷺ: «.. **وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قلنا: من هم يا رسولَ**

الله؟ قال: **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».. السائل: هل هاتان الفرقتان - يعني التبليغ والإخوان - من الاثنتين وسبعين فرقة، فأجاب سماحته: من الاثنتين وسبعين فرقة.. والخوارج من الثنتين وسبعين فرقة [أسئلة الطائف تسجيل سنة ١٤١٩هـ]، وعلى الرغم من شفاعة العلامة ابن باز في سيد قطب عند عبد الناصر حين حكمت عليه محكمة الشعب بالإعدام، بسبب تنظيم ١٩٦٥م إلا أنه لما تبين له حاله قال عنه: «مسكين ضايع في التفسير، ينبغي أن يؤدب».

وهذه بعض أقوال أئمة السلف وأهل الحديث، التي تؤكد حقيقة تصنيف حركة الإخوان المسلمين من جملة الفرق المبتدعة.

١- **المحدث الشيخ محمود شاكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الدكتور عبد العزيز كامل: «وناقشوه في أمر الإخوان، فوجد في أكثرهم ضحالة فوجىء بها، وتعصبًا لا يستند إلى دليل، وسرعة إلى النتائج دون تثبت، ورأوا فيه عدم احترامه لقيادتهم واستخفافًا بجهودهم وتخطئة لمنهجهم، ورأى فيهم صورًا من التعصب الضيق والإسراع بالحكم على الناس ولو بالكفر واستباحة الدم، وفي يوم اشتد غضبه، وقالها في عنف فاتر: الذي يريد أن يتعلم مني أو يتناقش معي فليترك ما في رأسه مع حذائه الذي يخلعه عند بيتى» اهـ.

٢- **قال العلامة المحدث الإمام محمد ناصر الدين الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس صوابًا أن يقال: إنَّ الإخوانَ المسلمين هم من أهل السنة؛ لأنهم يحاربون السنة» (تسجيلات منهاج السنة بالرياض).

٣- **قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد (حفظه الله)**: «وأما أبرز أهداف هذه الفرقة فهو الوصول إلى سُدة الحكم في البلاد الإسلامية؛ لذلك يبذل قادتها

الغالي والنفيس في سبيل هذا الهدف، ولو وصل الأمر إلى الانحراف عن الصراط المستقيم عقيدة ومنهجًا». (الفوائد لأبي عبد الله الأثري).

٤- **قال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (حفظه الله)**: «أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها» (تسجيلات منهاج السنة بالرياض).

٥- **قال شيخنا الدكتور سعد عبد الرحمن ندا (حفظه الله)**: «إن دعوة الإخوان باءت بالفشل، لأن الأساس الذي بنيت عليه دعوتهم كان هشًّا، فلما ساروا عليه لم يتحمل البناء، بل انهار شيئًا فشيئًا، حتى ذرته الرياح، وكأن شيئًا ما كان» اهـ.

٦- **قال شيخنا حسن عبد الوهاب مرزوق (حفظه الله)**: «كنت أعرض عليهم منهاج دعوة أهل السنة والجماعة، كانوا يعارضونه محتجين بأن المرشد العام للجماعة يحذرهم من هذا العرض...» اهـ.

٧- **قال فضيلة الشيخ المحدث مجدي بن عرفات (حفظه الله)**: «فإن حركة الإخوان المسلمين (سماهم شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإخوان المفلسون) وأنا أقول: «الإخوان المفسدون» حقًّا يستحقون هذا الوصف، أفسدوا العقيدة بتمييعهم مسائلها، أفسدوا السنن ببدعهم الكثيرة في الدين» اهـ.

❁ ❁ ❁

قول سمو الأمير نايف بن عبد العزيز

قال الأمير نايف بن عبد العزيز: «مشكلاتنا كلها جاءت من الإخوان

المسلمين، لقد تحملنا الكثير منهم، ولسنا وحدنا الذين تحملنا منهم الكثير، إنهم سبب المشاكل في عالمنا العربي وربما في عالمنا الإسلامي، حزب الإخوان المسلمين دمر العالم العربي.!» (السياسة الكويتية في ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٢م).

قال الأستاذ معروف البخيت «رئيس الوزراء الأردني»: «بدايات العقد الحالي شهدت تحولات مختلفة دفعت باتجاه بروز خطاب إخواني جديد اتسم بالاضطراب والمراوحة بين التكفير والهجرة تارة، والتساوق مع عناصر مشروع الإصلاح الأمريكي الموجه للمنطقة تارة أخرى» (دار الخليج.. ١٤ - ٥ - ٢٠٠٧).

❋ ❋ ❋

الإخوان يطعنون في جماعتهم

لم يتفرد أئمة السلف أهل الحديث بتجريح فرقة الإخوان، وعدها على غير السبيل، بل شاركهم في ذلك أساتذة متخصصون، من أقطار متفرقة، بل من فئات كثيرة من المجتمع باختلاف ثقافاتهم، بل من أفراد كانوا منهم.

١ - سيد قطب:

اتهم سيد قطب أعلام الإخوان المسلمين بأمرين - والكلام للشيخ يوسف القرضاوي -: الأول: السذاجة والبله، ونحو ذلك مما يتصل بالقصور في الجانب العقلي والمعرفي، والثاني: الوهن والضعف النفسي والهزيمة النفسية أمام ضغط الواقع الغربي المعاصر وتأثير الاستشراق الماكر مما يتعلق بالجانب النفسي والخلقي، والذين يتهمهم بذلك هم أعلام الأمة في العلم والفقه والدعوة والفكر، وذكر مجموعة أسماء من المشاهير، منهم: «محمد عبده.. مرورًا بالشيخ محمد

رشيد رضا. إلخ وعد من الإخوان «محمد البهي وحسن البنا ومصطفى السباعي ومصطفى الزرقا ومحمد المبارك وعلي الطنطاوي ومعروف الدواليبي والبهي الخولي ومحمد الغزالي وسيد سابق وغيرهم..» (آفاق عربية. ٢٩ يوليو ٢٠٠٤م).

قال الدكتور عبد العزيز كامل «عضو مكتب الإرشاد السابق»: «لا شك في أن سيد قطب صدم في كثير مما رأى، وفي بعض من رأى وبخاصة في المستويات الإدارية العليا للإخوان، ورأى الرجل في بعضهم ضحالة في الفكر واضطرابًا ولينًا في الدين. كان صدمة له» (المذكرات الشخصية ص: ٨٢).

٢- **قال محمد الغزالي**: «ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه، ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخترق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته» (من معالم الحق - ص: ٢٢٤).

وقال: «إن قيادةَ الإخوان الآن حريصةٌ على الأوضاع الغامضة والقرارات المريبة الجائرة، وهي مسئولة أمامَ الله ثم أمام الناس عن مشاعر الحيرة والبلبلة التي تغمر قلوب الإخوان في كل مكان، ثم هي مسئولة من قبل ومن بعد عن الخسائر التي أَصَابت الحركةَ الإسلامية في هذا العصر، وعن التهمِ الشنيعة التي توجه للإسلامِ منْ خصومه المتربصين، فقد صورته نزوات فرد متحكم، كما صورت هيئة الإخوان المسلمين وكأنها حزب من الأحزاب المنحلة تسودها الدسائس، وتسيرها الأهواء» (المصدر السابق - ص: ٢٢٠).

٣- **قال المستشار الهضيبي**: «إنه لا يستطيع أن يتسلمَ قيادةَ دعوة أقرب معاونيه متفرقو القلوب والأهواء» (أحداث التاريخ. ٢ / ٤٧٠).

٤- قال القرضاوي: «الإخوان إذا أحبوا شخصًا رفعوه إلى السماء السابعة، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى» (سيرة ومسيرة. ٢/ ٧٨).

٥- قال أحمد رائف: «كان الإدراك السياسي العام ضعيفًا، مع انعدامِ القدرةِ على تكوين الكوادر السياسية» (الصفحات - ص: ٢٣٦).

٦- قال محمود عبد الحليم: «يبدو أن إخواننا قد استباحوا القاعدة الميكيافلية التي تقول: «إن الغاية تبرر الوسيلة». فأمام ما اعتقدوا أنهم على الحق وأن طريقَهم هو الطريق الأمثل لمصلحة الدعوة، وعلى أساسٍ أن التيار المضاد صار من القوةِ بحيث لا يستطيعون التصدي له بالأساليب المشروعة؛ لجئوا إلى أسلوب وإن كان غير كريم إلا أنه يضمنُ لهم تحقيق ما يأملون» (أحداث التاريخ. ٣/ ٤١٩).

٧- قال الدكتور عبد العزيز كامل: «كنت دائمًا أدعو إخواني وأبنائى إلى العناية بالعلمِ والمنهجية والتخطيط الطويل، حتى أصبحت هذه - وأسفًا أقولها - مثارَ دعابة، قد تصلُ أحيانًا إلى شيء يقربُ من السخريةِ المهذبة، إن كان في السخرية تهذيب!!» (المذكرات الشخصية - ص: ٦٩).

٨- قال سعيد حوى في كتابه: (الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف - ص: ٥٦): «وليعلم أصحاب الأقلامِ المأجورة والألسنة المسعورة، الذين لا يزالون يضللون الأمةَ بما يكتبونه وبما يقولونه أنَّ الله سيحاسبهم على ما ضلوا وأضلوا، فليس لهم حجة في أن ينصروا الخمينية، فنصرة الخمينية خيانة لله والرسول والمؤمنين، ألم يروا ما فعلته الخمينية وحلفاؤها بأبناء المسلمين حين تمكنوا، ألم يعلموا بتحالفات الخمينية وأنصارها مع كل عدو للإسلام» اهـ.

٩- قال المهندس أبو العلا ماضى في جريدة (العربى. ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣م):

«التيار الإسلامي مارس النفي والإقصاء والقتل، ولا بدَّ من نقد أنفسنا قبل أن ننقد الآخرين» اهـ.

١٠- قال الأستاذ مختار نوح المحامى، مؤكدًا هذا التوجه في خطابه لمحمد عاكف جاء فيه: «إننا أضعنا في سنواتنا الأخيرة إخوانًا لنا ساروا على دربنا، وحين اختلفنا معهم قَطَّعْنَا جلودَهم تقطيعًا، ومزقنا سيرهم تمزيقًا، وأهلنا عليهم من نقمتنا وغضبنا» (الشرق الأوسط. ١٩ يونيو ٢٠٠٥ م).

١١- قال د: سعد الدين صالح: «إنَّ الإخوانَ ليسوا على استعدادٍ لإعمالِ عقولهم وتحكيمِ ضمائرهم فيما يوجه إليهم من أوامر، وإذا أقيمت عليهم الحجة على أخطاء الإخوة الكبار فإنهم لا يسمعون، وإن سمعوا تحت الإلحاحِ فإنهم لا يعقلون، وإذا عَقَلُوا واقتنعوا فإنهم لا يتكلمون، وإن تكلموا فسوف يكون كلامهم نميمة، سيخبرون قادتهم بأنك تتحدث عن الإخوة الكبار بما يمس هيبتهم وكرامتهم..» (الإخوان إلى أين! نقلًا عن صوت الأمة. ١٦/ ٦/ ٢٠٠٣م).

١٢- قال الدكتور سيد عبد الستار المليجي: «وجماعتنا اليوم تقاد بالصرافين وليس بالعلماء الواعظين» (جريدة الكرامة. العدد (٧٩) ١/ ٥/ ٢٠٠٧م).

١٣- هيثم أبو خليل: المخالفون لهم كالصابئين.

أكد الإخواني السكندري أن «الجماعة افتقدت الحبَّ والإخاء، وأصبح يتم التعاملُ مع المخالفين كالصابئين الذين تركوا الدين والملة.

وبين أن من أسباب الاستقالة من الجماعة ما يرجع إلى قيام الجماعة بالفرز بين أعضائها على أساس الولاء للتنظيم والأفراد وليس الولاء للأمة..» (موقع المصريون صبحي عبد السلام ١/ ٤/ ٢٠١١م..).

وهذا هو نفس ما قاله الأستاذ ثروت الخرباوي في ٢٠٠٣م: «للأسف الشديد ظهر بوضوح في الآونة الأخيرة أن الأولويات لدى الجماعة قد اختلت؛ فهي تضع مصلحة التنظيم أعلى من مصلحة الإسلام وأعلى بالقطع من مصلحة الأمة» (الأهرام العربي ١٤ يونيو ٢٠٠٣ ص: ٢٥).

١٤- لم يفلحوا في التاريخ المعاصر.

قال الأستاذ فتحي يكن في كتابه «مشكلات الدعوة والداعية»:

«المراقب لما يجرى في نطاق العمل للإسلام خلال نصف القرن الماضي تبدو له ملامح ظاهرة مخيفة، وهي أن الأعمال والتجارب التي قامت في هذا النطاق تجريان في دوامة مغلقة من التكامل والتآكل... حيث عجزت الحركات الإسلامية عن تحقيق ولو تجربة واحدة في قطر واحد على الأقل» اهـ.

١٥- عصام تليمة: عاطفة مجردة من العلمية.

قال الأستاذ عصام تليمة: «إننا نحن الإسلاميين! للأسف، لا نعرف كيف ندير حواراتنا، وفي أحيان كثيرة نصنعُ أزمة من فكرة، هي مجرد فكرة، ليس خطأ أن تطرح، ولكن يأتي الخطأ في التعامل مع الطرح، وهل كان يتوقع الإخوان الذين عاصروا حسن البنا أن يأتي يوم يتبنون فيه القبول بالأحزاب، ومعلوم كلام حسن البنا في الأحزاب، لو أن أحد تلامذة البنا قال هذا الكلام في عام ١٩٥٠، أو في حياة البنا لقوبل اقتراحه باستهجان واستغراب» (المصريون. نت. ٢٤ - ٢ - ٢٠٠٧م).

وقد أكد ذلك القرضاوى في جماعة الإخوان عند اختلافهم معه في تعزية أهل قطر عند وفاة عبد الناصر، قائلًا: «لكن عيب الجماعات الكبيرة أن فيها أناسًا تغلب عليهم النزعة «الظاهرية» في قراءة الوقائع، وفي تحليل الأمور؛ فيحكمون على

الأمور بظواهرها القريبة، دون النظر إلى آفاقها البعيدة، لا يعرفون ما يسميه الفقهاء فقه المقاصد، ولا فقه المآلات» (ابن القرية والكتاب. «عبد الناصر في الميزان»).

١٦- **الشيخ محمد بن سيف العجمي**: حرب على غيرها.

يقول العجمي: «يشن الإخوان المسلمون المبايعون في كلِّ بلد إسلامي تقريبًا حربًا لا هوادة فيها على جميع الجماعات الإسلامية، التي لا تنطوي تحت جماعتهم، ومهما كان أفراد تلك الجماعات أكثر فهمًا وعملًا للإسلام فإنهم دائمًا محل الاتهام والحرب وحملات الدعاية والتشويه، ويعتبر الإخوان عملهم هذا مشروعًا، ما دام أن جماعتهم هي الجماعة الشرعية، وأنه لا يجوز إنشاء جماعة إسلامية أخرى مهما كانت أهدافها وأعمالها وإخلاص رجالها..» (الوقفات - ص: ٧٦).

١٧- **الدكتور عبد الله النفيسي**: مفهوم مؤكد بغير دليل إلا اتباع التنظيم.

قال الدكتور النفيسي: «إن الإخوان في مصر يعيشون في ظل نظام فكري دوغماتي **Dogmatic**، ويريدون إسقاط هذه الدوغماتية **Dogmatism** على الجميع خارج مصر، وهذا أمر غير مقبول ولا معقول وهذا أدّى إلى تحوّل الجماعة إلى عامل طرد أكثر من عامل جذب للعقول المتميّزة» اهـ.

١٨- **منتصر الزيات**: احتكار الدين والسياسة.

يقول الأستاذ منتصر الزيات المحامى: «إنَّ هذه الجماعةَ تريدُ احتكارَ الإسلامِ والسياسة، وترفضُ أن يخرجَ الإسلام سوى من أفواه أعضائها» (الأهرام المصرية ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٥م).

١٩- **ممدوح إسماعيل**: الطرد والإقصاء.

قال الأستاذ ممدوح إسماعيل المحامى: «إنَّ منهجَ الطردِ الجحيمي يندفعُ بوضوح

إلى السطح عند التعرض لصنم الجماعة، فيندفع المغفلون والجهلة والحمقى والمتعصبون – بوعي أو بدون وعي – إلى التعصب الأعمى بطرد الذي مس الذات العليا للجماعة ونفيه وصب اللعنات عليه، مع أن النبي الحبيب محمدًا ﷺ دعا إلى نبذ التعصب، وقال: «**دعوها فإنها منتنة**». ولكن الكثيرين يحبون النتن، وهم كالضباع لا يعيشون إلا على النتن، ومع أن الحبيب محمدًا ﷺ قال: «**إن من آية المنافق أنه إذا خاصم فجر**»، ولكن الكثيرين يفجرون في الخصومة..» (المصريون. بتاريخ ١٨ - ١٢ - ٢٠٠٦).

❋ ❋ ❋

السلوك العدائى في حركة الإخوان

تعرض أنبياء الله (صلوات الله عليهم) لكثير من التهم الباطلة.. فالنبي محمد ﷺ قال عنه أعداؤه: ساحر كذاب. وقالوا: مجنون. فمحاربة أهلِ الباطل لأهل الحقِّ عادةٌ مستمرة، ومكرهم دائم بالليل والنهار.

❋ ❋ ❋

تطاول الإخوان على مشايخ الأزهر

لم يترك الإخوان أحدًا خالفهم إلا وتطاولوا عليه، ولم يقف حدُّ التطاول عند طائفة بعينها فقد طال السلف والخلف على السواء، فقد سبق لحسن البنا أن سفه حقيقة الخلاف الدائر بين السلف وبين المعطلة في باب الصفات. بقوله: «ولو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخلاف بين الطريقين لا تحتمل شيئًا من هذا لو

ترك أهل كل منهما التطرف والغلو» (رسالة العقائد ص: ٧٤).

ولم يكن الأزهر بعيدًا عن هذا اللمز، قال حسن البنا: «أولئك ليسوا رجالَ دين، بل رجال علم الدين!» (مع الإمام ص: ١٢٨)، واتهم سيد قطب علماء الأزهر بالاتجار بالدين، وقال في كتابه: (معركة الإسلام والرأسمالية - ص: ٦٣): «فهؤلاء - رجال الدين - أبعد خلق الله عن أن يمثلوا فكرته، ويرسموا صورته لا بثقافاتهم ولا بسلوكهم، ولا حتى بزيهم وهيئتهم» اهـ.

وعندما تطاول سيد قطب على بعض صحابة رسول الله ﷺ رد عليه الأديب محمود شاكر في مقالات مختلفة منها: حكم بلا بينة.. ألسنة المفترين.. لا تسبوا أصحابي «وذلك في مجلة المسلمون - العدد الثالث، سنة ١٣٧١هـ» فلم يعتذر سيد قطب عن طعونه في أكابر الصحابة، ولم يتب إلى الله تعالى منها، وإنما تطاول على الشيخ شاكر وسخر منه، فقال: «وما كان لي بعد هذا - وأنا مالك زمام أعصابي، مطمئن إلى الحق الذي أحاوله - أن ألقي بالًا إلى صخب مفتعل، وتشنج مصطنع، وما كان لي إلا أن أدعو الله لصديقنا - شاكر - بالشفاء والعافية والراحة مما يعاني، والله لطيف بعباده الأشقياء!» (الرسالة. ٩٧٧. ٢٤مارس ١٩٥٢م).

ولم يترك محمد الغزالي أحدًا من أهلِ الحديث إلا وتطاول عليه، حتى صارت كتبه مادة للمستشرقين إذا أرادوا الطعنَ في السنة وأهلها، وقد ظهرَ هذا جليًّا في كتابه: «السنة النبوية بين أهلِ الفقه وأهلِ الحديث»؛ فقد سبَّ الذين لولاهم ما عرفنا عن الإسلامِ ولا عن نبي الإسلام شيئًا.. فقد وصفَ نافعًا بأنه «متورط» في المصائب، فقال (ص: ١٢٧): «ورواية نافع عن ابن عمرَ هذه ليست أولَ خطإٍ يتورط فيه» اهـ، وجعل فهمَ أئمة السلفِ الذين أجازوا الإغارةَ على الكفارِ الذين

بلغتهم الدعوة بغير إنذار، وضربوا المثل لذلك بأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غافلون - فهمَ الأراذل، قائلًا: «لقد رددت الفهم القذر الذي استقر في ذهن بعض الناس لما قرأ هذا الحديث، إننا نحمي السنة من أفهام الأراذل» (هموم داعية، ص: ١٢٧)، ووصف المثبتين لحديث فقء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عين ملك الموت بخفة العقل، فقال: «هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يساغ! ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل في أعراض المسلمين» (السنة النبوية - ص: ٣٦) ووصف البخاري وغيره من رواة أحاديث الصفات بأنهم ليسوا مسلمين حقًّا! فقال (ص: ١٢٧): «بعض المرضى بالتجسيم هو الذي يشيع هذه المرويات، إن المسلم الحق ليستحي أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار» اهـ، ولمز اختيار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه بنى على شورى ساذجة، فقال: «ومن السفه استبقاء الشورى في طورها الساذج أيام سقيفة بني ساعدة، واستبقاء العطاء يدًا تدفع ويدًا تأخذ» اهـ.

ورمى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بالبعد عن المفهوم العلمي في فهم الدين، فقال: «وعندما تناقلت الصحف أن الشيخ ابن باز أخرج شيطانًا بوذيًّا من أحد الأعراب، وأن هذا الشيطان أسلم كنت أرقب في وجوه القراء، وأشعر في نفوسهم بمدى المسافة بين العلم والدين» (السنة النبوية) وكذب ما نقله صاحب آكام المرجان القاضي بدر الدين الشبلي عن الإمام أحمد وابن تيمية في تلك القضية، وقال: «وما يرويه صاحب آكام المرجان في أحكام الجان أكثره خرافات وخيالات، وإن ذكره ابن حنبل وابن تيمية وغيرهما» اهـ.

وقد كان من الواجب على الغزالي أن يرمي حسن البنا بتلك التهمة التي رمى بها

العلامة ابن باز، وكذب فيها الإمام أحمد وابن تيمية؛ فقد ثبت أن حسن البنا عالج امرأة صرعى من الشيطان... وتبدأ تلك الواقعة.. على أثر قصة حكاها حسن البنا.. نقلها محمود عبد الحليم في كتابه: (أحداث صنعت التاريخ. ١/ ٢٠٩).

وطعن الغزالى في السنة، وقال في ثياب أمهات المؤمنين: «ما أكثر القمامات الفكرية بين شبابنا! لقيت جامعيًّا متدينًا يقول: إن فلانًا جمع نحو سبعين دليلًا على أنَّ النقابَ من الإسلام» (مستقبل الإسلام - ص: ٧٥)، وشاركه في ذلك عمر التلمساني حين قال: «الإسلام لم يأمر السيدة بأن تضع الحجاب الذي تتحدث عنه السيدة أمينة السعيد، لم يقل الإسلام: افعلي كذا. أو: أخرجي عينك مثل العفاريت» (المصور ٢٧ربيع الأول ١٤٠٢هـ).

وقد اقتفى أثره في هذا الطريق عبد المنعم أبو الفتوح، فقال في ندوة: «مفهوم الحكومة المدنية لدى جماعة الإخوان»: «الإسلام القادم من بلاد البدو والذي وفد إلى مصر بعد تغييب الإخوان في السجون والمعتقلات - جاء بأفكار وآراء غريبة تخالفُ روحَ الإسلامِ الباحث عن العدالة والحرية والمساواة، فلخص الإسلام في مظاهرَ كاذبة وخاض حربًا من أجل جلابية قصيرة وقصص لا قيمةَ لها، وتناسى قضايا كبرى... وأضاف: إسلام الشرق الإسلامي وبلاد البدو ليس إسلامًا فهو الذي ربى النفاق...» (المصري اليوم - ١٠ مايو ٢٠٠٦م) ولم يفت المذكور أن يسب عامة المتدينين في (جريدة العربى. عدد (٨٧٨) الصادرة في ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٣) قائلًا: «فليس هناك شك في أن الإسلاميين والمتدينين عمومًا عندهم أرتكاريا من بعض المسائل، ويضخمونها مثل المخالفات الجنسية» اهـ، ولم يترك كذلك النقاب حتى طعن فيه، وسخر منه، قائلًا: «فهل يعقل أن

نوافق طالبان على أن تلبس النساء خيام بالقوة». (العربي الأسبوعي - ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٣م).

❊ ❊ ❊

الإخوان منظمة سرية تشبه المنظمات الماسونية

تعد جماعة الإخون من أكبر المنظمات السرية في العالم الإسلامي، ونظام الأسر في دعوة الإخوان نظام سري مجهول لا يعرف أهله، ولا يأمن المرء فيه على نفسِه من الغواية، ففيه تقعُ الفتن، ولا يعرف من الذي أوقعها، فتجد الشاب يتحمل ما لا يعلمه، ويسأل فيما يجهله، فهناك أسر تنظيمية، وأخري دعوية، وأسر خاصة بالدعاية والتشنيع، وأسر خاصة بجمع الأخبار والتجسس على العامة والخاصة.. وكل أسرة لا تعرف شيئًا عن الأخرى، وقد تقترف أسرة من الأسر عملًا فتنكره الأخرى، وهي لا تدري أنَّ الأمرَ قد صدر من المرشد أو النائب إلى تلك الأسرة؛ كي تقومَ بهذا العمل القبيح، لمصلحة الدعوة.. وليقع الناس في الحيرة.. هل هذا مراد للجماعة أم غير مراد؟ هل هذا يعبر عن رأي الجماعة أم لا يعبر؟ وبين السطور مقاصد ورسائل لا يدركها إلا من خطط لها.. وأمر المرشد أكبر من تلك العقول، والواجب السمع والطاعة، ومن خلال استقراء المنهج العملى في المنظمات الشيوعية والتشكيلات الحزبية والحركات الرافضية استطاع حسن البنا أن يستنبطَ فكرةَ التنظيم والخلايا السرية، ويحشرها في العمل الإسلامي لأول مرة في تاريخ الإسلام.. وقد شهد بذلك الأستاذ عصام تليمة، قائلًا:

«حسن البنا نفسه.. استفاد من تشكيلات الشيوعيين وغير الإسلاميين في

تشكيلات الإخوان المسلمين، وهي نظام الأسر في الإخوان، والخلايا في الشيوعيين، واستفاد من تجربة النظام الخاص (التنظيم السري) من بقية الأحزاب المصرية في هذا الوقت» (المصريون. نت. ٢٤ - ٢ - ٢٠٠٧م) وقد بين الأستاذ عبد العزيز كامل أنَّ نظامَ البيعة في دعوة الإخوان مقتبس من الهيئات الماسونية.. فقال: «بل تستطيع القول: إن هذا الأسلوبَ كان أقرب إلى النظام الماسوني أو الجماعات السرية التي أفرزتها عهود التآمر منها إلى عهود الصفاء والنقاء الإسلامي الأول» (المذكرات الشخصية - ص: ٥٧).

وقد سيطر الفكرُ السري على دعوة الإخوان منذ نشأتها إلى الآن؛ قال أبو العلا ماضي: «النظام الخاص موجود برجاله المسيطرين على مفاتيح القرار وعلى التشكيل وعلى صياغة العقلية الجديدة، لدرجة أنه بدأت الآن تتولد مجموعات من أجيال لاحقة تفكر بنفس الطريقة» (العربي. ٣٠ مايو ٢٠٠٤م) فالسرية سمة غالبة في جماعة الإخوان أيتما كانت.. يريدون أن يقولوا لشباب المسلمين: الأرض مظلمة، وأنتم مضطهدون ومراقبون، ولا بقاءَ لكم إلا بالتنظيمات السرية، ولا يمكن أن يلحقَ الشباب بالتنظيم السري إلا بعد اختبار السمع والطاعة والبيعة، وكان امتحان الترقى إلى مرتبة الأخ العامل يتم على الكيفية الآتية: «أن يذهب المرشح للمكان المحدد، ويتلقى من الشخص المقصود لفافة فيها قطعة حجر، ويقول له: هذا مسدس.. خذه وأعطه لفلان.. فإذا تبين له أن المرشح قد انزعج وأظهر الخوف فإنه يقول له: لا تخف، لقد نجحت في امتحان طاعة الأوامر. ثم يصرفه. أما إذا أظهر شجاعة، ونفذ التعليمات فإنه يكون قد نجح بالفعل، وحينئذ ينضم إلى الفئة العاملة المخلصة الحافظة على السر» (محمود

عساف. مع الإمام الشهيد ص: ٦٣)، وتعد البيعة المحك النهائي للانتماء إلى حركة الإخوان.. فإذا بايع العضو ألحق بالنظام السري، وأصبح عضوًا عاملًا.. وارتقت مهماته.. ومن ثم يتم توجيهه حسب قدراته في التنظيم الذي يناسبه.. ونص البيعة، كما جاء في (قانون النظام الأساسي لهيئة الإخوان المسلمين وشعبها - ص: ٧): «أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين! والجهاد في سبيلها! والقيام بشرائط عضويتها، والثقة التامة بقيادتها، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، وأقسم بالله العظيم على ذلك، وأبايع عليه، والله على ما أقول وكيل» (أحداث التاريخ. ٣/ ٢٤٨) فإذا عقد الإخواني البيعة لزمه الطاعة التامة.. كل ذلك تحت بند أن الإخوة الكبار يعرفون مصلحتنا ومصلحة دعوتنا أكثر من معرفتنا بها، وعلينا الاتباع وكتمان السر، ومن خالف فمصيره إلى النار. قال محمود الصباغ: «ثم يقول له: فإن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير» (التنظيم الخاص ص: ١٣٤) ولا ينبغي له أن يسأل عن علة حكم أو اختيار، فإذا سأل أو اعترض وجه بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

وتلك هي وصية مرشدهم الأول في رسالة التعاليم حيث قال: «أريد بالطاعة التامة امتثال الأمر وإنفاذه توًّا في العسر واليسر والمنشط والمكره» اهـ.

وقد حذر الغزالي من مغبة الوقوع في هذا المنزلق فقال: «أيها الأخ المسلم، ارفض الغموض في رسالتك، واحذر قبول الريبة باسم السمع والطاعة، فالطاعة في المعروف، فإن التسليم للأوهام بعض طقوس الماسونية في هذا العصر، وبعض

طقوس الكنيسة في العصور الوسطى المظلمة، أما الإسلام فبريء من هذه المسالك» (من معالم الحق - ص: ٢٢٠ - ط: ١٩٨٤م).

ولا شكَّ أنَّ هذا النوعَ من الطاعة هو الذي أدى إلى تشرذم تلك الجماعة في اتجاهات فكرية متناقضة، قال فتحي يكن: «إن الثقة بالفكر والثوابت المنهجية التي نحمل ونعتمد يجب أن تدفعنا إلى الانفتاح على من خالفنا، والاستماع إلى الرأي المعاكس، سواء كان من صفنا أم من صفوف غيرنا، فإما أن نقنعه بما عندنا، وإما أن نضيف ما لديه إلى ما لدينا من غير غضاضة ولا حرج. لو أن ذلك حدث لما كانت هناك المدرسة القطبية والمدرسة الترابية وحزب الوسط وغيرها من المدارس، التي توالدت من رحم الحركة» (تساؤلات مستقبلية - ص٧٣).

❁ ❁ ❁

صور التعامل الإخواني مع المخالفين

كان حسن البنا يرى عدم وجوب تصحيح المفاهيم والأخطاء الدائرة في محيط مرافقيه، اكتفاء بعرض الفكرة الإخوانية، ويرجع السر في ذلك إلى نشأة حسن البنا.. كما قال أخوه جمال أنه تربى في: «منزل ليبرالي كل واحد له اتجاه. لا أحد يسأل أحدًا عما يفعل» (إيلاف نت. الحوار المتمدن. ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٣م).

وقد كان لجمال هذا اعتراضات على توجهات الإخوان، وكان يصرح بها لأخيه، ولم يكن يرد عليه، فقال: «فكنت أدلي للإمام الشهيد بخلجات النفس.. وكان يستمع، ويبتسم دون أن يوافق أو يخالف» (شفاف الشرق. نت. ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥م) وكان تاركًا للصلاة، ولم يعتب عليه.

قال جمال البنا:

«وكان الشيخ عبد البديع صقر ينادي إلى الصلاة، فكنت أقول له: دعني يا أخ عبد البديع. فيذهب إلى الأستاذ البنا، ويقول له: إن غرفة جمال وكر لتارك الصلاة. وكنت أرد عليه بأن العمل عبادة.. فكان الأستاذ البنا يقول له: دعه. لأنه يؤمن أيضًا بأن العمل عبادة..!» (إيلاف نت . ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٣م) وهذا هو نفس ما كان يتعامل به حسن البنا مع عامة الإخوان. قال التلمسانى في كتابه: (ذكريات لا مذكرات): «وكنت من المدخنين وشكا إخوان المكتب من هذا.. فقلت للإمام الشهيد: إما أن تأمرني فأقلع وإما أن تسكت فأستمر. فقال: لا آمرك ولا أنهاك...!» اهـ.

وتلك صورة مشابهة تظهر جلية في تعامل حسن البنا مع مقال للأستاذ سيد قطب، نشر في جريدة الأهرام، دعا فيه إلى الإباحية والعرى.. قال محمود عبد الحليم: «وقد قرأت في هذا الوقت في جريدة الأهرام مقالًا لسيد قطب يدعو فيه دعوة صريحة إلى العري التام، وأن يعيش الناس عرايا، كما ولدتهم أمهاتهم. إلخ» (أحداث صنعت التاريخ، ١/ ٢١١)، فكتب محمود عبد الحليم مقالًا رد فيه على تلك الدعوة، ثم ذهب ليعرضه على الأستاذ المرشد، فقال: «قرأه الأستاذ المرشد ثم أطرق طويلًا.. إلخ وكان ملخص ما قاله ردًّا على هذا المقال:

- كاتب هذا المقال شاب متأثر بالبيئة التي نشأ فيها.

- هدف هذا الشاب. هو محاولة جذب الأنظار إليه - قراء الأهرام عدد محدود بالنسبة لسكان البلاد - إذا نشرنا ردًّا على هذا المقال في الأهرام كانت لذلك النتائج الآتية:

١- سيثير نشر الرد اهتمام الذين لم يقرءوا المقال الأصلي إلى البحث عنه.

٢- نكون - بغير قصد - قد لفتنا الأنظار إلى نوع من الرذائل ربما علقت به بعض النفوس الضعيفة.

٣- الرد نوع من التحدي - والتحدي يخلق في نفس المردود عليه نوعًا من العناد - وهذا الكاتب شاب، وترك الفرصة أمامه للرجوع إلى الخير خير من إحراجه... إلخ.

ثم قال: ما رأيك في هذه المخاطر؟ قلت: إنها مقنعة تمامًا.. ومزقت الرد بين يديه. ولا داعي للإشارة إلى ما كان من أمر هذا الشاب.» اهـ.

وكما أن حسن البنا لم يكن منشغلًا بالرد على دعاة الإباحية، كذلك كان يرى عدم وجوب الرد على دعاة الشيوعية، وعدم الاهتمام بتفنيد حججهم، وتزييف أفكارهم، وقد وضح ذلك عبد الحليم بقوله: «كان الأستاذ المرشد يرى أن الوقت الذي نضيعه في مهاجمة فكرة كالشيوعية نحن أحوج إليه لنشر فكرتنا وتوضيح معالمها وأهدافها». (أحداث التاريخ ١/ ٥٣٨)، ثم التمس العذر للشيوعيين بزعم أنهم لا يجدون بديلًا يقدم لهم من قبل الحكام، فقال: «وهؤلاء الذين عطفوا على الشيوعية، واستجابوا لها يلتمس لهم العذر؛ لأنهم رأوا فكرة تضطهد دون أن يروا فكرة بديلة يعرضها عليهم هؤلاء الحكام» اهـ.

ولا شك أن هذا الكلام ساقط، وسقوطه يغني عن إسقاطه، سواء ما انتهى إليه من عدم تعيين الباطل بالزجر والتوبيخ، اكتفاء بعرض الفكرة الصحيحة، أو من جهة التماس العذر للشيوعيين، وذلك لأن الشيوعية تتصادم مع فطرة التوحيد الضرورية، التي خلق الله تعالى عليها الخلائق، وهذا الأمر لا يلتمس فيه

عذر لغياب فكرة؛ لأن الحجة قائمة، كما أن عرض الفكرة الصحيحة لا يكفي لمعرفة الحق من جميع أوجهه. ولا شك أن هذا المنهج يتصادم مع حقائق ثابتة في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة.

صورة أخرى.. قضية أحمد رفعت:

يكفي أن تؤمن بما آمن به حسن البنا، ثقة فيه، دون أن تستطلع الحجج والبراهين. فقد قال حسن البنا لعبد العزيز كامل: «أنا أعلم نوع تفكيرك وتمسكك بالسنة، وستأتي أيام وظروف قد نختلف فيها، وأود في هذه الظروف أن تترك رأيك لرأى.. ألا تطمئن إلى؟» (المذكرات الشخصية - ص: ٥٣).

وقد أشار حسن البنا إلى ذلك على الإجمال في رسالة المؤتمر الخامس بقوله: «أيها الإخوان المسلمون.. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده، ولست مخالفًا هذه الحدود التي اقتنعت بها كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، أجل قد تكون طريقًا طويلة، ولكن ليس هناك غيرها» إلى أن قال: «على أن التجارب في الماضي والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعملون..» اهـ.. هذا هو الذي كان يملكه حسن البنا: الكلام المجمل العام والعواطف الجياشة، أما تأصيل القواعد وتحقيق النصوص وتفصيل الشبهات واستنباط الأحكام وبناء الشخصية المستقلة فليس هذا طريقه ولا سبيله.. ومن أجل ذلك كان يفر من الأحداث، ويبتعد عن مواقع النزاع، لعجزه التام عن الفصل في الأمور، وليترك لأصحاب التنظيم الخاص الفرصة في تناول القضايا بطريقتهم الخاصة. حتى إذا هدأت الأمور عاد حسن البنا إلى موقعه وأمسك بزمام الأمور مرة أخرى.. ففتنة واحدة أو قضية علمية

واحدة في جماعة الإخوان كفيلة بهدم الصرح على من فيه. نعم قضية علمية أو سؤال واحد كفيل بأن يجتذب جميع الأكابر والمخلصين والدعاة من حول المرشد.

ومن تلك القضايا التي مزقت جماعة الإخوان إربًا بعد تسع سنين من نشأتها قضية «أحمد رفعت» تلك القضية التي وقعت أحداثها عام ١٩٣٧م.. فقد عصفت بأناس وصفهم محمود عبد الحليم - غلوًّا وتعظيمًا لم يحتسب فيه عند الله تعالى علمًا - بأنهم: «مجموعة بلغت نفوسها في الصفاء درجة الشفافية، وسمت أرواحهم حتى حلقت مع الملائكة... لا أعتقد أنه على وجه الأرض في ذلك الوقت قوم أصفى نفوسًا ولا أنقى قلوبًا ولا أشد حبًّا للإسلام ولا أسمح بالنفس والمال في سبيله من هذه المجموعة التي أوقدت نار هذه الفتنة وكانت هي وقودها» (أحداث التاريخ. ١/ ٢٢٣)، وقد وجدت تلك الفتنة عند كثير من أعيانهم آذانًا صاغية.. قال محمود عبد الحليم: «والظاهرة العجيبة التي لاحظتها أن دعوة أحمد رفعت كانت تلقى من كثير من الإخوان آذانًا صاغية واستجابة سريعة» (ص: ٢٢٥).

وكان هناك إخوان يلعبون على الحبلين.. «وبدأ الذين يلعبون على الحبلين من الإخوان والذين اتخذوها لعبًا ولهوًا يشعرون أن نظام المقاطعة الذي هادنهم في أول الأمر قد اقترب منهم.. إلخ» (أحداث صنعت التاريخ. ١/ ٢٣٢).. وأعجب ما في ذلك أن هؤلاء الأخيار انضموا إلى أحمد رفعت وسبوا الإمام. قال محمود: «ازداد عدد مؤيدي أحمد، ولعل ذلك قد بعث في نفسه شيئًا من الغرور، فبدأ يتحدى الأستاذ المرشد ويوجه له ألفاظًا نابية ويخاطبه بأسلوب لا يليق به، ثم ازداد تطرفًا فصار هو وشيعته يسبون الأستاذ المرشد ويوجهون إليه الشتائم»

(أحداث التاريخ. ١/ ٢٢٧).

فما القضية التي عصفت بهؤلاء الأخيار وأدت إلى هجران حسن البنا المركز العام شهرًا كاملًا أو يزيد، حتى ينتهي النظام الخاص من القضاء عليهم والتخلص منهم.. القضية أن هؤلاء الشباب اعترضوا على عدة أشياء منها:

١- اعترضوا على منهج حسن البنا في مداهنة الملك فاروق، وعدم توضيح الحقيقة التي تريدها الجماعة منه، والتي يرددونها فيما بينهم في الأسر والكتائب.

٢- اعترضوا على طريقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- اعترضوا على اقتصار جانب الجهاد بفلسطين على الدعاية والإعلان.

❋ ❋ ❋

أسئلة أحمد رفعت وموقف المرشد

قال محمود: «وعقد الأستاذُ المرشد جلسةً ضمت صفوةَ الإخوان، وتحدث ما شاءَ الله له أن يتحدثَ، ثم دعا أحمد رفعت؛ ليحدد اعتراضاته على الإخوان ومطالبه التي يريدها، فقام أحمد وحدد اعتراضاته ومطالبه في ثلاثة بنود:

الأول: أنه يرى أن الإخوان تجامل الحكومة، وتتبع معها سياسة اللف والدوران، ويجب على الإخوان أن يواجهوا الحكومة بالحقيقة التي قررها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

الثاني: موضوع المرأة وإلزامها حدود الإسلام في عدم التبرج والاحتشام مكتفين بدعوة المرأة إلى ذلك بالنصيحة والكلام دون العمل.

ويرى أحمد.. أن يوزع الإخوان أنفسهم في شوارع القاهرة ومع كل منهم

زجاجة حبر، كلما مرت فتاة أو امرأة متبرجة ألقى عليها هذا الحبر، حتى يلطخ ملابسها فيكون هذا رادعًا لها.

الثالث: موضوع فلسطين: يرى أحمد أن وقوف الإخوان في مساعدة مجاهدي فلسطين عند حد الدعاية لهم وجمع المال لهم - هو تقصير في حق هذه القضية، وقعود عن الجهاد وتخلف عن المعركة، وعلى الإخوان أن يتركوا أعمالهم ويتطوعوا في صفوفهم، وإلا كانوا من الخالفين» اهـ.

الجواب... لم يرد حسن البنا على ما أثاره أحمد رفعت.. وترك بعض أتباعه ليرد، دون استحضار لأدلة أو براهين. فانظر وتأمل لترى حقيقة الدعوة الإخوانية منذ نشأتها.. قال عبد الحليم: «وتصدى بعض الحاضرين للرد على أحمد في الاعتراضين الأولين فقالوا: إن مواجهة الحكومة يجب ألا تكون إلا بعد توفر عاملين:

١- توعية الشعبِ بالحقائق الإسلامية التي ما زال حتى اليوم خالي الذهن منها.

٢- اكتساب الدعوة قوة شعبية إذا ما أرادت مواجهة الحكومة. إلخ.

أما موضوع المرأة فكان ردهم عليه هو: أننا لو أخذنا باقتراح الأخ أحمد، لكانت النتيجة في اليوم الأول للأخذ بهذا الأسلوب - أن يلقى القبض على جميع الإخوان، ويجري معهم التحقيق ويودعوا السجون.

أما موضوع فلسطين فكان الأستاذ المرشد قد اتصل في شأنه بالسيد أمين الحسيني مفتي فلسطين فرد على الأستاذ بخطاب قرأه علينا في هذا الاجتماع وفيه يقول سماحته:

«إن المجهود الذي يبذله الإخوان في الدعاية لقضية فلسطين في مصر هو القدر المطلوب، والذي نحن في أمس الحاجة إليه، ولا يستطيعه غيرهم، ولسنا في حاجة إلى متطوعين». وانتهى هذا الاجتماع، وقد ازداد عدد مؤيدي أحمد..

(أحداث صنعت التاريخ. ١/ ٢٢٧).

هذا هو محور النزاع.. ليس ثمة خلاف بين الطرفين من الناحية المنهجية... اللهم إلا في توقيت البدء بالأفعال التي تترجم تلك الأفكار.. فهؤلاء يريدونها في الحال، وأولئك يرون تأجيلها إلى أجل.. غير أن الذي عصف بالجماعة في تلك المحنة أن حسن البنا ومن معه لم ينظروا في القضية بتأصيلات أهل الحديث.. فحسن البنا كان يعد الأغلبية والكثرة لمواجهة الحكام، لا يريد شيئًا يعكر عليه قصده.. ولا يريد الجهر بما يريد وما يسر في نفسه.. وكان من الواجب عليه في القضية الأولى أن يبين فقه السلف في معاملة الحكام. وأن مقام الملك الذي بايعه على الولاء التام يقتضي النصح والبيان، ولا يقتضي الكثرة والعدد.

أما القضية الثانية: المتعلقة بالتبرج والسفور فقد كان من الواجب أن يبين منهج أهل الحديث في تغيير المنكر، ثم يبين موقع من لا أهلية له ولا سلطان من الأمر والنهي. لا أن يقف الأمر على ما يتعرض له الإخوان من السجون والمعتقلات بسبب اتخاذ العنف طريقًا للتغيير. وسبحان مغير الأحوال فقد عرضت قضية الحجاب في ديسمبر ٢٠٠٦م وانخلع الإخوان منها، وتصدى لها نواب الحزب الوطنى، بينما قال محمد عاكف في حوار مع جريدة العربي: «الوزير حر بما يقول والإخوان لن ينشغلوا بمعركة ضد الرأي، بل معركتهم ضد الفساد والمحسوبية» اهـ وقال في اتصال هاتفي مع قناة دريم كما نقله (نافذة مصر نت): «مصرُ تعاني من مشاكلَ وأزمات أكبر وأخطر ألف مرة من الحجاب مثل الاستبداد والفقر، ونفى المرشد أن يكون لنواب كتلة الإخوان دور في تصعيد الموقف داخل مجلس الشعب» اهـ.

أما القضية الثالثة: قضية فلسطين.. فقد كان من الواجب على المرشد العام أن يبين أنه فرد من أفراد الرعية.. وأن مسئولية الجهاد والخروج للقتال ليست له، إنما هي للإمام، كما بين النبي ﷺ: «**الإِمام جنة يقاتل مِن ورائِهِ ويتقى بِه**» (رواه البخارى. ٢٩٩٤) قال العثيمين: «لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر» (الشرح الممتع. ٨/ ٢٥).

لم يفعل حسن البنا شيئًا من ذلك، ولم يقم حجة على المخالفين، ولم يبين حكم معاملة الحكام، ولم يبين قواعد الأمر والنهي ولا أصول الجهاد في سبيل الله تعالى؛ وبسبب ذلك خرج الشباب من تلك الجلسات غير مقتنعين بحجج حسن البنا ولا بحجج أتباعه.. وزاد أتباع أحمد.. والمرشد لا يدخل في الموضوع إلا من قبل الألفة والمحبة والمودة، وكذلك من معه، قال محمود عبد الحليم فقمت: «بإعداد كلمة تدور حول جمع الكلمة ونبذ ما يدعو إلى الفرقة وأن الاجتماع على نتف الحق خير من التفرقة على الحق كله. وتمثلت في ذلك قول علي: «كدر الجماعة خير من صفو الفرد» (أحداث التاريخ. ١/ ٢٢٥).

❋ ❋ ❋

خطة القضاء على أحمد رفعت ومن معه

وبناء على هذا العجز العلمى في معاملة هؤلاء الشباب - فكر الإخوان في طريقة أخرى للتعامل مع هؤلاء الشباب تنتهي بهم إلى الجنون والقتل.. فأعد محمود عبد الحليم خطة للقضاء على تلك المجموعة، التي أدت إلى ترك حسن البنا الدروس والمركز العام للجماعة لمدة تزيد على الشهر، حتى يستطيع أتباعه أن

يتخذوا الإجراءات التي لا يحب هو أن يتخذها بنفسه.. قال عبد الحليم: «الدعوة توقفت تمامًا فترة تزيد على الشهر، وهي الفترة التي كان لا بد من احتجاب الأستاذ المرشد في بيته خلالها.. وقال: «استغرقت هذه الفتنة منذ كانت بصيصًا تحت الرماد حتى قضي عليها قرابة نصف عام كانت الدعوة في خلاله عرضة للانتهاء والزوال» (أحداث صنعت التاريخ. ١/ ٢٣٣).

وقد قامت خطة محمود عبد الحليم على ثلاثة محاور هى:

١- دعوة الإخوان الذين تركوا الجماعة للعودة إليها مرة أخرى.

٢- تجديد البيعة لحسن البنا.. بما يدل على خطورة الموقف.

٣- الدعوة إلى مقاطعة أحمد رفعت وجماعته مقاطعة تامة.. فطبق الإخوان تلك التعهدات. حتى انتهى الأمر بأحمد رفعت إلى الجنون والقتل.

قال محمود عبد الحليم: «حينئذ وجد أحمد رفعت نفسه حبيسًا في بيت حسن عثمان، وليس معه إلا صديق أمين ومحمد عزت.. لا أحد غيرهم يطرق عليهم البيت بالليل ولا بالنهار، فأصيب أحمد بما يشبه الجنون.. حتى رق قلبنا له ولمن معه.. فبعثت إليهم من يعرض الصلح وأن يرجعوا تائبين معلنين توبتهم فاختلفت إجابتهم» (١/ ٢٣٣) ثم قرر أحمد الذهاب إلى فلسطين بمفرده فقتل على أيدي المجاهدين...» (انظر أحداث التاريخ. ١/ ٢٣٣).

❋ ❋ ❋

خرافات وغرائب

كان من أعجب ما قرأت في تلك القضية - أن محمود عبد الحليم قال: إن

أحمد رفعت زعم أنه كان يتلقى من النبي ﷺ كل ما يدعيه من الأمور في المنام، بل في اليقظة.. وقال: «ادعى أولًا أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يأتيه في الرؤيا ويوجه إليه أوامره، ثم تعاظم الغرور، فادعى أنه يتلقى من رسول الله ﷺ جهارًا نهارًا في تمام اليقظة، ثم ادعى أنه ﷺ يحضر معه الغداء، ويتناول معه الطعام، ويتلقى منه الأوامر والتعليمات» (أحداث التاريخ ١/ ٢٢٩) وهنا نوضح: أن حسن البنا كان يؤمن بنفس ما كان يؤمن به أحمد رفعت، ويردده في أبيات شعرية، فقد قال شقيقه عبد الرحمن البنا: «وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول كنا نسير في موكب مسائي كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر ننشد القصائد في مدح الرسول ﷺ، وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا ... وسامح الكل فيما قد مضى وجرى

ومالركب الحمى مالت معاطفه ... لا شك أن حبيب القوم قد حضرا»

(حسن البنا بأقلام تلامذته. ص٧٠- ٧١).

❋ ❋ ❋

الغرور النفسي في حركة الإخوان

ومع الإفلاس العلمي الواضح في حركة الإخوان، والاعتراف الصريح أن شيخهم لم يكن عالمًا متميزًا، إلا أنك تجد الثناء والغلو في حسن البنا ورفاقه ومنهجه ودعوته إلى درجة تفوق الخيال، فقد رفع صالح عشماوي حسن البنا إلى درجة القاضي المطلق، الآخذ بحق الأموات من الأحياء، وقال في رثائه:

قد كنت أوثر أن تقولَ رثائي   يا منصفَ الموتى من الأحياء

(جابر رزق. حسن البنا بين تلامذته وحوارييه، ص: ٦٠).

وجعله في موضع آخر فلتة من فلتات الطبيعة، فقال: «رحم الله حسن البنا، فقد كان فلتة من فلتات الطبيعة قلما يجود بمثله الزمان، وهو لم يمت، بل حي عند ربه» (حسن البنا بأقلام تلامذته - ص: ٦٠).. والطبيعة لا تجود بشيء إنما هو الله خالق كل شيء.. وشق سعيد رمضان عن قلب شيخه فجعله قلبًا خالصًا، ليس فيه شيء لغير الله، فقال: «وكل ما بينه وبين الله نسب من القبول والرضى؛ لأن حسن البنا كان نسمة خالصة، ليس فيها لغير الله شيء» (حسن البنا - ص: ١٢٢، ١٢٦). وقال التلمساني: «وكف القلب المعلق بالعرش عن النبض في هذه الحياة، لينبض في مقعد صدق عند مليك مقتدر» (حسن البنا بأقلام تلامذته. ص / ٤٤) والشهادة لمعين بالجنة بغير دليل رجم بالغيب، ورفع عمر بهاء الدين الأميري حسن البنا إلى مرتبة جبار السموات والأرض، الذي لا تخفى عليه خافية، فقال كما في كتاب جابر رزق السابق (ص: ٩١):

«منكر الذات حكيم السير في وجهته   طب أرواح فلا تخفى عليه خافية» اهـ.

وزعم جماعة من الإخوان أن الإيمان بالمرشد العام جزء من الدين، وأنه لا يخطىء. قال الغزالي: «قال أحدهم في اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية: «إن المرشد لا يخطىء» (في كفاحنا الإسلامي ص / ٢٠٦ - ٢١٣).

وادعى حسن البنا في رسائله أن الكمال المقصود في الدعوة الإسلامية، هو الكمال الذي تضمن دعوة الإخوان وفهم قائدها، وأن كل نقص في عقيدة

الإخوان هو في الحقيقة نقص من الإسلام، حيث رأى «اعتبار عقيدة الإخوان رمزًا لهذا المنهاج».. ثم قال: «وعلى كلِّ مسلمٍ أن يعتقدَ أنَّ هذا المنهجَ كلَّه من الإسلامِ، وأنَّ كلَّ نقصٍ منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة» (مذكراته - ص: ٢٥٤. ط: ١٩٩٠م. الزهراء)، وقال: «واذكروا جيدًا أيها الإخوان.. أن الله قد من عليكم، فهمتم الإسلام فهمًا نقيًّا صافيًا شاملًا كافيًا وافيًا، يساير العصور ويفي بحاجات الأمم» (الرسائل ص: ٣٢٦)، وأوجب على الشباب أن يفهموا الإسلام كما فهمه هو، فقال: «إنما أريد بالفهم: أن توقنَ بأن فكرتنا إسلامية صحيحة، وأن تفهمَ الإسلامَ كما نفهمُه في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز» (الرسائل - ص: ٣٩٠)، وفي مقدمة الرسائل طعن في إيمان عامة الناس، فقال: «والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدإ - أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه، ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمان ملتهبٌ مشتعلٌ قوي يقظ في نفوسِ الإخوانِ المسلمين» اهـ وقال حسن الهضيبي: «دعوة الإخوان.. هي لا غيرها الملاذ والإنقاذ والخلاص، وعلى الإخوان أن لا يشركوا بها شيئًا» (قافلة الإخوان. ص / ٢٩٨).

وزعم محمود الصباغ أنَّ الله تعالى شهد بصدق الجماعة وصدق أتباعها، فقال: «ولقد شهد الحق تَبَارَكَوَتَعَالَى بصدق الإخوان فيما أسروا وما أعلنوا فنصرهم على مدى جيل واحد في أربع معارك قاصمة» (حقيقة التنظيم الخاص - ص: ١٨) وسئل الأستاذ عاكف في موقع «الإخوان نافذة مصر» عن سبب تعالي شباب الإخوان وتكبرهم في الجامعة، واستشعارهم بالقوة أمام أصحاب الاتجاهات الإسلامية وغيرها.. قال الأستاذ عمرو توفيق:

هناك صفة أخرى يرى البعض أنها تميز جماعة الإخوان في تعاملها مع التياراتِ الإسلامية الأخرى، وهي النظرةُ الفوقية والاستعلاء، حيث ترى أنها الجماعة الأم والأساس، ولا بد للجميع أن ينضوي تحتها ... هذا الشعور بالفوقية موجود حتى بين طلبةِ الإخوانِ في الجامعة؟ فرد عاكف قائلًا: «لماذا هذا الشعور موجود؟ لأننا متواجدون بزخم كبير، والذي يأتي لحوارنا يقف وحده، قد تجد حركة تضم كتابًا وخطباء ومثقفين، ولكن ليس لها زخم كبير مثل الإخوان، وعندما تحدث مظاهرة يكون عددهم نحو المائتين فيما نحن ١٠ آلاف» اهـ.

وهذا هو الذي يعبر عنه عاكف دائما في لقاءاته، بقوله: «فهل يوجد في الشارع المصري أحد له وجود الإخوان المسلمين؟ أنا موجود بحساباتي وحركتي وعملي» اهـ، فليس هناك أحد له الحق في التعبير عن أمة محمد إلا الإخوان. هكذا قال محمد عاكف: «وليس هناك أحق من أن يقول الحق كما أنزل على قلب محمد ﷺ إلا الإخوان المسلمون» (إخوان أون لاين ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٦م).

❋ ❋ ❋

الكذب والافتراء في جماعة الإخوان

هذه عدة مواقف تبين كيف كان الإخوان يتكلمون بما لا حقيقةَ له، وكيف كانوا يكذبون من أجل الاستحواذ على عقولِ الناس! وسأبين أصل تلك التهمة بالأدلة الثابتة من كتب الإخوان، ومن شهادة بعضهم على بعض، لتعلم موقف الإخوان من مبدإ «ميكافيلي» الغاية تبرر الوسيلة، وقبل أن أسردَ تلك الحقائق أحب أن أوضحَ أنَّ الكذبَ لم يخرجْ من جماعةِ الإخوان خروجًا عفويًّا طارئًا، بل كان كذبًا مقصودًا متعمدًا، فقد كان في جماعة الإخوان جهاز خاص لترويج الأكاذيب والإشاعات، ولا

يزال هذا الجهاز موجودًا فيهم إلى الآن، وكون بعض الناسِ يعرفُ ذلك والبعض الآخر لا يعرفه - لا ينفي وجود تلك الأسر، فذلك شأن التنظيمات السرية، حيث إنها تشبه السلاسل العنقودية، لا يعرفُ بعضها شيئًا عن الآخر، وقد أكد أحمد رائف حقيقةَ تفنن الإخوان في نشرِ الإشاعات، بقوله: «وكان لا بد من عمل إعلامي مضاد لإعلام الحكومة، وبدأت الشائعات تخرجُ من الصفوف الإخوانية، بعضها عن غير قصد، والآخر وَفْق خطة مرسومة» (صفحات من تاريخ الإخوان - ص: ٢٤٥) كما أكد عبد الحليم أنَّ الإخوان كانوا يوزعون المنشورات المثيرة، التي من شأنها بلبلة المجتمع، فقال: «كما أننا كنا نطبع منشورات بكلام غير ذي هدف معين، غير أنه كلام يلفت النظر، ويثير الاستغراب، وكان إخوان النظام يوزعونها على المنازل والمكاتب والمتاجر والمدارس والملاهى، بطريقة لا يحس بها أحد مع تخصيص شارع لكل واحد منهم، ثم يصبح في اليوم التالي كل في عمله، فإذا سمعنا من زملائنا في المصالحِ الحكومية وفي غيرها من أماكن التجمعِ استغرابهم لما جاء في منشور وصلَ إليهم يقول كذا وكذا علمنا أن التدريبَ قد نجح» (أحداث التاريخ ١/ ٢٩٠).

❋ ❋ ❋

الهيئة التأسيسية تتفق على الكذب

نشر جمع من الخارجين على الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان بيانًا في جريدة «المصرى»، جاء فيه أن المرشد العام حسن الهضيبي استقال من منصبه؛ فترتب على ذلك أن اجتمع أعضاء الهيئة، وقرروا فصل هؤلاء الأعضاء، وجاء في قرار الفصل: «إنهم اعتصموا في دار المركز العام، وظاهروا الشباب المعتصمين وجرءوهم

على ذلك، وبذلك خرجوا على القانون، أنهم ادعوا كذبًا أن المرشد العام أعلن استقالته على الملإ، أنهم أصدروا قرارات لا يخولهم إياها قانون الإخوان. إلخ». (أحداث صنعت التاريخ. ٣/ ٢٤٨) قال عبد الحليم: «وبتحقيق النقطة الأولى ثبت أن الأستاذ المرشد العام لم يستقل» (أحداث التاريخ ٣/ ٢٧١)، إلا أنه بعد عام من هذا التاريخ تراجع الأساتذة الكبار، الذين أقسموا بأغلظ الأيمان أن المرشد العام لم يستقل، واعترفوا أنه استقال فعلًا. يحكي ذلك صالح عشماوى في مجلة (الدعوة الإخوانية عدد (١٥١) الصادرة في ٢٩ ربيع الآخر ١٣٧١هـ الموافق ٥ يناير ١٩٥٤م): «.. ويشاء الله، بعد مرور عام أو أكثر أن تظهر الحقيقة، فقد أصدر المركز العام للإخوان المسلمين نشرة من وضع الأستاذ عابدين السكرتير العام وبموافقة الأستاذ الهضيبي المرشد العام يشرح فيها الأحداث الأخيرة من وجهة نظره تبريرًا لموقفه من قرار الفصل المزعوم للإخوان الثلاثة، وقد جاء في هذه النشرة اعتراف صريح باستقالة الأستاذ حسن الهضيبي في الصيف الماضى.» اهـ.

وقد أكد الدكتور خالد عودة نجل المستشار عبد القادر عودة أن استقالة المرشد ثابتة، وأنه لا يزال يحتفظ بها، فقال: «الناس يمكن لا تعرف حاجة غريبة أنه فضيلة المرشد الأستاذ الهضيبي قدم استقالته بالفعل يوم ٢١ أكتوبر وموقعة وموجودة هي عندي الأصل موجود، واحتفظت به طوال هذه السنين» (الجزيرة نت ١/ ١/ ٢٠٠٧ م).

❋❋❋



كذب القرضاوي على الصحافة

تحدث القرضاوي عن نشأة الدعوة في السبعينيات، وأنكر دور الرئيس السادات قائلًا في جريدة (آفاق عربية. ١٦ شعبان ١٤٢٥هـ): «وهكذا ولدت الصحوة ولادة طبيعية، ومن هنا لا أجد معنى للذين يزعمون أنها نشأت بفعل فاعل، وصنع صانع، وأن الذي صنعها هو الرئيس السادات» اهـ.

أما ما ورد ضد ذلك، فقد قال في جريدة (الأهرام. ١ أكتوبر ٢٠٠٤م): «وكنت أقول دائمًا وبصراحة: إنَّ الصحوةَ الإسلاميةَ المعاصرةَ بدأت في مصر وانتقلت منها إلى بلاد عربية وإسلامية شتى، فقد بدأت أول ما بدأت حينما جاء الرئيسُ السادات رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأخرجَ الناسَ من المعتقلات، وأغلقها، وترك للناس الحرية، ونادى بسيادة القانون، وأصبحت هذه الصحوةُ بعد انطلاقها في مصر تملأ الآفاق في المشرق والمغرب» اهـ.

❊ ❊ ❊

كذبة الوظائف

من أجل التزلف إلى الأمراء والسلاطين لحصد الوظائف والمراكز، خاصة في دول الخليج زعم القرضاوي أن الإخوان كانوا محرومين من الوظائف في زمن عبد الناصر، فقال في جريدة (آفاق عربية. ١٤ أكتوبر ١٤٢٥هـ) إنه: «الرجل الذي منعنا من حقنا في وظائف الدولة، ونحن أولى الناس بها بمقتضى مؤهلاتنا وتقدمنا في ترتيب الناجحين» اهـ، غير أنه كذب نفسه في هذا الأمر في كتابه (ابن

القرية والكتاب ٢/ ٢٤٨) قائلًا: «عقدت مسابقة لتعيين وعاظ بالأزهر وأئمة وخطباء بالأوقاف، وقدمت فيها أنا وعدد من الإخوان، وبعد نجاحنا كان للشيخ الباقوري - وزير الأوقاف - موقف رجولة وإنسانية لا أنساه، وهو أنه عارض رجال الأمن، وقال: سأعينهم على مسئوليتى في أعمال غير الخطابة والتدريس. وفعلًا كانت وظيفتنا الرسمية: الإمامة والخطابة، ووظيفتنا الفعلية التي انتدبنا لها - نحن العشرة - العمل بقسم النظارة والأوقاف!» اهـ.

❊ ❊ ❊

قرض وأرض من أمير قطر

قال القرضاوي: «في يوم من شهر رمضان في هذه السنة ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، وبعد درس من دروس العصر، سألني الشيخ خليفة أمير قطر: هل تملك بيتًا في قطر؟ قلت له: يا طويل العمر، أنا أسكن على حساب قطر، قال: يعني بالإيجار؟ قلت: نعم. قال: ألا تحب أن يكون لك بيتًا تملكه؟ قلت: بلى، ومن ذا الذي لا يحب ذلك؟ قال: وما يمنعك من ذلك؟ قلت وأنا أضحك: المصريون يقولون في مثل هذه الحالة: العين بصيرة، واليد قصيرة. قال: سآمر لك بأرض وقرض، يساعدك على البناء. وقد تم كلُّ شيء فعلًا بسرعة، وتسلمت الأرض، وتسلمت القرض، وكانت هذه المنحة تأكيدًا لجنسيتي القطرية» (موقع القرضاوي أون لاين نت).

ومن أجل ذلك لم يعبأ القرضاوي بما أصابَ الإخوان من ضرر بالغ بسبب تعزيته لعبد الناصر - الذي وصفه الإخوان بالفرعون الذي فاق ظلمه ظلم فرعون الأول، الذي ادعى الربوبية، وفرق الجماعات، وذبح الأطفال، واستباح

النساء والأموال - لما له من مكانة بالغة في قلوب أهل قطر والخليج جميعًا.

قال القرضاوي في (الجزء الثالث من ابن القرية والكتاب «عبد الناصر في الميزان»): «ونقل خبر تعزيتي في عبد الناصر إلى الإخوة في الكويت وغيرها مجردة عن دواعيها وملابساتها، فإذا بي أواجه حملة شعواء من الإخوان علي، أني عزيت في الطاغية الذي عذب الإخوان، وعطل دعوتهم، وعوق مسيرتهم، وفعل بهم الأفاعيل، وكان بعض الإخوة السطحيين المساكين يتقربون إلى الله تعالى بالتشنيع علي، والنيل من عِرضي، وكأني لست ممن ابتلوا بجحيم عبد الناصر، ولا ممن ذاقوا الويلات على يديه» اهـ.

القرضاوي كان باعترافه في صف الإخوان المنضمين لعبد الناصر إلى ما بعد الثورة، وكان مصنفًا وقتها من جملة العملاء والخونة، وكان يذاع في نشرات الإخوان السرية أن: «القرضاوي والعسال قد مرقا من الدعوة، وانضما إلى ركب الخونة، وعلى الإخوان أن يحذروا منهما، وقد استجاب الإخوان لذلك، وهذا أمر شائع في الإخوان» (سيرة ومسيرة. ٢/ ٧٧).

❋ ❋ ❋

إعدام سيد قطب وهو ميت

ذكر المستشار على جريشة في بعض رسائله أن سيد قطب لم يعدم شنقًا، وإنما مات وهو يصلى، وقد شهد بذلك في مقال له بعنوان: «سيد قطب. عملاق في زمن الأقزام» (إخوان أون لاين. نت ٧/ ١١/ ٢٠٠٦م) وفيه قال: «وعلمنا - أخي سيد - أنك طلبت قبل التنفيذ أن تصلي ركعتين، ودعوت في السجود أن

يقبضك الله قبل أن يصلوا إليك، واستجاب لك ربك، فقبضت وأنت ساجد، لكنهم أصروا أن يعلقوك على حبل المشنقة!! ليعطوا التمام إلى (رئيسهم) أنهم نفذوا فيك حكم الإعدام» اهـ.

❁ ❁ ❁

صياحات محمد عاكف

زعم عاكف أن عبد الناصر سجن من الإخوان عام ١٩٦٥م ما يقرب من ثلاثين ألفًا في ليلة واحد. فقال: «ويكفي أن نشير إلى أن سجون مصر امتلأت عن آخرها بما يقرب من ثلاثين ألفًا من الإخوان المسلمين في ليلة واحدة في ستينيات القرن الماضي» (نافذة مصر ٢٣ - ٨ - ٢٠٠٧م).

وهذا من الأكاذيب الواسعة التي تنبىء عن عظم تأثر الإخوان بالأحلام والكوابيس؛ فقد أنشئوا في السجون وكالةً أطلقوا عليها اسم «وكالة أبشروا» فالثلاثة آلاف صارت ثلاثين ألفًا، والحقيقة أنَّ الذي دخل السجن عام ١٩٦٥م كانوا ثلاثة آلاف إخواني فقط، وذلك بشهاد السيسي في كتابه: (في قافلة الإخوان - ص: ٦٧٠) حيث قال: «وهكذا أنهت نيابة أمن الدولة العليا التحقيق في قضية الإخوان رقم ١٢/ ١٩٦٥م مع أكثر من ألف شخص من حوالي ثلاثة آلاف من الإخوان المعتقلين في زنازين السجن الحربي» اهـ.. أما الذين قبض عليهم عام ١٩٥٤م فقد كانوا ثمانمائة إخواني فقط، ولم يكونوا ثمانمائة ألف. قال السيسي في كتابه (في قافلة الإخوان - ص: ٥٧٨): «فقد بلغ عدد المحكوم عليهم بأحكام مختلفة حوالي (٨٠٠) ثمانمائة من رجال الإخوان أودعوا جميع السجون» اهـ.

وهناك أحوال تدل بالضرورة على أنَّ السجونَ لم تكن تعذيبًا مستمرًّا. ففي السجن الحربي ألف الأستاذ عبد القادر عودة كتابه «التشريع الجنائى» في السجن عام ١٩٥٤م. كما ألف الأستاذ سيد قطب كتابه في ظلال القرآن من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م في السجن، واقتبس منه المعالم عام ١٩٦٢م، وكانت هناك تسهيلات أخرى عدها الإخوان من جملة أخطاء عبد الناصر، قال أحمد رائف:

«وقد أخطأ عبدُ الناصر مرتين: الأولى: عندما اعتقل وعذب ونكل.. والثانية: عندما تركهم يعيشون سويًّا في معسكر يفكرون ويناقشون» (الصفحات - ص: ١٢٩)، وهذه بعضُ الحقائق التي اعترفَ بها الإخوان في سجون شمس بدران، قال محمود عبد الحليم: «وقد رأينا أن نستغل هذه الفترة بما فيها من حرية التنقل داخل السجن في عمل نافع، فقسم الإخوان أنفسهم إلى جماعات، تضم كل جماعة المشتغلين بمهنة واحدة، وعلى كل جماعة أن تنظم لنفسها اجتماعات دورية تناقش فيها شئون مهنتها من الوجهة العلمية والعملية» (أحداث التاريخ ٣/ ٤٨٩).

وفي سجن قنا: «سمحت إدارة السجن للإخوان بمباشرة أنواع الرياضة البدنية، فتحددت مواعيد بعد العصر لمباريات كرة القدم بين فريقين من الإخوان، وكذا كرة السلة، وكذا الكرة الطائرة، أما طابور الجري فيقوم به كل أخ على انفراد» (في قافلة الإخوان. السيسي - ص: ٧٨٧).

أما الأنشطة الفنية والمسرحية، فقد قال عبد الحليم: «أقام الإخوان الفنانون مرسمًا في إحدى حجرات الدور الذي يسكن فيه الإخوان، وباشروا هوايتهم الفنية في رسم المناظر والمشاهد الفنية على لوح من الخشب أو القماش وبمساحات مختلفة، وكانوا يعرضونها للبيع، وتكون الحصيلة لصالح خدمات الإخوان، كما كانوا

يقدمون بعض اللوحات كهدايا لبعض الزوار من قيادات السجون» (أحداث صنعت التاريخ ص: ٧٨٧)، وقال محمد عاكف: «فقد مثلت أنا ومجموعة من الإخوان في عام ١٩٥٤م عدة مسلسلات ومسرحيات، قالت قيادات السجن: إنها تصلح لتكون أعمالًا تلفزيونية كبيرة» (الأسرة العربية. ٢٠ فبراير ٢٠٠٦م).

❁ ❁ ❁

أحداث لومان طرة

أما ما وقع في أول يونيو عام ١٩٥٧ في سجن لومان طرة؛ فقد تسبب فيه شاب متهور من شباب الإخوان.. حيث قام بخطف سلاح أحد ضباط السجن الحربي، ثم حبس الضابط معه في الزنزانة، فتسبب ذلك في وقوع مواجهة بين الضباط الحربيين وبين الإخوان قتل فيها بعض الإخوان.

قال الأستاذ إبراهيم قاعود في كتابه (الإخوان الحقيقة الغائبة): «وحدث أنه في يوم من الأيام دخل أحد الضباط العنبر الذي يوجد به الإخوان، وحاول إدخالهم الزنازين في وقت الفسحة، فانتزع منه بعض الإخوان مسدسه، وأدخلوه في زنزانة من الزنازين، فثارت ثائرة القائمين على السجن، ووجدوا أنها الفرصة الملائمة، فاستدعوا فرق المتطوعين في الجيش بأسلحتهم، ووقفوا على سطح العنبر، وأخذوا يطلقون النار على من فيه، ثم دخلوا إلى الزنازين، فقتلوا (٢٢) في تلك الجريمة البشعة، وانتهى الأمر بحفظ التحقيق في هذه القضية، وقالوا: إنها ثورة في سجن» اهـ.

❁ ❁ ❁

كذبة التلمساني في حق الملك فاروق والملك عبد العزيز

زعم التلمساني أن الملك فاروق زار حسن البنا في المستشفى الذي مات فيه، وبصق في وجهه وهو نائم.! فدعا عليه أن يمزق الله ملكه، فقال: «وقبل أن يلفظ النفس الأخير جاء فاروق إلى القصر العيني شامتًا ومتشفيًا، وبصق على الإمام، ففتح عينيه، وقال لفاروق: مزق الله ملكك. وكانت أبوابُ السماء مفتحةً، فاستجاب الله الدعاءَ، وتمزق ملكُ فاروق إلى الأبد» (ذكريات لا مذكرات - ص: ١٠٥).

وقد كذَّب فريد عبد الخالق تلك الأكذوبة، قائلًا: «والله أنا شخصيًّا أستبعد هذا مع احترامي للقائل» (الجزيرة ١٤/ ١/ ٢٠٠٤م)، وزعم التلمساني أن الملك عبد العزيز حذر الملك فاروق من حسن البنا، فقال في كتابه: «قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر» فقال: «وقد علم العالم كله! أن المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود عندما لمس قوة الإخوان المسلمين حذر الملك فاروق من خطورة دعوة حسن البنا، وانتهى هذا التحذير بعد ذلك باغتيال الإمام الشهيد حسن البنا» اهـ.

وقد أفسد محمود عساف ادعاءات التلمسانى، وأكد أن المملكة: «استضافت كثيرًا من الإخوان ورعتهم، والفضل في ذلك يرجع إلى ما كان بين الملك عبد العزيز آل سعود والإمام حسن البنا من روابط وثيقة» (مع الإمام الشهيد - ص: ٥٩).

❊ ❊ ❊

تطوير الأزهر بين الباقوري والتلمسانى

قال التلمسانى في كتابه (قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر): «إن أكبر

إساءة وجهها عبد الناصر إلى الدين الإسلامى هي الجريمة الكبرى التي صرف بها الأزهر عن مهمته الكبرى في تدريس العلوم الدينية وإتقانها، إنها الجريمة التي سماها تطوير الأزهر» اهـ، والحقيقة أن الذي خطط لتطوير الأزهر هو الشيخ الباقوري أحد أقطاب الإخوان، وليس عبد الناصر، وقد أكد ذلك محمود عساف بقوله: «واشتغل الباقوري بالوزارة، وأعاد تنظيم الأزهر، وأدخل به الكليات التي تخرج العاملين لصالح المجتمع من مهندسين وأطباء ورجال أعمال ورجال قانون وعلم تطبيقي فضلًا عن كلية للبنات فيها ذات التخصصات» اهـ.

❋ ❋ ❋

ادعاءات عبد المنعم أبو الفتوح وباطنية عصام العريان

منذ ما يقرب من أربع سنين أو يزيد صرح د: عبد المنعم أبو الفتوح في جريدة العربي أنه: «لا مانع من ترشيح الزنديق والمسيحي لرئاسة الجمهورية، وهذا رأى الجماعة بأسرها» (العربى: ٥ أكتوبر/ ٢٠٠٣م) (آفاق عربية. ١٧ فبراير ٢٠٠٥م) وعندما سئل عن موقع حديثه من الجماعة قال: «وأود تأكيد أن كل ما يصدر عني من آراء وتصريحات إنما هو رأي المدرسة التي تربيت فيها - مدرسة الإخوان - وهو رأي جل الجماعة ومكتب إرشادها» (آفاق عربية. ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م).

وظل عبد المنعم أبو الفتوح يردد هذا الكلام في جميع الصالونات، حتى أظهر برنامج الحزب الجديد رفض الجماعة ترشيح المسيحي لولاية الدولة.. وتكذيب صريح لأبي الفتوح، فيهب ليؤكد أن الجماعة عن بكرة أبيها تؤمن بجواز ذلك، قائلًا: «رفض الترشيح ليس في محله، ويتناقض كليًّا وجزئيًّا مع مضمون البرنامج

من الدعوة للتوافق الوطني، وحق المواطنة واحترام الآخر، كما أنه يخالف كذلك ما تضمنته مبادرة الإصلاح التي أعلنت عنها جماعة الإخوان المسلمين قبل عامين.. وعدم الترشيح يعد مصادرة على حق حرية الرأي، وبالتالي يبقى مصادرة لآراء الشعب، وأنا لست الشعب» (إسلام أون لاين ٩ أكتوبر ٢٠٠٧م).

ولكن الدكتور محمد موسى كذب ذلك قائلًا: «إنَّ كافة قيادات الجماعة قد أجمعت على رفض ترشيح المرأة وغير المسلم للرئاسة، وذلك بناء على أدلة شرعية راجحة لدى الجماعة، نافيًا بشدة وجود اتجاه داخل الجماعة لمراجعة رأيها في هذا الشأن» اهـ، ورد على العريان الذي دعا إلى إخفاء وجهة نظر الإخوان فيما يخص تلك المسائل قائلًا: «كان من الأفضل الصمت في هذا الشأن، مشيرًا إلى أن الصمت وإن فسره البعض كأنه حالة من الغموض - أفضل من أن تقدم طرحًا لا يجاري رغبات المجتمع ونخبه السياسية» (الشرق الأوسط. ١٦أكتوبر ٢٠٠٧م).

فبين الدكتور مرسي أن هذا الطريق الذي يدعو إليه الدكتور العريان قسم من أقسام الخداع والتلون، فقال: «أما أن يطالبنا البعض بأن نترك هذا البند دون أن ننص عليه فنحن نقول له: إننا نعرض رؤيتنا على الأمة، وليس لدينا أي استعداد لخداعها، ولكننا سنعرض ما نراه مناسبًا من وجهة نظرنا بما يتفق مع ثوابت الدين الإسلامى» (نافذة مصر. ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٧م).

وفي ٢٠١١م صرح الإخوان على لسان المرشد محمد بديع بجواز ترشيح المسيحي لرئاسة الدولة، وقد أكد محمد عاكف أنه لا مانع من أن يترأس حزب الإخوان الجديد رجل مسيحى، وقال: لا مانع من قبول الراقصات إذا تبن إلى الله، ولبسن الحجاب، وقال كمال الهلباوى: «لو نزل جورج إسحاق الانتخابات

وهو صديقي سأصوت له، وأيضًا ليس عندي مانع أن ترشح أي امرأة نفسها للانتخابات، ولو في بلدنا امرأة مثل تاتشر ستكون أحسن من كل الحكام العرب، وسأصوت لها طالما في صالح بلدنا» (موقع المصريون ٧/ ٤/ ٢٠١١م).

❋ ❋ ❋

التقية والتلون في حركة الإخوان

التقية: خلق ردىء يشبه النفاق، وهي ركن ركين في دين الشيعة الروافض.. حكى الشيعة زورًا في كتبهم أن جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «التقية ديني ودين آبائي» (المنتقى. ٨٦) والتقية مفاسدها كثيرة. ففيها يحدث المرء بما لايعتقد؛ ويظهر خلاف ما يبطن، وبها يضيع مفهوم الولاء والبراء، ويختلط الحق بالباطل.؟ وقد أمرنا الله تعالى أن نقولَ الحقَّ أينما كنا، لا نخاف فيه لومةَ لائم، قال الشيخ صالح بن عبد العزيز: «أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها» اهـ.

ولله در محمد عبد الجليل القدسي حين قال:

واحذر من الإخوان حقًّا إنهم ... حزب تعدى شرعة الرحمن
أخذوا التلون والنفاق شعارهم ... ورضوا بتقليد لذي الطغيان

وقد سلك الإخوان مسلك التقية في دعوتهم؛ من أجل احتواء الناس واستيعابهم.. فقد كان حسن البنا مسالمًا للملك مبايعًا له، وهو في حقيقة الأمر يعد العدة للانقلاب عليه، وفي زمن الاشتراكية سايروا الثورة، وقالوا: الإسلام

هو الاشتراكية، وطالب سيد قطب ضباط الثورة بتطبيق ما يسمى بالديكتاتورية العادلة، في نفس الوقت طالب أغلب الإخوان بعودة ضباط الجيش إلى الثكنات.. وعندما ألغى الرئيس عبد الناصر الأحزاب، وأصدر قانونًا بحلها عام ١٩٥٣م كان الإخوان أول من هلل لذلك وفرح به.. وعلى العكس من ذلك في زمن الديمقراطية رفع الإخوان راية التعددية الحزبية والديمقراطية ودافعوا عنها، وهم الآن أكثر الناس تحالفًا مع الشيوعيين في الانتخابات البرلمانية لتحقيق أغراضهم من الوصول إلى سدة الحكم.. فهم يتلونون بالزمن الذي يعيشون فيه.. وقد كانوا يتقلبون في الأحزاب تقية؛ ليصلوا إلى أغراضهم.. وحين وقعت الحوادث الإرهابية نظر أكثرهم إليها بأسلوب المنفعة العائدة قبل أن يذكروا حكم الله فيها.

قال أبو العلا ماضي: «إذا تكلمت عن الإخوان فلم يكن دورهم ضد الإرهاب بنفس الدرجة.. ففي داخلهم كان هناك من يرى ضرورة رفض العنف بكلِّ أشكاله، والبعض كان يسكت عنه كما لو أنه يذكره بسلوكيات قديمة، واعتقد البعض أن الإرهاب يمكن أن يخدم أهدافهم مع الوقت، فالحقيقة أن الإدانة لم تكن كاملة» (العربى. ٢٨ ديسمبر٢٠٠٣م).

فقضية توزيع الأدوار بين النفي والإثباتِ وعدم وضوح المنهج - سلوك باطني تفننت فيه جماعة الإخوان، فقد حذر صلاح الصاوي من: «التورط في إدانة الفصائل الإسلامية مهما تورطت فيه من أعمال تبدو منافية للاعتدال والقصد» (الثوابت والمتغيرات - ص: (٢٦٤))، ثم انتقل إلى توزيع الأدوار، فقال: «مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقومَ فريق من رجاله ببعض الأعمال الجهادية، ويُظهر عليها النكير آخرون» (الثوابت والمتغيرات، ص (٢٦٥)).

غير أن المتفق عليه بعد توزيع الأدوار عزو جميع المصائب إلى فساد الحكم والحكام والبطالة المنتشرة في المجتمع، وهذا يكون كما قال الصاوي: «بتنسيق مسبق وتوزيع متبادل للأدوار» (الثوابت والمتغيرات. ص (٢٦٤)).

هذا هو دأب الإخوان، وقد ذهب عصام العريان إلى مفهوم غريب في قضية المواطنة انتهى فيه كما تقدم إلى أن الغموضَ في الأمر أولى من التصريح والبيان.

ولم يقفْ حد التلون على المستويات المحلية، فكذلك على المستوى الدولى؛ فإخوان العراق مع الأمريكان في مجلس الحكم الانتقالي.. وإخوان مصر يلعبون على الحبلين.. والتنظيم الدولي مع صدام ضد الكويت، وإخوان الكويت ضد صدام، وإخوان حماس متحالفون مع النظام في سوريا مع كون النظام السوري يوقع عقوبة الإعدام على من ينتمي للإخوان، فهو تنظيم واحد - زعموا - ولكنه بأيدلوجيات مختلفة، وهذا هو الذي جعله متناقض الوسائل والغايات.. ولا مانع عنده من التآخي مع الأعداء، ولو كان هذا التآخي ضد مصلحة الإخوة والمنهج، وأهل مكة أدري بالشعب، ولا تقل: أستاذية العالم ولا وحدة الفكر والمنهج.

فالقضية متعلقة بالوسائل والأيدلوجيات الفكرية والتكتيكات السياسية.. وقد أكد حقيقة هذا التلون العلامة مقبل الوادعى، فقال في (تحفة المجيب - ص: (٢٠٣)): «فهم يأتون السّني بالوجه السني إذا احتاجوا إليه، والبعثي بالوجه البعثي إذا احتاجوا إليه، والشيوعي بالوجه الشيوعي.. والشيء بالشيء يذكر فعند أن كنا في الجامعة الإسلامية يصرخون ويقولون: الشيوعية احتلت البلاد وأنتم تبقون تدرسون هاهنا.. فهم يستغلون الفرص ويستثيرون الناس، ولما جاءت الشيوعية انسدحوا لها، وأهلًا وسهلًا بالأخ على سالم البيض.. فهم ليس لهم مبدأ..» اهـ.

التقية في منهج حسن البنا

كان لحسن البنا ممارسات ضليعة في التقية والمناورة، خاصة مع الملك فاروق، فهو ينفي أن تكون الثورة طريقًا من طرق التغيير، ويرفع إلى الملك أسمى آيات الولاء، بينما هو في الحقيقة يخطط بسرية بالغة للثورة، وقد أكَّد محمود الصباغ أن حسن البنا كان يعمل بالخداع في البيان الذي أصدره عقب تفجير محكمة الاستئناف، «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين» وبين أن المرشد لم يقصد التبرؤ من هؤلاء الشباب في الحقيقة، إنما كان فقط يريد خداع الدولة» (التنظيم الخاص - ص: (٤٥٢)).

❋ ❋ ❋

تدبير المكائد... حسن البنا والكشكول الجديد!

على أثر هجمة شرسة تعرض لها حسن البنا وجماعته على صفحات وجرائد الوفديين رموا فيها حسن البنا بالشيخ الماجن، وقالوا له كما حكى محسن محمد ص / (١٩٤) من كتابه: «من قتل حسن البنا؟»: «أنت تزاول نوعًا من السياسة هو أرخص وأقذر الأنواع. هو أقبح سياسي لعب على مسرح السياسة في الجيل الحاضر، إن العفن والقاذورات والألفاظ النابية بل الجرائم المنكرة - مصدرها وكر الإخوان، أما من الذي أيقظ الفتنة فهو أنت أيها المرشد المضلل. إلى زعيم عصابة الإخوان. إلخ» اهـ.

كيف فكر حسن البنا في الرد؟

قال محمود عساف: «فكر الإمام حسن البنا فيما ينبغي فعله لمواجهة شتائم جرائد الوفد والرد على سفالتهم، وكانت الفكرة جديدة لم تخطر على بال أحد

وكلفني بتنفيذها، تلك الفكرة هي إصدار مجلة مستقلة تنبري في الرد على جرائد الوفد بذات الأسلوب!» (مع الإمام الشهيد. مكتبة عين شمس).

ونسي حسن البنا ما ألزم به نفسه في «رسالة دعوتنا» في كيفية التعامل مع المتحامل الذى: (أساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، وهذا سنظل نحبه، و نرجو فيئه إلينا واقتناعه بدعوتنا، و إنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى ﷺ من قبل: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**») اهـ.

واستبدل بهذا المبدإ الإسفاف والابتذال، وأصدر حسن البنا مجلة الكشكول الجديد.. وأدى محرروا الإخوان وأصدقاؤهم الساخرون دورهم المنوط بهم، كما أمروا به.. حتى انكشف أمرهم... فهل سيتحمل المرشد العام نتيجة فكره وخططه؟ ويقول: أنا الذي دبرت المكيدة، وخالفت القواعد التي وضعتها لكم. أم أنه سيتبرأ من المخالفين في الظاهر، ويقول «ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين»؟

الجواب: تصنع المدبرون الاستقالة وقدموها إلى المرشد؛ ليتحملوا بمفردهم سوء أعمالهم؛ حتى لا تشوه صورة الجماعة والمرشد، وقالوا: إنَّ منهجنا يخالف منهج الإخوان.. وذلك بعد صدور أربعة أعداد من المجلة (انظر مع الإمام الشهيد - ص: (١٨٩)) فقال لهم المرشد: «فقد تلقيت استقالتكما من الإخوان المسلمين، وقرأت ما كتبتماه عن ذلك في مجلة الكشكول في عددها، وعرضتها على الهيئة التأسيسية للإخوان، فوافقت عليها، وقال لهم: «إني وإن وافقتكما موافقة تامة في وجوب محاربة الحزبية والاستعمار ومقاومة المبادئ الهدامة الفاسدة كائنة ما كانت، فإني لا زلت أخالفكما في الأسلوب على الصورة التي رأيتها في الكشكول الجديد» (مع الإمام الشهيد - ص: (١٩١ - ١٩٢)) تبرأ منهم، وزعم

أنه يخالفهم في الأسلوب، وهو الذي دبر لهم الخطة، ووجههم إلى مواجهة السباب بالسباب، والسفالة بالسفالة.

حتى إنه لم يرتض لجريدة الإخوان الرسمية أن تنزل إلى هذا المستوي الوضيع في المواجهة، كما بدا واضحًا في قوله: «لا سبيل للرد على سباب الوفد إلا بمثله! بأسلوب رادع بشرط ألا يمس تاريخ وأدب الإخوان» (مع الإمام. ص. (١٨٤ – ١٩٤)).

ولا يزال الإخوان إلى الآن على نفس النهج. ما يتحرجون منه لا يكتبونه في صحفهم الخاصة، إنما يكتبونه في صحف العامة، حتى إذا انكشف أمرهم كذبوا الصحفي والصحيفة، أو اتهموه بعدم فهم كلام المرشد، ولا مانع من التضحية ببعض الأفراد من الإخوان لمصلحة الجماعة، ولا شك أن هذا النوع من التفكير يفسر حقيقة علاقة حسن البنا بجميع الجرائم التي ارتكبها الإخوان في زمنه والأزمان التي تلته.. يدبر في الخفاء، ويظهر الإنكار في العلن.

❋ ❋ ❋

التقية في الأحكام

ومما يؤكد سلوك التقية في سلوك حسن البنا – أنه كان يصف الملك فاروق بالوطني الأول الحريص على الإسلام، في الوقت الذي كانت فيه مشاعر الإخوان ضد الملك، ففي أحد رسائله قال للملك فاروق: «يا مولاى، لقد برهنتم جلالتكم في كل موقف على اعتزازكم بتعاليم الإسلام، وحرصكم على أن تسود الروح الإسلامي النبيل مظاهر حياة شعبكم المخلص، وكنتم في ذلك خير قدوة» (النذير. العدد الثانى. ٦ ربيع الثاني ١٣٥٧هـ) وفي رسالة أكتوبر ١٩٤٦م قال له:

«إن جلالتكم - وأنتم الوطني الأول - خير من تتحقق على يديه الآمال، وتنصلح بسامي حكمته وجميل إرشاده وتوجيهه الأحوال» (أحداث التاريخ ١/ ٤١٩) غير أن حقيقة الأمر داخل المجتمع الإخواني كانت بخلاف ذلك؛ فقد وصفوه بعد الثورة بالطفل، الغر الفاسق، اللص، الطاغية.. خلافًا لما وصفه حسن البنا. فقد قال عنه الهضيبي الذي كان يسارع إلى سجل التشريفات الملكية مؤيدًا ومحييًا أنه: «طفل صغير، لا أشعرُ نحوه بأي رهبة ولا حتى باحترام» (أحداث التاريخ. ٢/ ٥١٥) ووصفه الغزالي بالغر، في كتابه (الإسلام المفترى عليه - ص: (١٤)) قائلًا: «فقد طرد مليكها الغر (فاروق) شر طردة، وهتكت الأستار عن الفضائح المخزية، التي طالما ارتكبها هذا الفاسق وأعوانه» اهـ، وجعله في موضع آخر من أكبر الأصنام: «إن الحملات التي شنناها على الأصنام قد انتهت بتحطيم أكبر الأصنام قدرًا» (الإسلام المفترى عليه - ص: (١٤)) ورماه سيد قطب بالسطو، قائلًا: «لم تكن أسرة ملكية بقدر ما كانت عصابة للسطو المنظم وغير المنظم، عصابة شريرة باغية، لا تعرف عدلًا ولا رحمة ولا خلقًا ولا ضميرًا» (مجلة الدعوة عدد (٨٣). ١٦ ذو الحجة ١٣٧١هـ) هؤلاء جميعًا كانوا يحيون الملك في المظاهرات والهتافات على هذا النحو. «يعيش الملك.. يحيا الملك» قال أحمد رائف: «وكانوا ينظمون المظاهرات تهتف بحياة الملك أثناء ذهابه إلى البرلمان» (صفحات من تاريخ الإخوان - ص: (١٣٠)).

فهل كان هذا التلون بعلم حسن البنا؟ وهل تأثر الإخوان بطبيعة تكوينه وهزيمته الداخلية، التي أثبتها سيد قطب؟ أم أنهم تأثروا بأسلوب إدارته للحوار مع أصحاب المذاهب المتعددة وتقربه إليهم، كل حسب مذهبه؟

والجواب: نعم، كان حسن البنا يظهر للواقع خلاف ما يبطن، وكان يتعامل بالتقية التي تعلمها من نواب صفوي الشيعي والكاشاني وتقي الدين القمي.

فقد كان يمدح الملك في رسائله الشخصية غير أنه كان في حقيقة الأمر يسبه. وكان يقول: «إننا لا نثق بهؤلاء الطغاة.. الذين يستمدون سلطانهم من الطاغية الأكبر، وكان يسميهم العبارقة أي عبيد فاروق. قال العسال: «كان يعلم أن المجد وأن العز وأن الحرية لن تنال بمغرم يتصدق عليه به طاغية مجرم مفتون - فاروق - ثم رماه بالكفر وجعله من أهل النار قائلًا: لا يسعنا أن نقول لمثل هؤلاء ونوجه إلى كل آثم منهم: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝٨﴾ [الزمر: ٨]» (فتحي العسال. الإخوان بين عهدين. ص / (١٠٦، ١٠٧)).

❊ ❊ ❊

الفكر التكفيري في دعوة الإخوان

تعد جميع الحركات التكفيرية المعاصرة امتدادًا وفيًّا لفكر الخوارج، الذين خرجوا على الخليفة الراشد على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد نشأ فكر التكفير في أروقة الكتابات الإخوانية قبل أن ينشأ في أروقة السجون المصرية، غير أن تحويل هذا الفكر إلى تنظيم محصور محدد المعالم، يقوم بتنفيذ مخططاته بعيدًا عن الارتباط بالمرشد العام أدى إلى فضح الحقيقة التي طالما سعى الإخوان في إخفائها حقبة من الزمان حتى يصلوا إلى الحكم.. عندئذ تنفجر جميع القضايا! وقد نفى بعض المعاصرين أن يكون فكر التكفير المنتشر في العالم الإسلامي خارجًا من عباءة الإخوان، قال عصام العريان: «ليس صحيحًا أن الجماعات المتشددة خرجت من

عباءة الإخوان» (محيط نت. ٥ إبريل ٢٠٠٦م) فهل هذه الادعاءات صحيحة.. ويكون فكر التكفير فكرًا طارئًا على الجماعة؟ أم أن فكر التكفير كان فكرًا «استراتيجيًّا» ثابتًا في منهج الجماعة، ولكنهم كانوا ولا يزالون يعمدون إلى التقية، فلا يظهرونه إلا بين الرفقاء والأصحاب، أو في فلتات اللسان، أو في الكتب والمؤلفات، أو عند مفترق الطرق ونزول المحن؟

وللإجابة على ذلك أقول: إن فكر التكفير فكر ثابت في جماعة الإخوان، له قواعده وأصوله العقائدية، وله واقعه، وله مشاعره الخاصة به.. حتى إن الواحد منهم كان يكفر صاحبه إذا اختلف مع الجماعة أو مع المرشد، وذلك قبل أن تظهر أحداث التعذيب التي وقعت إبان القبض على تنظيم ١٩٦٥م، وهذه مقدمات شاهدة على ذلك، منها: أن حسن البنا أخرج بعض أتباعه من دائرة الإسلام بسبب اشتراكهم في محاولة نسف محكمة الاستئناف، وقال: «هؤلاء ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين». وقد شهد محمود الصباغ أن هذا البيان كان خداعًا للدولة، غير أن المرشد كان مؤمنًا بالعملية التي استهدفت محكمة الاستئناف، فقال: «وهو أمر جائز شرعًا في الحرب ويعد من خدعه» (حقيقة التنظيم الخاص - ص: (٤٥٢)) ويعد قوله: «وهو أمر جائز شرعًا في الحرب» حكمًا صريحا على الدار. بأنها كانت دار كفر وليست دار إسلام.

وقد تجلى هذا الفكر في قطاعات كبيرة من أفراد الإخوان عقيب إصدار النقراشي باشا «رئيس وزراء مصر» قرارًا بحل جماعة الإخوان ومصادرة ممتلكاتها، حينئذ سارع قادة التنظيم السري بتكفير الدولة. قال الصباغ: «وقف رجال النظام الخاص للحكومة بالمرصاد عندما ثبت لهم بما لا يدع للشك أن الحكومة أصبحت

بفعلها هذا من المحاربين للإسلام، وأنه حق على كل مسلم مقاومتها بقوة السلاح كفرض عين فرضه الله على المسلمين كافة تجاه المحاربين من الكفار وأعوانهم، لا يحتاج أداؤه إلى أمر من قيادة، لأنه صادر من لدن حكيم خبير!» (حقيقة التنظيم الخاص - ص: (١٠٩)).

وفي موضع آخر صرح محمود الصباغ أن الأخ منهم كان يعتقد وهو راسخ الإيمان أن: «كل ما كان منه من مقاومة لهؤلاء الحكام هو الحق وفي سبيل الحق، فقد رأى بعينه إجرامهم الذي يعجز عن الوصف والبيان، واطمأن إلى أن صورهم اللامعة أمام الناس لا تخفي وراءها إلا قلوبًا متحجرة كفرت بربها وآمنت بالطاغوت، وجندت نفسها له في ذل مفرط تعبده من دون الله رب العالمين» (حقيقة التنظيم الخاص - ص: (٤٨)).

وقد كان العلامة المحدث محمود شاكر ينكر عليهم هذا التطاول في التكفير واستباحة الدماء، قائلًا: «.. هكذا تحكمون على الناس بالكفر؟ تحكمون. من أنتم؟» (مذكرات عبد العزيز كامل. ص / (٦٧)) وقبل انتهاء عام ١٩٥٤م، وقبل ظهور علة التعذيب بعشر سنين هرب الهضيبي من موقع الأحداث بالقاهرة إلى الإسكندرية، إبان اختلافه مع ضباط الثورة، وأصدر أول البيانات التي نادت بتكفير حركة الجيش، قال محمود عبد الحليم: «وقبل موعد الاجتماع بنحو ساعة فوجئنا بمنشور صادر عن المرشد العام يوزع على هؤلاء الإخوان، يحرضهم فيه على رجال الثورة ويرميهم بالكفر» (أحداث التاريخ. ٣/ ٤١٨) وقد كان فكر التكفير ملكة يتعامل بها الإخوان مع الخارجين على الجماعة، قال القرضاوى: «كنت أتحدث مع أحد وعاظ الإخوان المعروفين، وجاء ذكر الأخ الشيخ الغزالي

فقال لى: الغزالي لم يعد أخًا لنا، لا هو ولا إخوانه المفصولون من الجماعة» (سيرة ومسيرة - ٢/ ٧٧).

وقد اشتكى الغزالي من ذلك قائلًا: «كنت أسير مع زميلي الأستاذ سيد سابق قريبًا من شعبة المنيل، فمر بنا اثنان من أولئك الشباب المفتونين، أبيا إلا إسماعنا رأيهم فينا، وهو أننا من أهل جهنم»، ولما وجه النصح للهضيبي عامله معاملة الكفار. قال الغزالى: «فلما استغربناه وتأبينا عليه.. مقتنا الرجل أشد المقت، مقتنا كما يمقت الكفار والفساق» (من معالم الحق ص: (٢٠٦))، ولم يكن الغزالي بمفرده في ذلك فقد تعرض القرضاوي لمثل ذلك في النشرات السرية، فقال: وقد أذاعت هذه النشرة نبأ قالت فيه: «إن القرضاوي والعسال قد مرقا من الدعوة وانضما إلى ركب الخونة، وعلى الإخوان أن يحذروا منهما، وقد استجاب الإخوان لذلك.. وهذا أمر شائع في الإخوان» (سيرة ومسيرة - ٢/ ٧٧) وقد شهد فريد عبد الخالق بضلوع سيد قطب في ذلك، بقوله: «ألمعنا فيما سبق إلى أن نشأة فكر التكفير بدأت بين شباب بعض الإخوان في سجن القناطر في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات، وأنهم تأثروا بفكر سيد قطب وكتاباته، وأخذوا منها أن المجتمع في جاهلية» (في ميزان الحق - ص: ١١٥) وقال القرضاوى في كتابه: (أولويات الحركة - ص: ١١٠): «في هذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب، التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع» اهـ، وقد سبق سيد قطب في تكفير بني أمية... فقال في كتاب (العدالة الاجتماعية - ص: ٧٤): «فأمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبهم، وما كان الإسلام لها إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملابسات». وقال في معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فلا يأخذ أحد

الإسلام بمعاوية أو بني أمية؛ فهو منه ومنهم بريء» وقال في أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وما نفذ الإسلام إلى قلب ذلك الرجل» اهـ، وقد ترجم ذلك سيد بقوله: «لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين للبشرية، وانتكست البشرية بجملتها إلى الجاهلية.. شيعها جميعًا لا تتبع دين الله أصلًا. وقال: وعاد هذا القرآن يواجه البشرية كما واجهها أول مرة، يستهدف منها نفس ما استهدفه في المرة الأولى من إدخالها في الإسلام ابتداء» (الظلال - ٢/ ١٢٥٦).

وقال: «إن المسلمين الآن لا يجاهدون، ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون!» (الظلال - ٣/ ١٦٣٤).

وعلى الرغم من إنكار القرضاوي ما ورد في كتب سيد قطب من التكفير إلا أنه وقع فيما حذر منه، وكفر كل من انتقد الإخوان من مشايخ الأزهر وغيرهم، إبان ظهور تنظيم ١٩٦٥م، فقال: «كم غلى صدري، وتقطع كبدي، وأنا أقرأ لبعض هؤلاء الذين يلبسون لبوس علماء الدين، وحملة القرآن، وما لهم من الدين إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ولا من العلم إلا قشوره، فليسوا من الراسخين في العلم، ولكن من الذين في قلوبهم زيغ» (مذكرات القرضاوى. الجزء الثالث. محنة ١٩٦٥م).

هذا هو حكمه في خصوم الإخوان، أما كفار الملة فلهم النعيم المقيم والرحمة الواسعة.. فقد نعى القرضاوي بابا النصارى الكاثوليك ودعا له بالرحمة والمثوبة في الآخرة، وذلك في لقائه مع قناة الجزيرة برنامج الشريعة والحياة بتاريخ ٣/ ٤/ ٢٠٠٥م: «وقال - ربما يعني بعض المسلمين يقول - إنه لم يعتذر عن الحروب الصليبية وما جرى فيها من مآسي للمسلمين كما اعتذر لليهود. وبعضهم

يأخذ عليه بعض الأشياء، ولكن مواقف الرجل العامة وإخلاصه في نشر دينه ونشاطه، حتى رغم شيخوخته وكبر سنه، فقد طاف العالم كله وزار بلادًا ومنها بلاد المسلمين نفسها فكان مخلصًا لدينه وناشطًا من أعظم النشطاء في نشر دعوته والإيمان برسالته.. ثم قال: «لا نستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ما ما قدم للإنسانية وما خلف من عمل صالح» (موقع القرضاوى)، ولا شك أن هذا كذب صريح، وقول بغير علم، وتلبيس واضح في الملة، ورد للإسلام، وتكذيب للرسول والصحابة والأئمة، سيحاسبه عليه أحكم الحاكمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

❊ ❊ ❊

الإفلاس الجهادي في دعوة الإخوان

يرى الإخوان أنفسهم الجماعة الإسلامية المجاهدة في ميادين القتال، أما غيرهم فهم أصحاب فقه ودروشة، لا يأخذون الإسلام بشموله ولا يفقهون الواقع، إن لم يتهموهم بالعمالة، والانشغال بفقه الحيض والنفاس.. فالجهاد كان معطلًا ولم يظهر إلا في حركة الإخوان.. والأمة كانت ميتة ولم تبعث إلا بجماعة الإخوان! وفي خضم هذا المعترك يرفع الإخوان شعار: (الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا) ويزعمون أن ما من بلد تعرض للاحتلال إلا وكانوا في صدارة المجاهدين. يقول محمد عاكف: «لذلك بنقول: «الجهاد سبيلنا» و«الموت

في سبيل الله أسمى أمانينا» لماذا قاتل الإخوان في فلسطين؟ ولماذا قاتل الإخوان في العراق؟ ولماذا قام الإخوان بواجبهم الذي لا ينسى في الجزائر؟ وفي كل البلاد التي كانت محتلة؟» (إخوان أون لاين نت. ٢٢/ ٤/ ٢٠٠٦م).

فما حقيقة ذلك؟ والجواب: بالنظر في تاريخ الإخوان يتبين أن أغلب جهادهم في الإسلام جهاد خاص بالدفاع عن أنفسهم فقط، وجهاد خاص بإحداث الفتن.. ولن تهدأ البلاد ولن تستقر حتى يكون للإخوان رأي فيها.. وراجع في ذلك كلام الهضيبي لضباط الثورة وكلام صالح أبو رقيق وغيرهما.

ونتيجة لفشل الإخوان في الوصول إلى صورة الجهاد الحقيقية في الإسلام، ولرغبتهم في تحقيق نوع من الظهور في ميدان الجهاد اخترع الإخوان فكرة التفجيرات الجسدية لتحقيق غايتهم في الجهاد. فهي بدعة إخوانية نشأت في الخمسينيات من القرن الماضي.. وقد طرحت فكرة استخدام الحزام الناسف بين الإخوان أثناء الصراع بين عبد الناصر والإخوان قبل حادث المنشية ١٩٥٤م. قال سعد حجاج: «الحزام الناسف كانت فكرة تستخدم عند الهجوم على الجماعة، فلا بد من رد من جانبنا، وكنت أنا المرشح لحمل هذا الحزام واحتضان عبد الناصر والموت معه» (الصفحات - ص: ٥٠٩) وقد رفض علماء السلف وأهل الحديث تلك الطريقة وجعلوها نوعًا من الانتحار وقتل النفس.. راجع كلام العلامة العثيمين والإمام الألباني في ذلك.

وقد كانت المقاطعة الاقتصادية هي الفكرة السائدة في التعبير عن الجهاد في دعوة الإخوان.. وقد أفتى القرضاوي بحرمة شراء البضائع الأمريكية واليهودية، وقال: «فكل مسلم اشترى من البضائع الأمريكية والإسرائيلية ما يجد بديلًا له من دول أخرى فقد ارتكب حرامًا، واقترف إثمًا مبينًا وباء بالوزر عند الله،

والخزي عند الناس» (إسلام أون لاين - ٢١/ ٣/ ٢٠٠٤م).

والحقيقة أن المقاطعة التي يدعو إليها القرضاوي إنما هي تحويل لقضية دينية إسلامية إلى قضية اقتصادية لا خصومةَ فيها ولا نزاع.. والمصلحة فيها حسبما يرى الإمام، ولم يثبت أن النبي ﷺ كان يستخدمُ المقاطعة ضد يهود بني قينقاع وبني النضير، فضلًا عن الرومان، الذين كانوا يتربصون بالإسلام الدوائر، ومات النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي مقابل أرز اشتراه منه، مع ثبوت نقضهم السابق للعهود والمواثيق، وكان أنباط الشام يدخلون المدينة يبيعون الطعام، والصحابة يبتاعون منهم، وقد كان قيصر الرومان يعد العدة لقتال الرسول ﷺ.. قال كعب بن مالك: «فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نَبَطِيّ من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة - يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إلى حتى جاءني فدفع إلى كتابًا من ملك غسان» (متفق عليه - رواه مسلم - ٢٧٦٩).

أما الجهاد الثالث فهو في: الانتخابات؛ حيث يعتقد الإخوان أن العملَ في المجال السياسي هو الأساس الأول لإصلاح المجتمع، والوسيلة العظمى والاستراتيجية الكبرى لبناء الأمة وإعادة الخلافة، ومن أجل ذلك يتمرس الفرد الإخواني ويتربى على جميعِ محاور وأساليب اللعبة الانتخابية: من حيث التجسس على الأفراد، ونشر المنشورات التي تثير البلبلة، وتزوير البطاقات الانتخابية، وإعداد الهتافات الحماسية والبرامج الحزبية الملائمة، وتزكية المرشحين ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، هذا هو الواقع التربوي المعاصر. قال عاكف: «الإصلاح السياسي هو نقطة الانطلاق لإصلاح بقية مجالات الحياة» (آفاق عربية ١١ مارس ٢٠٠٤).

فالإخوان لا يريدون العلمَ ولا العلماء، إنما يريدون الشارع، فقد قال عاكف:

«إنما شرعيتي من الشارع كما ينص الدستور» (إسلام أون لاين. نت. ٨ - ٥ - ٢٠٠٥م)، والانتخابات في الغالب لا تخضعُ لقيم ولا لمبادىء، والشعب كله لا يحكم، وإن حكم فبضع ساعات، ثم بعد ذلك ينتهي الحكم إلى الأفراد، حيث لا يمكن أن يؤخذ رأي الشعب في كل قضية، ويبقى الحكم والقول للنائب، وليس هناك نائب يعبر عن ناخبيه في كلِّ قضية من القضايا المعروضة أمام البرلمان، إنما يكتفي برأيه الخاص فقط أو رأي الجماعة التي ينتمي إليها، والإخوان يريدون من الشعب المصري تفويضًا عامًّا؛ كي يتكلموا باسمه في جميعِ القضايا والمعضلات، والناس لا يعرفون عنهم ولا عن جماعتهم شيئًا إلا الشعارات الإسلامية التي يرفعونها، والتاريخ المجهول الذي يتغنون به، وهم في نهاية الأمر يلعبون على مشاعر العامة، وينصبون أفرادًا لا علم لهم ولا دراية، وبهذين الوجهين تفسد الأمم، وتذبل القيم، ويضعف الدين.

❊ ❊ ❊

مواقف الإخوان الجهادية في مصر وفلسطين

١ - موقف الإخوان من الاحتلال الإنجليزي لمصر:

أما بشأن الاحتلال الإنجليزي فقد طالب حسن البنا في ١٩٤٥م، ١٩٤٦م في مؤتمرين من مؤتمراته، بقطع المفاوضات مع الإنجليز وبإبطال معاهدة ١٩٣٦م، وإخراج القوات الإنجليزية من مصر، بلا قيد ولا شرط، وبين أن المفاوضات مع الإنجليز غير مجدية، ولا بد من الجهاد، وإن لم تفعل الحكومة ذلك فهي حكومة عميلة يسقط طاعتها، كما جاء في كتاب: (التربية السياسية عند الإخوان - ص:

١٥٢ - ١٥٥) فقال: «الحكومة التي لا تحقق تلك المطالب من قطع المفاوضات وإعداد الأمة للجهاد وغيرها - هي أداة استعمارية تسقط طاعتها عن المحكومين» اهـ.

غير أنه عام ١٩٤٧م سلك طريقًا آخر؛ ألا وهو نفس الطريق الذي سلكه الساسة، الذين اتهمهم من قبل بالعمالة والخضوع للاستعمار إذا فعلوا ذلك.

وقد اتضح ذلك جليًّا حين تقلد النقراشي باشا رئاسة الوزراء، وقد كان بينه وبين الإخوان عداوة شديدة، وكانوا يرونه متخاذلا مع الإنجليز، فانظر ما البديل الذي عرضه حسن البنا على النقراشي باشا في حالة عدم قبول الإنجليز لتلك المطالب! يوضح ذلك الخطاب الذي وجهه الإخوان إلى النقراشي باشا في أوائل عام ١٩٤٧م، يقول الأستاذ فريد عبد الخالق: «فإن الإخوان - إنقاذًا لقضية البلاد وتلافيًا لضياع الوقت الثمين - تناسوا تاريخ الرجل وسابق فشله وسوء تصرفه، وتقدموا إليه بخطة كاملة ونصيحة مخلصة، فقد بعثوا إليه في ٥ يناير ١٩٤٧م بخطاب يطالبون فيه: بقطع المفاوضات ومطالبة الإنجليز بجلاء قواتهم عن أرض الوادى، فإن لم يستجيبوا فعليه أن يتقدمَ بقضية الوطن إلى مجلس الأمن، وإلى محكمة العدل الدولية، وإلى كل مجمع دولي نأنس فيه ميلًا إلى الإنصاف» (الإخوان في ميزان الحق - ص: ٤١) (أحداث التاريخ - ١/ ٤٣١) هذا هو آخر ما تمخضت به جَعْبَةُ الإخوان.. رفع قضية مصر إلى الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية، وظهر أنهم في بعض المواقف يريدون أن يحملوا غيرهم ما لم يقدروا هم على تحمله، وإذا اتبع الساسة طريق السياسة، نظرًا للظروف التي تعيشها الأمة وغلبة موازين القوى في صالح الدول المعادية للإسلام، قالوا: هذا خيانة، وإذا طلب منهم الرأي لم يكن عندهم خيار غير الخيار الذي اختاره الساسة، لقد اتهم حسن البنا الحكومة المصرية

من قبل أنها إن لم تقم بالجهاد لمواجهة الإنجليز فإنها حكومة عميلة تسقط طاعتها، وقد تبدل هذا المفهوم في الطرح الإخواني المعاصر، خاصة في العراق إذ رفض إخوان العراق مقاومة الاحتلال، واستبدلوا بذلك مجلس الحكم الانتقالي تحت رعاية الأمريكي «بول بريمر»، وصار لهم عضوان فيه هما محسن عبد الحميد والأستاذ صلاح الدين بهاء، وقد سلك الإخوان نفس مسلك حسن البنا الأول في التصريحات العلنية، فقالوا: إنَّ مساعدةَ الأمريكان في حربهم ضد العراق خيانةٌ عظمى للأمة. وحين استقر الأمر للأمريكان تكاتف الإخوان مع الشيعة في الاستسلامِ وعدم المقاومة، هؤلاء هم الإخوان، وتلك هي شعاراتهم.

فقد كانوا يتهمون الحكومات المصرية بالعمالة بسبب تعاملها مع الإنجليز، فقتلوا رئيس الوزراء أحمد ماهر، ثم قتلوا من بعده النقراشي باشا؛ ليثبتوا لأنفسهم الوطنية، وهاهم الآن في العراق يضربون أروع الأمثلة في التعامل مع الاستعمار إلى أن تقسم العراق، وتطمس هويتها العربية والإسلامية بغير عتاب ولا ملام.

❊ ❊ ❊

الهضيبي ينكر اشتراك الإخوان في معارك القنال

يتغنى مرشد الإخوان محمد عاكف دائمًا بالمواقف البطولية له في القناة قبالة الاستعمار الإنجليزي.. فهل هذا الزعم صحيح؟ والجواب على ذلك أقول:

إن المرشد الثاني للإخوان الأستاذ الهضيبي أكد نفس مواقف الإخوان السابقة قبالة الاحتلال الإنجليزى، ونفي بالكلية ما قاله محمد عاكف، وذلك عندما قامت حكومة الوفد بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م في أكتوبر ١٩٥١م، ذهب الأستاذ

الهضيبي إلى القصر الملكي مهنئًا، وداعيًا الإخوان أن يلتزموا الهدوء! وفي لقائه مع جريدة المصري بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٥١م نفى الهضيبي تمامًا أن يكونَ للإخوان دور في معارك القنال، وبين أنه يسير وراء الحكومة فيما تتخذه من قرارات، ولا يمكن أن يقدم على عمل طائش.. قال مندوب صحيفة المصري، كما نقل عبد الحليم في كتابه: (أحداث التاريخ - ٢/ ٤٩٧): «وسألناه عن حملة الصحف الإنجليزية على الإخوان وتحميلها إياهم مسئولية الحوادث التي وقعت بالقنال... فقال المرشد العام: نحن لا نهتم بما تنشره الصحف الإنجليزية؛ لأنه بعيد عن الحق، وقد عمل الإنجليز دائمًا على محاربة الإخوان، وعلى أي حال فإن موقف الإخوان من الحالة الحاضرة مبين في القرارات التي صدرت عن المركز العام، والتي تتلخص في أننا نؤيد الحكومة فيا أصدرته من مراسيم، ونحن ننتظر الخطوات التي ستتخذها في سبيل تحقيق الغاية المرجوة، وما زلنا ننتظر، أما ما وقع في الإسماعيلية وبورسعيد فلم يصدر أصلًا من الإخوان، وحسبك أنك لا تجد في المعركة جريحًا واحدًا أو حتى ذا ثوب مقطوع من الإخوان، والإخوان المسلمون تعودوا النظام، ولا يمكن أن يصدر عنهم حركة طيش أو تسرع» اهـ.

فرد عليه الأستاذ خالد محمد خالد بمقال في جريدة «روزا اليوسف»، بعنوان: «أبشر بطول السلامة يا خواجه جورج» وكذلك رد عليه محمد الغزالى، فقال في كتابه: (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي - ص: ٢٢٢، ٢٣٣): «كان السيد حسن الهضيبي رجلًا ملكي النزعة والوجهة، فلما خان الملك فاروق الشعب المصرى المكافح لإخراج الإنجليز، وأسقط الوزارات التي أعلنت عليهم الحرب، وجاء بالسيد حافظ عفيفي باشا على أنقاض الجهاد المطعون في ظهره،

ذهب السيد الهضيبي إلى القصر الملكى مهنئًا، وصدرت الأوامر إلى الإخوان كلهم أن يلتزموا الهدوء! وغلبني السخط على هذا العمل الشاذ» اهـ.

الشاهد: أن تصريحات عاكف لا أساس لها من الصحة، وعلي الرغم من أعدادهم الهائلة وشعبهم المتناثرة فإنهم لم يقوموا قبالة جنود الاحتلال الإنجليزي بأكثر من سبع عشرة عملية قتالية، منذ نشأة دعوتهم عام ١٩٢٨م - ١٩٢٩م حتى خروج الإنجليز عام ١٩٥٤م، كما بين محمود الصباغ في كتابه: (حقيقة التنظيم الخاص - ص: ٢٨٩ - ٣١١) - مع استثناء المعارك التي شكك فيها الهضيبي آنفًا - هذا فقط الذي قام به الإخوان وقدموه للشعب المصري قبالة الإنجليز.

٢- جهاد الإخوان في حرب فلسطين ١٩٤٨م:

بلغ عدد القوات العربية التي اشتركت في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ٥٩٥٠٠ مقاتل، أما عدد أفراد الإخوان الذين اشتركوا في تلك الحرب.

فحسب مصادر الإخوان: خرجت أول دفعة من أعضاء التنظيم الإخواني الخاص مكونة من مائة فرد، محملة في أتوبيسين من متطوعي الدقهلية وبعض متطوعي القاهرة (حقيقة التنظيم الخاص - ص: ٣٣٠).

ثم تتابعت الأفواج، وصار المجموع الكلي (٦١٤) فردًا تقريبًا، وقد بلغ عدد قتلى الإخوان في حرب فلسطين (٤٣) فردًا والجرحى ٦ أفراد، وهؤلاء جميعًا الستمائة فرد الذين خرجوا إلى فلسطين بالنسبة لعددهم وعدم قناعتهم بولاية الدولة، وعدم اعترافهم بإسلاميتها - يعتبرون قلة قليلة جدًّا.

والمثير للعجب أن تكون مصر محتلة من الإنجليز، ومع ذلك لم يكلف الإخوان أنفسهم بشن تلك المعركة ضد جنود الاحتلال في مصر أولًا.. خاصة إذا

كانت لهم القوة المؤثرة، كما يدعون، غير أنهم سلكوا سبيل التؤدة والتراخي مع الإنجليز في مصر، واعتبروا المواجهة نوعًا من الطيش والسفه - بسبب قوة مدافع الرشاشات الإنجليزية في القنال - في مقابل التسرع في مواجهة مائة وخمسين ألف يهودي مجهزين للقتال في فلسطين، بغير إعداد ولا عتاد، لقد كان من الضروري تنزيل هذا المفهوم عند مواجهة اليهود؛ حتى يتسنى إعداد جيش قوي منظم، تحت إمارة واحدة وراية واحدة، كما هو المعتاد في حروب المسلمين، ولكن تهور الإخوان وحماسهم الفاشل وتهييجهم البلاد والعباد دعاهم إلى التخلي عن قواعد أهل السنة في الإعداد والمواجهة، ومن أجل ذلك فشلوا مع من فشل في فلسطين.

❁ ❁ ❁

حسن البنا واليهود

أرسل حسن البنا خطابًا إلى حاخام اليهود المصريين يستنجد به لتحرير فلسطين من اليهود! (انظر في قافلة الإخوان - ص: ١٤٧) وسيد حاخام اليهود، وجعله ومن معه مواطنين أعزاء لهم التقدير والاحترام، وهو يعلم أن الله ضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] ثم هو يستجديهم لقتال إخوانهم، ظنًّا منه أنهم سيبطلون المخطط الذي أعده هرتزل وأعوانه لإقامة دولة يهودية في فلسطين.

وفي عمق تلك الأزمة ألقى حسن البنا بيانًا أمام لجنة من الأمريكان اليهود - جاءت إلى مصر لتحقيق مآرب اليهود في فلسطين، ولنسف الكتاب البريطاني الأبيض، الذي وضع حدًّا لهجرة اليهود إلى فلسطين في ذلك الوقت - زعم فيه أن عداوة المسلمين

لليهود ليست عداوة دينية، ثم حصر خطاب القرآن الكريم فيما يخص اليهود في نقدهم من الوجهة الاقتصادية والقانونية، كأنهم خالصون في التوحيد، لم يسبوا الله، ولم يكذبوا رسله، ثم اتخذ المجلس للضحك بخلاف ما ينبغي فيه من الجد والفصل.

ثم رحب بأن يحشر مع اليهود يوم القيامة - أعاذنا الله وإياكم من ذلك - فقال: «فأقرر أنَّ خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأنَّ القرآنَ الكريمَ حض على مصافاتهم ومصادقتهم» (أحداث التاريخ. ١/ ٤٥٥).

وهذا تدليس فاضح ومخالفة عظيمة للقرآن الكريم، الذي بين أنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين؛ لكونهم سبوا الله، وكذبوا رسله، وطعنوا في دينه، وقتلوا أنبياءه، قال تعالى: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: ٨٢]، وهذه عداوة ثابتة، سواء كانوا محاربين أو معاهدين أو مُؤَمَّنِين لهم حقوق وذمة، وقد بين الله تعالى عداوة المسلمين لليهود قبل أن يحتلوا أرض فلسطين، وما ذلك إلا لأنَّ العداوةَ متعلقة بالدين، وأن الخصومة الرئيسية في الله تعالى قبل أن تكون في الأرض، تلك هي الخصومة الحقيقية، قال تعالى: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ [الحج: ١٩].

❋ ❋ ❋

من صور الجهاد الإخواني

التنظيمات الانتقامية والاغتيالات السياسية في حركة الإخوان

المنهج الانقلابي في فكر حسن البنا

اجتهد قادة الإخوان ومفكروهم في إنكار الفكر الثوري واتخاذ العنف سبيلًا

للتغيير، قال التلمسانى: «الإخوان ما فكروا يومًا في القوة كسلاح لتغيير أو إنقلاب أو ثورة» (ذكريات لا مذكرات - ص: ١٨٧)، وقال (ص: ١٩١): «والعجيب في أفهام الكثيرين تصورهم أن دعوتنا تدعو إلى قلب نظام الأوضاع القائمة، ونحن بهذه الصورة متآمرون، وليس لهذا ظل من الحقيقة» اهـ، وقال محمد عاكف: «لسنا أهل ثورة، ونحن ندعو للحق والسلام، والثورة ليست من مفرداتنا» (الشرق الأوسط - ١٢ مايو ٢٠٠٥ م)، وقد كان حسن البنا يؤكد لأتباعه أنه لا يؤمن بالثورة، ولا يعمل لها، فقال: «وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها» (الرسائل - ص: ١٩٠).

فهل كانت دعوة الإخوان لا تؤمن بالثورة سبيلًا للتغيير، أم أنها كانت دعوة خارجية تؤمن بذلك؟

والحقيقة أن الانقلابات غاية تربت عليها شرائح الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن، والاغتيالات السياسية أمر ثابت في دعوتهم، سواء من الناحية التكتيكية أو الإستراتيجية، وما اعتذار بعضهم عن العمليات الإرهابية التي وقعت منهم إلا من باب مخالفة الخطة الموضوعة، لا من باب مخالفة المعتقد والمنهج، فقد قال حسن البنا: «سننتقل من خير دعوة العامة إلى خير دعوة الخاصة، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال» (مذكرات الدعوة - ص: ١٨٩)، وفي سلسلة الرسائل بين متى يلجأ إلى القوة، قائلًا: «إنَّ الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها» (الرسائل - ص: ١٨٩)، وعندما سقط في الانتخابات البرلمانية التي أجريت عام ١٩٤٥م في وزارة أحمد باشا ماهر طالب أتباعه بالتأنى، انتظارًا لوقت الفصل، قائلًا: «إنني أحسب أن

مراجلكم تغلي بالثورة وعلى شفا الانفجار، ولكن في هذا الموقف لا بد من صمام الأمان، فاكظموا غيظكم، وادخروا دماءكم ليوم الفصل، وهو آت لا ريب فيه، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» (حسن البنا مواقف في الدعوة للسيسي).

وقد كانت خطة حسن البنا خطة ثورية انقلابية، ولكنها كانت سرية، فقد كان لحسن البنا تنظيمٌ سري خاص يخضع لأوامره مباشرة، كما كان له تنظيمان آخران: أحدهما: في الشرطة بقيادة الأستاذ صلاح شادى، وكان يطلق عليه «تنظيم الوحدات»، ولكنه لم يظهر بدور مميز كما ظهر غيره إلا في قتل النقراشي باشا، والآخر: في الجيش، تحت قيادة الصاغمحمود لبيب، وكان باسم تنظيم «الضباط الأحرار»، وكذلك أنشأ فرق الجوالة، التي مارست أنواعًا مختلفة من التدريبات.

ومن أجل بلوغ تلك الغاية أنشأ حسن البنا نظام استخبارات خاص به، يقوم بالتجسس على الوزراء واللواءات، ومعرفة أخبار الممثلات، ليكون على بينة من مواطن الضعف والقوة في المجتمع.

وكان النظام الخاص يجمع الأخبار عن جميع خصوم الإخوان وأصدقائهم على السواء؛ ليضعها أمام المرشد العام، قال محمود عساف: «كنا نجمع معلومات عن جميع الزعماء والمشاهير من رجال السياسة والفكر والأدب والفن، سواء كانوا أعداء للإخوان أو أنصارهم، وهذه المعلومات كانت ترد لي لأحتفظ بها في أرشيف، وأعود إليها كلما طلب أحد هؤلاء مقابلة الأستاذ الإمام أو اجتمع به لأية مناسبة من المناسبات، وأذكر الإمام بالمعلومات حتى تكون في خلفيته وهو يتحدث مع ذلك الشخص» (الإمام الشهيد - ص: ١٥٢).

وهذا أمر باق بينهم إلى الآن، يتجسسون على خصومهم، ويجمعون أخبارهم،

حتى إنهم يتجسسون بعضهم على بعض، وينقلون أخبارَ بعضهم إلى القيادة العليا على هيئة نميمة، بحجة الحفاظ على الحركة من الاختراق، فكلهم مرشدون لصالح مرشد واحد، وبالإضافة إلى ذلك فقد أنشأ حسن البنا جهازًا متخصصًا في إطلاق الأكاذيب، لمعرفة اتجاهات المجتمع ووزن مقوماته، لأجل تحديد زمن الوثوب على الحكم، قال أحمد رائف: «وكان لا بد من عمل إعلامي مضاد لإعلام الحكومة، وبدأت الشائعات تخرج من الصفوف الإخوانية، بعضها عن غير قصد، والآخر وَفْقَ خطة مرسومة» (الصفحات - ص: ٢٤٥)، وقد تقدم أنهم كانوا يوزعون المنشورات الكاذبة؛ ليجذبوا الانتباه إليهم، قال محمود عبد الحليم: «كنا نطبعُ منشورات بكلام غير ذي هدف معين غير أنه كلام يلفت النظر، ويثير الاستغراب» (أحداث التاريخ - ١/ ٢٩٠).

وقد التزم الإخوان نفس الخط الذي رسمه حسن البنا، فقد كان يخطط بسرية بالغة للثورة على دولة الملك، وشهد أحمد رائف أن حسن البنا أسر بذلك لعزيز المصري ومحمود لبيب، وقال في لقائه مع قناة «الجزيرة»: «ومشروع الانقلاب مشروع إخواني أولًا وأخيرًا، كان في رأس حسن البنا» (الجزيرة نت - ٥/ ٢/ ٢٠٠٦ م)، وأكد التلمساني ذلك فقال - خلافًا لما قال آنفا -:

«إن حسن البنا بصوفيته هو صانع انقلاب ١٩٥٢م، وإن كانوا يتهموننا اليوم بأننا أعداء هذا الانقلاب» (ذكريات لا مذكرات).

وقد كانت مشاعرُ الإخوان جاهزةً للانقلاب، قال أحمد رائف في (الصفحات - ص: ٢٤٣): «ولكن ماذا يفعل حيال جمهور قوي غاضب مسلح، قد هيأ نفسه للنصر والحكم» اهـ.

وقد دعا سيد قطب إلى الانقلاب على الملك فاروق قبل أن تشتعل الثورة قائلًا: «الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيتها بيدها. إن أحدًا لن يقدمَ لهذه الجماهير عونًا إلا أنفسها؛ فعليها أن تعنى بأمرها، ولا تتطلع إلى معونة أخرى» (معركة الإسلام والرأسمالية. ص / ١١٣)، وقد كان هذا منهجًا عامًّا في فكر سيد قطب، كما وضح في كتابه: «في ظلال القرآن - ٣/ ١٤٥١»، قائلًا: «لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها» اهـ، وقد ساهم كتاب: «معالم في الطريق» الذي ألفه سيد قطب في وضع أسس الانقلاب على المجتمعات الإسلامية، وقد أكد ذلك أيمن الظواهرى في جريدة (الشرق الأوسط - ٤ ديسمبر ٢٠٠١م)، وبين أن سيد قطب هو الذي وضع الدستور في كتابه الديناميت: «معالم في الطريق»، وأن فكر سيد هو (وحده) مصدر الإحياء الأصولي، وأن فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج. اهـ غير أن الفارق بين نظرية سيد قطب في الفكر الانقلابي وبين نظرية الإخوان - أن سيد قطب لا يبيح استخدام الغير للركوب؛ لأنه لا يشترك معه في الهدف، ويطالب بالانقلاب على من أسماهم خارج نطاق الجماعة المسلمة، فكيف يتحالف معهم في الوصول إلى الحكم، وهم ميدان دعوته؟! أما بقية الإخوان فإنهم يبيحون الركوب على الجيش وجميع فئات الشعب باختلاف ألوانها من أجل الخروج، ولو بغير المنهج الإسلامي، ولو بالتحالف مع العلمانيين والشيوعيين والأقباط النصارى والشيعة الروافض.

ولا يزال الإخوان في كتبهم يمدحون أفرادًا كانَ لهم دورٌ كبير في قتلِ رؤساء

ومسئولين؛ بما يدل على رضاهم عن توجهاتهم الانقلابية الإرهابية، ومثال ذلك ما صرح به محمود الصباغ في كتابه: (حقيقة التنظيم الخاص - ص: ٢٩).

وقد قدم لهذا الكتاب الأستاذ مصطفى مشهور سنة ١٩٨٩م، وفيه مدحَ الصباغ قتلةَ الرئيس السادات، وقال عنه: «فبلغ قمة الاستبداد والتأله! على شعبٍ منحه حبه، وضحى معه بدمه عزيزًا مهراقًا على أرض المعركة، وهو ظلم لا يرضي عنه خالق السموات والأرض، الذي أبدع كل شيء صنعًا، فسلط عليه شبابًا من شباب مصر، وأظلهم بظله، فباغتوه في وضح النهار وفي أوج زينته وعزه يستعرض قواته المسلحة» اهـ، ولا يزال هذا الفكر قائمًا إلى الآن ولكن بطريقة معاصرة تشبه فقاقيع الصابون، تبلورت لديهم بسبب الاشتغال بالمفاهيم السياسية.. فمحمد عاكف الذي قال آنفا: «لسنا أهل ثورة» لا يزال يمني نفسه بتهييج العامة، قائلًا: «إن الإخوان المسلمين يرون أن العصيان المدني قد يحقق الكثير لدفع الحكومة المصرية للتحرك، مشددًا على ضرورة التنسيق مع القوى السياسية الأخرى قبل اتخاذ مثل هذه الخطوة» (إخوان أون لاين ٦/ ٧/ ١٤٢٧ هـ).

وقال العريان: «إنَّ أكبر دعم يمكن أن تقدمَه الشعوبُ العربية للشعب الفلسطيني ولحماس - هو أن تساهمَ في تغيير الأنظمة الحاكمة في الدول العربية» (المصري اليوم - ٤/ ٤/ ٢٠٠٦م).

والعصيان المدني ليس تغييرًا دستوريًّا ولا سياسيًّا ولا ديمقراطيًّا، إنما هو نوع من أنواع الانقلابِ الديكتاتوري الإقصائي التكفيري، وذلك عن طريق الهياج السياسي والعصيان المدني، بدلًا من الانقلاب عن طريق المدرعات، الذي أصبح عورة يتبرأ منها الإخوان الآن، أما في الزمن الماضي فقد كان جهادًا في سبيل الله،

تلك هي حقيقة الثورة التي ننكرها، وهذا الطريق الذي تعهد به الإخوان هو أصل دعوة الخوارج، كما بين أئمة الإسلام.

❊ ❊ ❊

الخطة الإخوانية في الانقلاب

زعم كثير من مفكري الإخوان أن التنظيم الخاص كان موجهًا فقط ضد الإنجليز، ولم يكن موجهًا ضد دولة الملك، والحقيقة أنه كان معدًّا للثورة على دولة الملك، وكل ما تقدم من إعدادات كانت من أجل ذلك.

أما دور التنظيم ضد الإنجليز فلم يقم إلا بسبع عشرة عملية قتالية، وذلك منذ إنشاء الجماعة في أواخر عام ١٩٢٨م حتى عام ١٩٥١م، كما بين الصباغ في كتابه: (التنظيم الخاص)، وهذا أحمد رائف يكذب قول من حصر عمل التنظيم الخاص للإخوان في مواجهة الإنجليز قائلًا: «يخطئ من يظن أنه كان نظامًا جهاديًّا فقط يستهدف طرد الإنجليز والقضاء على تلاميذهم وأعوانهم فقط، بل كانوا – كما قلنا – هم النواة لدولة جديدة تتدرب على الإدارة والحكم» (الصفحات – ص: ٢١٥).

وأكد القرضاوي أن أمر استخدام القوة كان مبنيًّا على استغلال القوات المسلحة فقال: «هذه القوة التي أشار إليها الإمام ليست هي الاغتيال السياسى، ولا قتل المدنيين، ولا تدمير المنشآت، فهذه لا يصارح بها، بل تتم في تكتم وسرية! ولعل المقصود هنا: أن تقوم القوات المسلحة بذلك.. ولعل البنا كان يريد أن يقوم بما قام به عبد الناصر من بعد» (الإخوان ٧٠ عامًا – ص: ١٢١).

والحقيقة أن حسن البنا كان يسير بنظام البدائل المتنوعة للوصول إلى الحكم،

وبين لأتباعه كيفية ذلك في رسالة المؤتمر الخامس بقوله: «وفي الوقت الذي يكون فيه منكم - معشر الإخوان المسلمين، ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسيًّا روحيًّا بالإيمان والعقيدة، وفكريًّا بالعلم والثقافة، وجسميًّا بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله» اهـ. ولم يكن حسن البنا صاحب سلطان كي يفعل ذلك، قال العلامة العثيمين: «لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر؛ لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور، وليس أفراد الناس، فأفراد الناس تبع لأهل الحل والعقد» (الشرح الممتع - ٨/ ٢٥).

ومع ما قاله حسن البنا، فقد بلغ الإخوان الملايين، كما زعم، ومع ذلك لم يتحقق له في هذا العدد تلك الصفات التي يغزو بها الجبابرة، ويفتح بها العالم.

ولم يكن فكر البدائل الانقلابية فكرًا خاصًّا بحسن البنا، بل هو فكر عام في حركة الإخوان، وهو قائم على استخدام الغير، والاختباء وراء الأستار، للنظر فيما تتمخض عنه الأحداث، قال الهضيبي: «إن الشعوب إذا ابتليت بحاكم ظالم تبذل جهدها في مقاومة ظلمه بجميع وسائل المقاومة، حتى إذا فشلت كل جهودها لم يبق أمامها من ملجإ تلجأ إليه وملاذ أخير تستغيث به إلا الجيش، فالجيش هو الملجأ الأخير لإنقاذ الشعب» (أحداث التاريخ ٣/ ١٠٣).

فالاستعانة بالجيش فكرة إخوانية قديمة للانقلاب في وقت الضعف خدم، وعندما يتحقق المراد يقولون للجيش: «عودوا إلى الثكنات يا أعداءَ الإنسانية نحن العقل وأنتم العضلات»، فإذا يئسوا من الجيش لعبوا بورقة الشعب، وتآمروا على الجيش، كأن الشعبَ قطيعٌ من الغنم، يسوقونه كما يشاءون.

جرائم التنظيم السري الإرهابي للإخوان المسلمين

لا أكون جانيًا إذا قلت: إنَّ جماعةَ الإخوان هي النكسةُ التي ابتليت بها مصر والدعوة الإسلامية، منذ نشأتهم إلى الآن، فقد سبقنى إلى ذلك العلامةُ مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بقوله: «دعوةُ الإخوان المسلمين نكبةٌ على الدعوات» (تحفة المجيب - ص: ٢٠٣) وكذلك سمو الأمير نايف بن عبد العزيز (حفظه الله) حيث قال: «مشكلاتنا كلها جاءت من الإخوان المسلمين، حزب الإخوان المسلمين دمر العالم العربي» اهـ.

فكم أثاروا من الفتن، وكم تسببوا في إرهاب الناس في المساجد، وفي كل مرة يهربون من تحملِ تبعات أخطائهم، ويحملون غيرهم ما حل بالأمة من مصائب، هم الذين غرسوها بأيديهم، وسقوا تربتها بجهلهم.

وهذه هي الأدلةُ التي تثبتُ تفنن الجهازِ السري الخاص للإخوان في الاغتيالات السياسية وارتكاب جرائم قتل في القرن الماضي، ومعها ما يؤكد استقبال جموع الإخوان لتلك الجرائم بالفرح والسرور، وقد كان من جملة الأعمالِ التي قام بها هذا التنظيمُ هي قتل المهندس سيد فايز عبد المطلب، على أثر اختلاف وقع بينه وبين أعضاء التنظيم، حيث أرسلت إليه قنبلة في علبة حلويات بمناسبة يوم المولد، فانفجرت فيه، وأودت بحياته (انظر أحداث التاريخ - ٣/ ٢٢٩) كما أن أفرادًا من التنظيمِ الخاص كانوا يتتبعون مخالفي الجماعة بالتهديد والتخويف، كما تتبعوا محمد الغزالي عندما انتقد في كتابه: «من معالم الحق» جماعة الإخوان ومرشدها، قال القرضاوى: «ومما هيج الشيخ أكثر، واستثار غضبه أن بعضَ

المتحمسين من الإخوان تحداه، وهدده بالقتل إن تكلم أو كتب» (آفاق عربية - ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ)، كما تلقت الهيئة التأسيسية للإخوان تهديدًا بالسطو المسلح من قبل شباب التنظيم، وذكر أن «بعض هؤلاء الشباب قد أعد خطة مسلحة لمهاجمة أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان في حالة صدور قرارات لا تؤيد الجماعات المعارضة للمرشد العام الأستاذ الهضيبي» (أحداث التاريخ - ٣/ ٥٠٣) وقد كان جُلُّ اجتماعات التنظيم الخاص لعنًا وسبًّا في المرشد العام حسن الهضيبي، قال عساف: «دعيت إلى هذا الاجتماع، وسمعت فيه من الأعضاء المستقيلين سبابًا في المرشد العام..» (مع الإمام الشهيد - ص: ١٥٩)، وشهد الغزالي أن صفحات هذا التنظيم كانت شرًّا على الأمة وعلى الجماعة، وذلك في كتابه - قبل التعديل - (من معالم الحق - ص: ٢٢٦. ط: الرابعة: ١٩٨٤م. دار الصحوة).

فالجو السياسي كان يستحل قتل المخالفين كما زعم القرضاوي بقوله:

«وقابل عامة الإخوان اغتيال النقراشي بفرحة مشوبة بالحذر، فقد رد عبد المجيد حسن لهم كرامتهم، وأثبت أن لحَمَهم مسمومٌ لا يؤكل، وأن من اعتدى عليهم لا بد أن يأخذَ جزاءه! وكان الجو السياسي العام في مصر يسيغ ذلك» (سيرة ومسيرة - ١ / ٣٣٥ - ٣٣٧).

وأنشد معظما قاتل النقراشي قائلًا في نفس كتابه (١/ ٣٣٧):

عبد المجيد تحية وسلام ... أبشر فإنك للشبابِ إمام

سممت كلبًا جاء كلب بعده ... ولكل كلب عندنا سمام

اهـ

ونسي القرضاوي أن دينَ الإسلامِ لا يبيحُ ذلك، وليس اختلافُ الزمنِ مبررًا

للقتل المحرم بأي صورة من الصور، وقد رد العلامةُ الشيخ أحمد شاكر على الإخوان في رسالة أسماها «الإيمان قيد الفتك» نشرت في جريدة الأساس (٢/ ١/ ١٩٤٩م) بين فيها حرمة القتل السياسي في الإسلام.

❊ ❊ ❊

أشهر الاغتيالات السياسية في دعوة الإخوان

١ - قتل أحمد ماهر باشا عام ١٩٤٥م:

كانَ عملُ التنظيم الخاص في زمن الملك فاروق يدورُ حولَ رصد الشخصيات السياسية، للتخلص منها بالقتلِ غدرًا، دون إقامة حجة أو استتابة، فبمجرد الاختلاف في المسائل السياسية يتهم السياسي بالعمالة، ومن ثم يجب قتله، وقد كان مقتل أحمد ماهر باشا «رئيس الوزراء» أول جريمة اغتيال سياسي فكر الإخوان في تنفيذها، وكان ذلك عام ١٩٤٥م، ولكنهم أفلتوا من عاقبتها! وأحمد ماهر باشا كما قال محمود عساف: «هو الذي أسقط الأستاذ الإمام في انتخابات البرلمان عن دائرة الإسماعيلية» (مع الإمام الشهيد - ص: ١٥١) وقد كان أحمد ماهر موضع اعتراض من قبل الإخوان بسبب تفكيره في التحالف مع قوات الحلفاء والإنجليز ضد قوات المحور (ألمانيا وإيطاليا) وقد قرر الإخوان قتله بمجرد التفكير في عقد هذا التحالف.. بالتهمة المعهودة وهي العمالة.!.

وقد كان لأحمد ماهر باشا وجهة نظر بعيدة في هذا التحالف، قائمة على الاستفادة من الهدنة والصلح، الذي سيتحقق بين الطرفين المتقاتلين بعد انتهاء الحرب، وقد كانت منظمة الأمم المتحدة مشروعا مقترحا من انجلترا وأمريكا في

ذلك الوقت، وقد وعد أولئك من يقف بجوارهم في تلك الحرب بالاستقلال عن طريق تلك المنظمة، ومن أجل ذلك وقف أحمد ماهر باشا بجوار انجلترا، وعلى كل حال ففكره السياسي أخطأ فيه أم أصاب اجتهاد منه.

ولا يخفى أنَّ مجلسَ النوابِ على العمومِ في هذا الزمانِ كان خلف أحمد ماهر عندما اختار الوقوف بجوار إنجلترا ضد ألمانيا وإيطاليا، ولا ينبغي أن يقتل إنسان بسبب اجتهاده، ولا أن يقتل على العموم دون قضاء أومحاكمة أو استتابة؛ فهذا معناه تحكم الفوضى في إدارة المجتمع.. والإخوان يتمنون لتلك الفوضى أن تستمر في المجتمع؛ لأنها الوسط الملائم لنشر دعوتهم.. فقد كانت الحرب تمثل الساحة المفتوحة في دعوة الإخوان كما أشار محمود عبد الحليم في كتابه: «أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢٤٤».

أما بشأن مقتل أحمد ماهر باشا. فقد أخبر الشيخ سيد سابق رَحِمَهُ اللَّهُ الأستاذ خالد محمد خالد الأديب المعروف بأن الذي قتل أحمد ماهر باشا شاب من شباب التنظيم السري الخاص للإخوان، غير أن الصحف نشرت أن القاتل هو محمود العيسوي المحامى، وهو من شباب الحزب الوطنى، وخرج الإخوان من المأزق..

وقد بين الأستاذ خالد محمد خالد في جريدة الوفد بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٩٢م أن: «التنظيم السري كان بارعًا في التنكر، فهو بعد تدريب أعضائه على كل أفانين الإرهاب، يأمر بعضهم بأن يلتحق ببعض الأحزاب والجماعات، حتى إذا اختير لعمل من أعمال الاغتيال أو الإرهاب، لم يبد أمام القانون ولا الرأى العام من أعضاء الإخوان. من هذا النوع كان محمود العيسوى» (مع الإمام - ص: ١٥٢).

وفي عام ٢٠٠٩م.. اعترف الأستاذ خليفة عطوة «أحد أعضاء التنظيم السري

لجماعة الإخوان» بالاشتراك في قتل أحمد ماهر باشا مع محمود العيسوى الذي تحمل القضية بمفرده.. قائلًا كما نقل عنه الأستاذ حسين البربري: «إن أول ظهور للتنظيم السري للإخوان كان عام ١٩٤٤، حيث بدأنا تكوين مجموعة الخلايا العنقودية المسلحة، وكل خلية مكونة من زعيم وأربعة أفراد، وكل خلية لا تعرف الأخرى، وبدأنا بالعمل المسلح باغتيال أحمد ماهر باشا عن طريق محمود العيسوي» (المصريون نت - ٧/ ٢/ ٢٠٠٩م).

٢- مقتل القاضي أحمد الخازندار:

قتل المستشار أحمد الخازندار عام ١٩٤٨م قبل مقتل النقراشي باشا، بسبب إصداره أحكاما رآها الإخوان قاسية على بعض المنتمين إليهم، وقد باشر التنظيم الخاص للإخوان عملية القتل، بتدبير من رئيس التنظيم وبمشاركة محمود سعيد زينهم وحسن عبد الحافظ، وذلك في ضاحية المعادي، وقبض على القاتلين في الحال، وعندما حقق حسن البنا في مقتل القاضي الخازندار لم يقل لعبد الرحمن السندى: إن التنظيم موجه للإنجليز، وإنما قال له: «لقد قتلت بغير إذن، وفي ثنايا التحقيق ظهر جليًّا عظم الخلل في علمه وأقضياته، قال حسن البنا للسندى: «لماذا قتلت الخازندار؟ قال السندى: أنت الذي أمرت بهذا. فرد قائلًا: أنا يا عبد الرحمن. قال: نعم أنت. قلت: لو كان ربنا ريحنا من العالم دى» (الصفحات - ص: ٤٦٦).

٣- مقتل الإمام يحيى بن حميد.. إمام اليمن:

لم تفتر عقلية حسن البنا عن التفكير في الانقلاب على الدول الإسلامية في زمنٍ من الأزمان، فقد كان مشغولًا بذلك إلى درجة كبيرة، خلاف ما زعم أنه لا يؤمن بذلك، ومن جملة ما كان يفكر فيه الثورة والانقلاب على الإمام يحيى بن

حميد إمام اليمن وإقامة حكم إخوانى، معتمدًا على استغلال فراغ دستوري يتحقق في حالة موت الإمام، حينئذ يقوم الإخوان اليمنيون الأحرار بتنفيذ الخطة الإخوانية التي رسمها لهم حسن البنا في القاهرة، وذلك في مارس ١٩٤٨م.. وقد كانَ بين حسن البنا وبين الإمام يحيى وولده أحمد رسائل مودة وعلاقة متبادلة، كان مقصوده منها فتح الباب لصحف الإخوان ومقالاتهم ودعوتهم كي تنتشر في بلاد اليمن. وكان الإمام يحيى يقدر حسن البنا، قال محمود عساف: «وتقديرًا له أهداه عمامة يمنية، كان الإمام الشهيد يرتديها كثيرًا» (الإمام الشهيد - ص: ٨٥).

ومع ذلك لم تمنع تلك الرسائل ولا هذا التقدير حسن البنا من التفكير في الانقلاب على الإمام يحيى وقتله على فراش المرض.

فقد أعد مشروعًا انقلابيًّا على الإمام يحيى بن حميد الدين، وذلك بمنع انتقال السلطة لأولاده من بعده، ونقلها لأناس يرى فيهم حسن البنا المكانة العليا لإقامة الدعوة الإخوانية في اليمن، وقد أطلق حسن البنا على الإخوان اليمنيين اسم اليمنيين الأحرار، وقد كان حسن البنا يجتمع في دار الإخوان مع بعض طلبة العلم اليمنيين، الذين كانوا يدرسون في الأزهر وفي دار العلوم في القاهرة، يدفعهم إلى الثورة التي زعم في رسائله أنه لا يؤمن بها! ويؤكد لهم أن اليمن مهيأة لحكم الإخوان أكثر من أي بلد آخر..

قالَ محمود عبد الحليم: «ولكني أستطيعُ أن أقررَ أنَّ فكرةَ إعدادِ الشعبِ اليمني للثورة قد نبتت في المركزِ العام» (أحداث التاريخ - ١/ ٤٤٧)، واجتمع حسن البنا في موسم الحج مع مندوب عبد الله الوزير، الذي تولى زعامة الثورة في اليمن عام ١٩٤٨م، واتفق معه على الخطوط العريضة.

لتدبير الانقلاب في اليمن الذي تبينت صورته فيما بعد، والذي قتل فيه الإخوان الإمامَ يحيى بن حميد الدين وهو على فراشِ المرض.. كما جاء في موقع (الإخوان أون لاين. نت): «واستمر الكفاحُ حتى قيام ثورة ١٩٤٨م، حيث قتل الإمام يحيى بن حميد الدين، ونصب عبد الله الوزير إمامًا جديدًا لحكم دستوري شرعي، وكان للإخوان المسلمين والفضيل الورتلاني - ممثل الإمام البنا في اليمن - الدور الرئيسي في هذه الثورة» (الخميس - ١٦/ ٦/ ٢٠٠٥ م) قال الأستاذ مصطفى الشكعة - «أحد كوادر الإخوان في زمن حسن البنا» في كتابه: (مغامرات مصري في مجاهل اليمن): «ثم اندلعت ثورةُ اليمن التي قامت باغتيال الإمام يحيى بن حميد الدين، وأرسلت الثورة اليمنية تدعو الأستاذ البنا لكي يزورَ اليمن، وكنت إذ ذاك أعملُ في اليمن، وكان القائمون على الثورة تربطهم رابطة المكان للإخوان» (إخوان أون لاين - ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٥ م).

قال القرضاوي: «وقد فشل الانقلابُ الذي قام به ابن الوزير، وسيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحيى، بعد أن نجح أول الأمر، ولكنه لم يستقر، وقد فر الأستاذ الورتلاني من اليمن، وحاول أن يجد بلدًا يؤويه، فلم يجد» (سيرة ومسيرة.. ٢/ ٤٦٤).

٤ - مقتل النقراشي باشا رئيس وزراء مصر:

دائمًا ما يرجع الإخوان قرار حل جماعتهم إلى تآمر الدول الكبرى عليهم، وهم في الحقيقة يتناسون جناياتهم وعصيانهم الدائم للحكام الذين بايعوهم مرات عديدة، ورفعوا إليهم أسمى آيات الولاء، لقد تناسى الإخوان أنهم كونوا مراكز قوى تبغض وجودهم، وترفض سلوكهم السري والسياسي والديني في المجتمع المصري، تناسي الإخوان أنهم سعوا في تفجير محكمة الاستئناف، وقتلوا

الأبرياء، وتناسوا أنهم قتلوا الإمام يحي بن حميد، وتناسوا قضية السيارة الجيب، التي كانت تحوي أسرار التنظيم الخاص، وتناسوا مقتل القاضي الخازندار، والتنظيمات السرية المتعددة التي أنشأها حسن البنا، بقصد قلب نظام الحكم، وتناسوا مظاهر التحدي المتعددة في المظاهرات المتنوعة، وقد كان للإخوان محاولة اغتيال سابقة للنقراشي باشا، ولكنهم وضعوها تحت بند محاولة إرهاب وتخويف، قال محمود الصباغ: «عمد النظام الخاص إلى إرهابِ الحزبين اللذين منحا صدقي باشا الأغلبيةَ البرلمانية للسير قدمًا في تضييع حقوق مصر دون أن تقع خسائر في الأرواح، وذلك بإلقاء قنابل حارقة على سيارات كل من هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين والنقراشي باشا رئيس حزب السعديين في وقت واحد» (التنظيم الخاص ودوره - ص: ٢٧٨). وإبان قرار الحل الذي أصدره النقراشي فكر الإخوان في قتله والتخلص منه، وقد كون المهندس سيد فايز عبد المطلب «مسئول التنظيم عن مدينة القاهرة» - الذي قتله الإخوان فيما بعد بعلبة حلويات متفجرة في ليلة احتفالهم بالمولد النبوي - مجموعة كاملة تحت قيادته، للقيام بتلك المهمة.. قال محمود الصباغ: «وقد نظر سيد فايز في قرار حل الإخوان، وفي الظروف التي تحيط بهذا القرار سواء في الميدان أو في داخل مصر؛ فشعر أنه محكوم بحكومة تحارب الإسلام والمسلمين، وقرر الدخول معها في حرب عصابات فوق أرض مصر» (التنظيم الخاص ودوره - ص: ٤٥٠).

وقال محمود عساف في كتابه: (مع الإمام - ص: ١٦٥): «فقامت مجموعة أحمد فؤاد - (وكان ضابطًا بالشرطة ضمن تنظيم الوحدات الذي كان يشرف عليه صلاح شادى)، وكان يضم مالك يوسف وشفيق أنس وعاطف عطية حلمي وعبد المجيد

أحمد حسن ومحمود كامل - برسم خطة قتل النقراشي باشا، ونجح عبد المجيد أحمد حسن في مهمته بعد أن تنكر في زي ضابط بوليس، وقتل النقراشي رميًا بالرصاص، وهو على وشك دخول المصعد متجهًا إلى مكتبه في وزارة الداخلية» اهـ.

قال أحمد رائف: «تقرر قتل النقراشى! فرسمت الخطة بعناية، وأجريت عدة تجارب لكشف الثغرات.. واختير الموعد المناسب جدًّا. وتم التنفيذ بكفاءة عالية» (الصفحات - ص: ٥١٢)، فماذا يقول الإخوان في الدماء التي أهدروها؟ فهذا الذي جعله الصباغ مثلًا للخيانة والغدر، واستقبل الإخوان قتله بالفرح والسرور، وجعله القرضاوي كلبًا من الكلاب جعله حسن البنا مثالًا للوطنية، وتأسف لفقده تأسفًا شديدًا، وقال: «أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقده علمًا من أعلام نهضتها، وقائدًا من قادة حركتها، ومثلًا طيبا للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل أبنائها، ولسنا أقل من غيرنا أسفًا من أجله وتقديرًا لجهاده وخلقه» (أحداث التاريخ - ٢/ ٦٣).

٥- محاولة قتل إبراهيم عبد الهادي باشا «رئيس وزراء مصر»:

قال الصباغ: «وكان التفكير المبدئي أن يصدمَ مصطفى كمال عبد المجيد سيارة إبراهيم عبد الهادي بسيارةٍ مجهزة بعبوات ناسفة تندفعُ من الطريقِ الجانبي لتصطدم فجأة بسيارة إبراهيم عبد الهادى، وتنفجر السيارتان بمن فيهما، ولكن الأخ مصطفى عبد المجيد خشي أن يعد متنحرًا بهذه العملية فيدخل النار، وفضل أن يشتركَ في معركة مسلحة تهاجمَ الموكب» (التنظيم الخاص - ص: ٤٥٥).

وقال السيسي: «وحين مات حسن البنا أصبح إبراهيم عبد الهادي هدفًا للاغتيال بطبيعة رد الفعل، ولكن إبراهيم عبد الهادي قد أخذ درسًا لا ينسى من

حادث اغتيال سلفه النقراشى، فكانت الحراسة المشددة، لكن شباب الإخوان ظلوا يبحثون عن ظرف ملائم لاغتياله.

حتى استطاعوا أن يستأجروا شقة تتحكمُ في طريق موكب إبراهيم عبد الهادي تمهيدًا لإطلاق الرصاص على موكبه، وشاء الله أن يمر الموكبُ المنتظر، ويلاحقه الرصاص من كل مكان، ولكن سرعان ما تبين للإخوان أن هذا الموكبَ ليس هو موكب رئيس الحكومة، ولكنه موكب الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب» (قافلة الإخوان - ص: ٢٢٩).

❊ ❊ ❊

إلقاء القنابل في جميع أقسام القاهرة

ذكر محمود الصباغ الجرائم التي ارتكبها النظامُ الخاص ضد المصريين، وهى: «تفجير قنابل في جميع أقسام القاهرة في يوم ٣/ ١٢/ ١٩٤٦ بعد العاشرة مساءً، وقد روعي أن تكونَ القنابلُ صوتيةً بقصدِ التظاهرِ المسلح فقط، دون أن يترتبَ على انفجارها خسائر في الأرواح، وقد بلغت دقة العملية أنها تمت بعد العاشرة مساءً، في جميع أقسامِ البوليس، ومنها بوليس الموسكي والجمالية والأزبكية ومصر القديمة ونقطة بوليس السلخانة، ولم يضبط الفاعل في أي من هذه الحوادث، ثم توالى إلقاء القنابل على أقسام بوليس عابدين والخليفة ومركز إمبابة» (التنظيم الخاص - ص: ٢٧٨)، وقال: «وقد كان إلقاء القنابل في المظاهرات أمرًا عاديًّا، كما حدث في مظاهرة طلبة المدرسة الخديوية حيث ألقى الأخوان سيد بدر ولطفي فتح الله قنابل» (التنظيم الخاص - ص: ٢٧٥).

قتل رجال الدولة على طريقة تنظيم الجهاد المعاصر

يقول عباس السيسي: «وعلى هذا فقد انتشر الإخوان يستأجرون الشقق في الأماكن الإستراتيجية التي يستطيعون منها اصطياد رجالِ الحكومة، وكل مجموعة من هؤلاء معها سلاحها ومئونتها وعدتها، وفي فجر الرابع من أبريل ١٩٤٩ علم رجال المباحث أن بعضَ الإخوة يجتمعون في مسكن ما بحي شبرا، وأنهم يستعدون لعمليات انتقامية ضد الحكومة، وبمجرد أن طرق رجال البوليس هذه الشقة فاجأهم الأخ أحمد خليل شرف الدين - الطالب بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية - بإطلاق الرصاص عليهم من مدفع رشاش سريع الطلقات، وتبعه زميله جمال الدين عطية بإطلاق الرصاص من مسدسه أيضًا، فاضطر البوليس إلى التراجع... إلخ» (في قافلةِ الإخوان - ص: ٢٢٩).

❊ ❊ ❊

تدبير حادث المنشية عام ١٩٥٤م

في كتابه: (سيرة ومسيرة - ٢/ ٨٦) أراد القرضاوي أن يبرئ الإخوان من حادث المنشية، وكانت حجته أن الهضيبي كان ضد الاغتيالات، وهذا وحده كاف لتبرئة الجماعة من تلك الحادثة، وليتحمل هنداوي دوير المسئولية بمفرده، قال القرضاوى: «من الواضحِ الجلي، ومن المؤكد المستيقن: أن قيادةَ الإخوان لا تتحملُ وزرَ هذا الحادث، عند كل دارسٍ أو مراقب عنده ذرة من عقل أو إنصاف» اهـ.

وقد يقبل ما يقوله القرضاوي إن لم يكن للإخوان تاريخ بارع في الاغتيالات

السياسية، فليس بعيدًا على من تمرسوا في تلك الأعمالِ، وأباحوا تلك الجرائمَ أن يدبروا قتلَ أي حاكم، أليس جزاء من يخرج من التنظيم القتل، فقد خرج عبد الناصر من التنظيم الإخوانى! ألم يقل الإخوان في مظاهرة عابدين: «دم الشهداء بدم جمال» ألم يحل عبد الناصر جماعة الإخوان؟ ما جزاء من يفعل ذلك.؟ أسألوا النقراشى؟ غير أن القرضاوي أراد فقط أن يغرق هنداوي دوير ومحمود عبد اللطيف، لتبرأ جماعته مما قدمت في حق نفسها وفي حق المجتمع المصري في ذلك الزمان، فليست كل المصادر معه، فهناك مصادر كثيرة ضده، والجميع متفق على القتل كفكرة، غير أنهم كانوا يتناظرون في آلية التنفيذ.

❊ ❊ ❊

فكرة قتل عبد الناصر

طبقًا لقواعد التنظيم الخاص لم يكن أمر القضاء على عبد الناصر أو قتله في أول عهد الثورة بحاجة إلى براهين، فقد ترك التنظيم، وهو مع ذلك متهم بنقض العهد وخيانة الأمانة، وعاقبة من وقع في تلك الجرائر القتل، قال الصباغ: «فإن خنت العهدَ أو أفشيت السر فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير» (التنظيم الخاص - ص: ١٣٢)، ولك أن تتصورَ ما يجيش في نفسِ عبد الناصر قِبَلَ الإخوان، وهو يعرفُ ما يكنون له من العداوة، خاصة بعد أن رفعوا المناديلَ الملوثة بالدماء في أولِ عهدِ الثورةِ، وقالوا: «دم الشهداء بدم جمال»، وذلك في مظاهرة عابدين في سيارة عبد القادر عودة.

قال جابر رزق: «سيطر الإخوان على الساحة بهتافاتهم، وفجأة شقت صفوف

أعظم مظاهرة شهدتها مصر طوال تاريخها عربة جيب مكشوفة يجلس إلى جوار السائق القاضي الشهيد عبد القادر عودة، حوله ثلاثة أو أربعة من الشباب يلوحون بمناديلَ ملوثة بالدماء يهتفون: «دم الشهداء بدم جمال»» (إخوان أون لاين - ٠٦/ ١٢/ ٢٠٠٤م).

وقد كانت هناك أفكار كثيرة لقتل عبد الناصر، منها:

١- **هنداوي دوير يهتف بقتل عبد الناصر**: يقول عبد الحليم: «ففي إحدى مرات تردد محمد الجزار الذي كان ضابطًا في القلم السياسي، وكانت العلاقة بين الحكومة والإخوان متوترةً سمع هنداوي دوير - وكان من الشبان المتهورين - يردد: «لازم نقتل جمال»» (أحداث صنعت التاريخ - ٣/ ٦٦).

٢- **الهجوم الانتحاري والحزام الناسف**: قال سعد حجاج: «الحزام الناسف كانت فكرة تستخدم عند الهجوم على الجماعة، فلا بد من رد من جانبنا، وكنت أنا المرشح لحمل هذا الحزام واحتضان عبد الناصر والموت معه، ولم يكن هذا كلامًا رسميًّا بمعنى أنه لم يأت من قيادة الإخوان للتنفيذ، ولكنها أفكار نتبادل الحديث فيها، وقد رفضت هذه الفكرة.. لماذا؟ لأنني كمسلم أقاتل وأقتل، وموضوع الانتحار هذا لا أراه شرعيًّا» (الصفحات - ص: ٥٠٩).

٣- **منشورات المرشد حسن الهضيبي**: ومن مخبئه في الإسكندرية خرجت المنشورات التي كانت تنادي بقلب نظام الحكم، وتكفر الضباط، قال عبد الحليم: «وقد وجدت أن الإخوان في المركز العام يغذون إخوان الأقاليم بسيل من المنشورات منها خطابات موجهة إليهم من المرشد العام من مخبئه، ولاحظت أن هذه المنشورات والخطابات مما يرفع من حرارة الالتهاب في أعصاب الإخوان

ضد الحكومة، حتى إن بعض هذه المنشورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء» (أحداث التاريخ - ٣/ ٣٧٣).

وعلى وفق رواية المصريون نت. في ٧/ ٢/ ٢٠٠٩م فقد اعترف الأستاذ خليفة عطوة «أحد أعضاء التنظيم» بضلوع الإخوان في محاولة قتل جمال عبد الناصر في المنشية عام ١٩٥٤م.. قال الأستاذ حسين البربري: «كشف خليفة عطوة - المتهم السادس في محاولة اغتيال الزعيم الراحل جمال عبد الناصر - عن أسرار محاولة اغتيال «الإخوان المسلمين» للرئيس الأسبق في عام ١٩٥٤م فيما تعرف تاريخيًّا بـ «حادثة المنشية»، بدعم من محمد نجيب، أول رئيس لمصر بعد الإطاحة بالحكم الملكي، بعد أن تعرض للعزل في ذلك العام بقرار من مجلس قيادة الثورة.

وكشف عن اتصالات سرية تمت بين «الإخوان» ومحمد نجيب، عندما طلب منهم الأخير أن يساعدوه في التخلص من عبد الناصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤م ومكافأته «الإخوان» الدخول في الحكومة بمشاركة الأحزاب الأخرى، وتابع عطوة: «إثر ذلك، صدرت تعليمات بتنفيذ مهمة عاجلة، وتم تقديم مجموعة انتحارية تتكون من: محمود عبد اللطيف، وهنداوي سيد أحمد الدوير، ومحمد على النصيري، حيث كان مخططًا أن يرتدي حزامًا ناسفًا يحتضن عبد الناصر وينسفه إذا فشل محمود عبد اللطيف في الضرب، وأنا وأنور حافظ على المنصة بصفتنا من حراس الثورة، ونقوم بتوجيه محمود عبد اللطيف والإشارة له بتنفيذ خطة اغتيال عبد الناصر».. وأوضح أنه هو من أعطى شارة البدء لمحمود عبد اللطيف ببدء الهجوم، عندما كان عبد الناصر يخطب في المنشية بالإسكندرية، في يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٤م» اهـ.

حرمة القتل السياسي في الإسلام
القرضاوي بين مصر والعراق

لم أجد تناقضًا في الأحكام والنظرات والكيل بمكيالين في دعوة كما وجدت في دعوة الإخوان ومنظريهم، فقد استقبل القرضاوي مقتل النقراشي بالفرح والسرور، وزعم أن الحكم على عملية قتل النقراشي باشا لا بد أن يكون مرتبطًا بالزمان المصاحب للقتل، فقال في كتابه: (ابن القرية والكتاب - ص: ٣٣٥):

«وكان الجو السياسي العام في مصر يسيغ ذلك - أن من اعتدى عليهم لا بد أن يأخذ جزاءه! - فلا بد كي نكون منصفين أن نحكم على الأمور في إطارها الزمني، ولا نحكم عليها بمنطق زمننا» اهـ.

أما بشأن العراق فله رأي مخالف لذلك فقد قال: «إن مثل هذه الجماعات التي تقوم بعمليات الخطف والقتل نصبوا أنفسهم على سلطة الإفتاء والقضاء والتنفيذ، وإن مثل هذه الجماعات قد ضلت الطريق، ومثلهم مثل الخوارج قديمًا، والآفة في سوء فهمهم للإسلامِ» (القرضاوى. نت - ٩ يوليو ٢٠٠٥م).

فالقرضاوي الذي أباح قتلَ الساسة في الزمن الماضي - يتبرأ الآن من قتلهم، ويجعل القتلة كالخوارج، والعلة في سوء فهمهم الإسلام، والحقيقة أن الإخوان إذا قتلوا فهم مجاهدون، ولا يسألون عن الأدلة، أما إذا قتل غيرهم فهم خوارج ضلال، ولا بد من قضاء، ومن المعلوم أنه لا يجوز أن يقتل مسلم - سياسيًّا كان أو غير سياسي - ويتهم بالردة، بغير قضاء ولا استتابة، ولا يجوز قتل الأجراء ولا المعاهدين.

«الإيمان قيد الفتك»

وقد اعترض العلامةُ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الإخوان في قتل النقراشي، وجعلهم طائفة من الخوارج المجرمين في مقال أسماه: «الإيمانُ قَيْدُ الفَتْكِ» قال فيه: «روع العالم الإسلامي والعالم العربي، بل كثير من الأقطار باغتيال الرجل، الرجل بمعنى الكلمة، النقراشي الشهيد غفر الله له، وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين، وقد سبقت ذلك أحداث، قدم بعضها للقضاء وقال فيها كلمته، وما أنا الآن بصدد نقد الأحكام، ولكني كنت أقرأ كما يقرأ غيري الكلام في الجرائم السياسية، وأتساءل: أنحن في بلد فيه مسلمون..؟ وقد رأيت أن واجبًا على أن أبين هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة؛حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر، ولعل الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين؛فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرجوع. وما ندري من بعد النقراشي في قائمة هؤلاء الناس...» (جريدة الأساس - ٢/ ١/ ١٩٤٩م).

وأخيرًا: فقد برر القرضاوي لحماس الإخوانية في فلسطين قتل شباب مسجد ابن تيمية داخل المسجد، وادعوا كذبًا أنهم تكفيريون، فتتبعوا فارهم وأجهزوا على جريحهم، حين طالبوا بتطبيق الشريعة وإقامة إمارة إسلامية في غزة، فقال في لقائه مع الصُّحُفِيين المصريين: «أي شريعة تحكم الآن وهم في بلد محتل لا بد من إخراج الاحتلال أولًا..» بينما هو يعترض على حكام الدول الإسلامية، ويطالب بقتلهم بحجة عدم تطبيق الشريعة، بل يعترض على منظمة فتح الفلسطينية التي تعمل بنفس المفهوم ويبرر الخروج عليها.

(تنظيم ١٩٦٥م)
القبض على ثلاثة آلاف إخواني عام ١٩٦٥م

كان عدد المقبوض عليهم في تنظيم ١٩٦٥م ثلاثة آلاف إخوانى، كما شهد السيسي في كتابه: (في قافلة الإخوان - ص: ٦٧٠) حيث قال: «وهكذا أنهت نيابة أمن الدولة العليا التحقيق في قضية الإخوان رقم ١٢/ ١٩٦٥م مع أكثر من ألف شخص من حوالي ثلاثة آلاف من الإخوان المعتقلين في زنازين السجن الحربي، والذين عاشوا هذه الشهور المريرة تحت أنواع التعذيب الرهيب» اهـ، وقد وقع التعذيب فقط أثناء فترة التحقيق، من ٢١ أغسطس ١٩٦٥م حتى ٢١ أغسطس ١٩٦٦م، وهو يوم النطق بالحكم على المتهمين في التنظيم، وهذا واضح تمامًا من قول الأستاذ عباس السيسي: «وقد حكم على سبعة منهم بالإعدام، وخفف الحكم على أربعة إلى الأشغال الشاقة، ونفذ حكم الإعدام فقط في ثلاثة منهم، وصدر أحكام مختلفة بالسجن على غيرهم».

أما بقية الإخوان فلم يصدر ضدهم أحكام: «كما أن هناك مئات من الإخوان لم تصدر ضدهم أحكام، وقد أفرج عنهم بعد وفاة عبد الناصر» (انظر: في قافلة الإخوان - ص: ٧٤٥) فقد حكم فقط على مائتين وخمسة من أفراد الإخوان بأحكام مختلفة، وبقي المئات لم يحاكموا، وصاروا قيد الاعتقال.. من أغسطس ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧١م». فلم يقبض على مئات الألوف كما يردد الإخوان.

❁ ❁ ❁

أول خيوط القبض على تنظيم ١٩٦٥م

حسب مصادر الإخوان، كانت أول الخيوط التي قادت إلى اكتشاف هذا التنظيم من الناحية الجنائية - هي وجود قنابل لدى عبد اللطيف شاهين، الذي كان له صحبة مع الأستاذ يوسف القرش صديق حبيب عثمان «أحد أعضاء تنظيم ١٩٦٥م»، وقد حكى ذلك السيسي في كتابه: (في قافلة الإخوان - ص: ١١٧) قائلا: «كان الرقيب أول عبد اللطيف شاهين من رجال قوات الصاعقة، قد طلب إجازة من الوحدة العسكرية لحضور حفل زفاف إحدى قريباته، وجال بخاطره أن يأخذَ معه ثلاث قنابل صوتية كهدية يفجرها في الاحتفال..! ونزل بلدته وهي قرية اسمها (سفنا) مركز ميت غمر دقهلية، وذهب إلى أحد أصدقائه وهو يوسف عطية القرشي، وطلب إيداع هذه القنابل عنده لحين يوم الاحتفال، وانتشر أمر هذه القنابل في القرية، وبلغ أمرها عمدة القرية فقام بإبلاغ الأمر إلى الشرطة التي اتجهت إلى منزل يوسف القرشي، فلم يجدوه حيث كان في زيارة أحد أقاربه بالقاهرة، وعثروا في محله على القنابل، وأسرعوا إلى القاهرة حيث قبضوا على يوسف القرشي وصديقه حبيب عثمان، وهو صاحب ورشة خراطة (وتحت وطأة التعذيب). بدأ يذكر أول خيوط التنظيم، وتوالى القبض على العشرات والمئات من جميع المحافظات» اهـ.



اعترافات الإخوان وتلاومهم

ذكر فريد عبد الخالق أن أحد أعضاء تنظيم١٩٦٥م اعترف به اعترافًا كاملًا،

ولعله يشير إلى عثمان حبيب الذي ذكره السيسي آنفًا، وقال: «وقد اعترف أحد أفرادهم ضمن قيادة التنظيم للمحققين بكل حقائق التنظيم وقصته وأعضائه..» (الإخوان في ميزان الحق - ص: ١١٣)، وقال السيسي: «وتحت وطأة التعذيب بدأ يذكر أول خيوط التنظيم، وتوالى القبض على العشرات والمئات من جميع المحافظات» (في قافلة الإخوان - ص: ٧١١).

وقد أثبت حقيقة هذا التنظيم وتلاوم الإخوان على تكوينه فريد عبد الخالق، وبين أنه بدأ نواة صغيرة، ثم اتسع، فقال: «ونبههم الأخ الذي اتصل بهم في أمر هذا التنظيم إلى أنَّ وجودَ تنظيم ما فضلًا عن أن يكون استخدام القوة من وسائله - خطأ ينضوي على أضرار بالغة ومفاسدَ كثيرة، وضررها مقدم على ما قد يحتملون له من منافع» (في ميزان الحق - ص: ١١٣)، ثم ذكر فريد أن أحدَ أعضاءِ التنظيمِ بين أن منهج سيد كان يعتمد الانقلاب الفكري دون الانقلاب العسكري.. إلا أن الأستاذ فريد شكك في ذلك بقوله: «والذي يحمل على الظن بأن استخدام القوة من وسائله وإن أخفى القائمون عليه ذلك» اهـ، ويؤكد صدق ما قاله ما حكاه سيد قطب في (الظلال ٣/ ١٤٥١) عن ضرورة الانقلاب على نظم الحكم في الدول العربية.

وقد عاتبه محمود جامع على حديثه في (آفاق عربية/ ٣ يونيه ٢٠٠٤م) قائلًا: «وتناولت - يا أستاذي الجليل - الشهيد الفاضل والداعية المجتهد المؤمن الواعي سيد قطب شهيد الإسلام الغالي بالنقد والتجريح والاتهامات الظالمة، ووضعته في مرتبة المتآمر على عبد الناصر وعلى الدولة بالإرهاب» اهـ، وصرح فريد بأنه شهد ندم سيد قطب على ما قدم لنفسه من أعمال انتهت بإعدامه، قائلًا: «إن عينه التقت

بعين سيد قطب في السجن وشعر بأنه نادم على أفعاله.. وقال عنه: أحس أنه كان يشعر بالخوف من مصيره المتوقع بالإعدام» (آفاق عربية - ٢ يونيه ٢٠٠٤م).

وعلى ذلك كانت كل المناقشات والتهم الموجهة إلى الإخوان دائرة في نطاق التدبير لقلب نظام الحكم بالقوة، وقتل عبد الناصر.

❊ ❊ ❊

الاتهامات التي وجهت إلى سيد قطب

اتهام رئيس النيابة

عرض رئيسُ النيابة الذي باشر التحقيقَ مع سيد قطب حقيقةَ ما قاله سيد في مفهوم جاهلية الأمة المسلمة، وما تضمنه كتاب (معالم على الطريق) قائلًا:

«لكن جماعة (الإخوان) أبت إلا أن تفسر الدين حسبما تقتضي أهدافهم، فيضع قطبهم (سيد قطب) دستورهم: (معالم على الطريق) الذي يدعو حوارييه أن ينطووا على أنفسهم، وينفصلوا عن مجتمعهم، بقوله: «إننا اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية، تصورات الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم.. وأن الإسلام يهدف إلى إزالة الأنظمة والحكومات الجاهلية» (في قافلة الإخوان - ص: ٧٠١)، وهذا رد واضح على القرضاوى الذي زعم في مذكراته أن المحكمةَ لم تكن على دراية بما كتبه سيد قطب باعتبار أنه مفكر، لا ينبغي أن يحاكم إلا أمام مفكرين، فممثل النيابة كان على دراية كبيرة بفكر سيد قطب، وهذا هو نفس ما قاله القرضاوى في سيد قطب، أمام منصة القضاء فقد كانت تحاكم على التنظيم، وليس على الفكر؛ حيث لم تدر

أي قضية فكرية في المحكمة على الإطلاق، وقد كان الاتهام الذي وجهه رئيس النيابة لسيد قطب هو نفس الاتهام الذي وجهه القرضاوي لسيد قطب، فقال: «وأخطر ما تحتويه التوجهات الجديدة في هذه المرحلة لسيد قطب - هو ركونه إلى فكرة التكفير والتوسع فيه» (آفاق عربية - ٨ يوليو ٢٠٠٤م).

❋ ❋ ❋

هل حوكم سيد قطب بسبب الحاكمية؟

زعم القرضاوي أن سيد قطب حوكم بسبب كتابه: (معالم على الطريق)، ولم يحاكم بسبب التنظيم فقال: «الحقيقة أن سيد قطب وتنظيمه لم يحاكما من أجل «الأعمال الخطيرة» التي ارتكبها، ولكن حوكم كلاهما من أجل «الأفكار الخطيرة» التي اعتنقها أو دعا الناس إليها..» (آفاق عربية - ٨ يوليو ٢٠٠٤م).

والحقيقة أن قضايا الإخوان أمام المحاكم التي أطلق عليها محاكم الشعب عامي ١٩٥٤م، ١٩٦٥م لم تكن قضايا فكرية كما زعم، إنما كانت قضايا تشكيلات وتنظيمات وأوكار، و تصريح بقتل أو دراسة له، ولم يناقش أمام أي محكمة من محاكم الثورة مسألة الحاكمية لله تعالى، كما هو مشاع عن سيد قطب وغيره، وأنه رفع تلك الراية في المحاكم، وأنه قتل بسببها.

فالقضية التي حوكم بسببها سيد قطب كانت قيادة تنظيم ١٩٦٥م الذي أقرت به زينب الغزالي، والذي حدث كما أخبر عباس السيسي أن المحكمة سألت الأستاذ سيد قطب عن مقصوده من الحاكمية.؟ فطلب سيد قطب الراحة، فرفعت الجلسة، ثم أعيدت الجلسة مرة أخرى، ولم يسئل سيد قطب فيما سئل فيه من قبل، قال عباس

السيسي في كتابه: (في قافلة الإخوان - ص: ٧٠٦): «وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة قال الدجوي للأستاذ سيد: نريد أن نعرف تفسيراتك لما جاء في كتاب معالم في الطريق عن مقصودك من معنى الحاكمية؟ وهنا انتاب الإخوان السرور. ! ولكن الأستاذ سيد طلب من المحكمة أن تعطيه فرصة استراحة يستأنف بعدها الرد على السؤال، وأوقفت الجلسة، ودخل أعضاء المحكمة للاستراحة، واستؤنفت الجلسات، ووقف الأستاذ سيد تلتهمه العيون وترفرف حوله الدعوات، وانتظرنا أن يعيد رئيس المحكمة عليه السؤال عن الحاكمية لله. ولكن تغافل الفريق أول عن هذا السؤال، وأخذ يلف ويدور حول أسئلة فرعية» اهـ، وعادت المحاكمات تدور حول التنظيم وأعماله وأفراده.. إلخ فلم يحاكم سيد قطب بسبب مسألة الحاكمية، ولم يكن هناك أحد ينقض الحاكمية لله (تعالى ذكره)، حتى عبد الناصر لم يكن ينكر ذلك، كما صرح الإخوان على لسان المستشار عبد القادر عودة، ولكنه كان يرى تهيئة الجو لذلك، فقد قال: «إننا سنحكم بالقرآن، ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك، ولا بد من تذليل العقبات وتهيئة الجو للحكم بالقرآن، ولا بد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك..» (أحداث صنعت التاريخ ٣/ ١٦٥)، وهذا هو نفس المفهوم الذي يقوله الإخوان: أن «الحدود لا تطبق إلا في مجتمع كامل» كما قال السباعي، وأن «الحرية مقدمة على الشريعة» كما قال القرضاوي.

❊ ❊ ❊

سيد قطب ودوره مع الثورة المصرية

نشأ سيد قطب في كنف الأديب الشهير الأستاذ عباس محمود العقاد، وتأثر به،

واهتم بالشعر والأدب وعلوم البلاغة، وتفنن في النقد الأدبي، واشتغل بالسياسة منتميًا لحزب الوفد، وعمل بالصحافة، وكتب في صحف متعددة، وتعرض للاعتقال على إثر مقال انتقد فيه رئيس الوزراء في زمنه.. إلا أن أحد زملائه استطاع أن يهيئ له فرصة للسفر إلى أمريكا كمبعوث عن وزارة المعارف، لدراسة مناهج التعليم في أمريكا، واستمرت بعثته من ١٩٤٨م إلى ١٩٥٠م.

أما بداية ارتباطه بجماعة الإخوان فقد كان ارتباطًا عاطفيًا، ولم يكن ارتباطًا علميًّا، فقد نشأ كرد فعل رآه في المستشفى التي كان يعالج فيها من مرض الدرن والقلب قبالة مقتل حسن البنا، إذ وجد بعض العلوج يذكرون موته بفرح وسرور، فظن أن ذلك لا يكون إلا إذا كان حسن البنا على الحق، وعندما عاد إلى مصر في أوائل ١٩٥١م انضم لجماعة الإخوان، وعين رئيسًا للجنة الدعوة. وعندما آمن بفكر الإخوان لم يكن له شيخ من أئمة السلف ولا من أهل الحديث، وإنما انتقل بمفرده بفكره القديم من صالونات الأدب المتعالمة بالفكر الفلسفي إلى العمل الديني، وقد كان سيد قطب يكتب مقالات متعددة في جرائد الاشتراكيين (مصر الفتاة) واللواء الجديدة (الحزب الوطنى) والدعوة (الإخوان المسلمين)، ومن خلال مقالاته في جرائد الاشتراكيين تعرف عليه ضباط الثورة، حتى إن اللواء محمد نجيب هاتفه، وقال له - كما حكى عنه شقيقه الأستاذ محمد قطب -: «نحن تلاميذك، تتلمذنا على كتابك «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، وعلى مقالاتك في مجلة الاشتراكية، ونريد أن تكون أنت مستشارنا في الأمور الداخلية، فذهب إليهم، فاحتفوا به احتفاءً شديدًا في مبدإ الأمر على أساس أنه أستاذهم الذي وجههم، وما كان يعرفهم وما كان التقى بهم أبدًا قبل ذلك، ولكن قالوا له:

نحن تتلمذنا على فكرك الموجود في العدالة الاجتماعية، وعلى مقالاتك في الاشتراكية. ذهب إليهم وعاش معهم ستة أشهر» (حياة سيد قطب. موقع الإسلام اليوم - ١٣/ ٢/ ٢٠٠١م).

وقد عهدوا إليه أن يكون مستشارًا للأمور الداخلية، خاصة المتعلقة بوزارة المعارف، قال محمد قطب: «فتحوا أمامه كلَّ الملفات الداخلية، وطلبوا مشورته في كلِّ الأمور» اهـ، وعين سكرتيرًا لهيئة التحرير بعد أن كان رافضًا لذلك في أول الأمر، واختلف معهم في بعض أنشطتها، غير أنه لم يصرح بماهية الاختلاف، وعندما علم ببعض لقاءات أو اتصالات بين الضباط والسفارة الأمريكية نبههم إلى ذلك فقالوا له: «نحن نستعين بهم لطرد الإنجليز، ولن يكونَ لهم نفوذ علينا ولا في بلادنا» اهـ، وعندما وقعت النزاعات بين ضباط الثورة وبين الإخوان حاول سيد قطب التوفيق بينهم، وكانوا يستجيبون لذلك، قال محمد قطب: «وكانوا يستجيبون له حرصًا على إبقائه معهم» اهـ.

فقد كان متحمسًا للثورة تحمسًا شديدًا، وكان خطيبًا لها داعيًا إليها، حتى إنه لقب بـ «ميرابو الثورة»، فقد أنكر في صحف الثورة إنكارًا شديدًا على الذين يريدون عودة الضباط إلى الثكنات العسكرية.

وطالب الضباط بعدم تمكين السياسيين من الوثوب على الثورة، بأي صورة من الصور، بسبب كونهم كانوا مخلصين للملك.

وبين أن القوة المتمكنة المتمثلة في رجال الجيش أقوى في الوصول إلى المقصود من الجماهير الحمقاء والأحزاب البالية.

وطالب الضباط بإقامة ديكتاتورية عادلة، ونادى الشعب أن يصبر عليها،

وقد شارك الأستاذ كامل عبد الفتاح محمد قطب في بيان منهج سيد قطب وتحمسه للثورة المصرية ووقوفه ضد المناوئين لها قائلًا: «وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م أعلن تأييدَه لها وتبني أهدافها، ودافع عن شرعية وجودها بمقالاته الصحفية، وكانت علاقته وثيقةً بالثوار، وازدادت توثقًا بعد قيام الثورة، فكان المدني الوحيد الذي يحضر جلسات مجلس قيادتها؛ بل إن الثوار تأثروا بكتاباته، ومنها كتاب: «العدالة الاجتماعية في الإسلام» الذي قرأه معظمهم.

وبسبب شدة تأييده للثورة أطلق عليه لقب «ميرابو الثورة المصرية» تشبيهًا له بميرابو أشهر خطباء الثورة الفرنسية؛ لأنه أيَّد كلَّ مطالب الثورة، فأعلن تأييده لقانون الإصلاح الزراعي، وندد بمحاولة الأحزاب احتواء الصورة، ووقف معاديًا لحركة عمال كفر الدوار، واتهم الشيوعيين بتدبيرها، وطالب بإلغاء دستور ١٩٢٣م، كما طالب محمد نجيب بتطبيق ما أسماه دكتاتورية عادلة لمدة ٦ شهور، حتى تستقر الأمور والأوضاع للثوار، وتتدعم سلطاتهم السياسية، ثم اتزنت علاقته برجال الثورة، فطالب بالإفراج عن المسجونين السياسيين بما فيهم الشيوعيين» (سيد قطب في ذكراه الـ(٣٩). إخوان أون لاين – ٢٩/ ٠٨/ ٢٠٠٥م).

ثم بعد ذلك وقع صراع بينه وبينهم بسبب الإخوان، وانفصل عنهم واعتزلهم، وانضم لجانب الإخوان، وذلك أواخر عام ١٩٥٣م، ومن هنا يتبين أن قضية التكفير وتجهيل المجتمعات الإسلامية التي تبناها سيد قطب بعد دخوله السجن عام ١٩٥٤م لم تكن متبلورة في ذهنه وقت أن كان أديبا.

ولم تكن متبلورة في ذهنه بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥١م، فمجرد اشتراكه مع ضباط الثورة ينفي ذلك، ولكنه حين انضم للإخوان تشبع بفكرهم التكفيري

القائم على إنكار وجود الدول الإسلامية، فآمن به، وبلور حيثياته فيما بعد، فنهى عن التدخل في مشكلات الواقع الجاهلي، والعمل على إصلاحه أو تعليمه أمور الدين، أو حتى إفتائه في القضايا التي يتعرض لها، حتى يدخل الدين ويؤمن به أولًا، ومن هنا يتضح أنَّ عرضَ قضية الحاكمية الإسلامية بمفهومها الصحيح على ضباط الثورة لم يقم به سيد قطب، ولم يقع بينه وبينهم نزاع في تلك القضية.

فقد كانت القضية الأولى في ذهن سيد قطب في ذلك الوقت - هي قضية «العدالة الاجتماعية» بمنظورها الاشتراكي.. كما دعا ضباط الثورة وطلب من محمد نجيب شخصيًّا أن يطبق دكتاتورية عادلة لمدة ستة أشهر، كما تقدم. فلم تقم به حجة رسالية إسلامية على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. كما يزعم أصحابه.

لماذا سجن سيد قطب من عام ١٩٥٤م إلى عام ١٩٦٤م؟

لم يسجن سيد قطب عام ١٩٥٤م بسبب قضية الحاكمية، وإنما سجن بسبب التصريح بوجوب قتل ضباط الثورة والإشراف على المنشورات الإخوانية التي تدعو إلى الانقلاب على الثورة والخروج عليها بسبب اتفاقية الجلاء، وذلك أن سيد قطب عاد من أمريكا في ٢٣ أغسطس ١٩٥٠م ومكث مع ضباط الثورة ستة أشهر فقط: ابتداءً من يوليو ١٩٥٢م حتى أوائل فبراير ١٩٥٣م.. ثم ترك ضباط الثورة، وارتمى بالكلية في حركة الإخوان، وصار مديرًا لقسم الدعوة، وأصبح محسوبًا عليهم، فانقطعت نصائحه عن ضباط الثورة، ولم يعد مستشارًا في شئون وزارة المعارف، وإنما صار في خندق لا يعرف إلا لغةَ الانقلاب والثورة، فلم يرفع سيد قطب لواء الحاكمية، إنما رفع لواء الانقلاب والثورة على الضباط، الذين وضعوه في موقع الصدارة، وفي ١٨ نوفمبر ١٩٥٤م - بعد عام واحد من

ارتباطه بالإخوان وبعد القبض عليه في حادث المنشية - صرح في المحكمة أنه نصح المرشد العام بالقضاء على ضباط الثورة، قائلًا: «إنني نصحت الأستاذ المرشد أننا جماعة الإخوان يجب أن نقضى على حركة الجيش قبل أن تقضي علينا «قال ذلك في وجه رئيس محكمة الشعب جمال سالم» (في قافلة الإخوان - ص: ٥٢٢)، وبعد عقد اتفاقية الجلاء هدد سيد قطب في منشوراته السرية ضباط الثورة بوقف الاتفاقية، قال القرضاوي: «الإخوان كانت لهم نشرة سرية تصدر في هذا الوقت تحت عنوان: (الإخوان في المعركة) تهاجم الثورةَ ورجالها بعنف، وتتضمن المنشورات الثورية التي تصدر عن قيادة الإخوان مثل منشور عنوانه: «هذه الاتفاقية لن تمر» يعني: الاتفاقية التي عقدت مع الإنجليز، وكان ينسب إلى الأستاذ سيد قطب أنه محرر هذه المنشورات الثورية بقلمه) (سيرة ومسيرة - ٢/ ٧٧)، فحكم عليه بسبب ذلك بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا، وذلك بعد عام واحد فقط من ارتباطه بالإخوان، مع العلم أنه لم يتعلم من أحد منهم شيئًا، فلم يكن له في الإخوان شيخ ولا إمام، ولكن هكذا عشرة الإخوان.

وفي السجن كتب كتابه: (في ظلال القرآن) - الذي غلبت عليه النزعة الأدبية - من بين مراجع مكتبات مستشفى السجن الحربي، وذلك من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م، حيث صدر عفو صحي عنه بعد مرور عشر سنوات. ومن كتاب «الظلال» كتب سيد قطب «معالم على الطريق» عام ١٩٦٢م الذي جعل فيه الأمة الإسلامية في مصاف المجتمعات الجاهلية. فالظلال هو المرجع الأول للفكر التكفيري، وكتاب الظلال كتاب أدبي لا يمكن أن يوفق سيد قطب لكتابته بهذه التعبيرات الأدبية البلاغية وهو تحت تأثير السياط، ومن لم يعرف ظروف سيد

قطب سيقول إنه كان في مكتبة إسلامية مكتظة بكافة أنواع الكتب والمراجع، وليس في زنزانة لا تدخلها الشمس، كما كانوا يدعون بالكذب على المسلمين. والحقيقة أن سيد قطب قضى أغلب فتراته في مستشفى السجن الحربي من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م. حيث كان مريضًا بعدة أمراض - السكر والقلب والدرن - يستحيل معها أن يتعرض للتعذيب، كما يزعم الإخوان لا في الفترة الأولى من ١٩٥٤م حتى ١٩٦٤م ولا في الفترة الثانية من ١٩٦٥م حتى ١٩٦٦م كما زعم عبد الله عزام قائلًا: «وقف الداعية الشهيد سيد قطب يسخر من المحكمة التي تحاكمه، وطلب إليه القاضي الفاجر جمال سالم أن يذكر الحقيقة، فقال الشهيد وقد كشف عن صدره وظهره الممزق بالسياط وأنياب الكلاب البوليسية الثورية: أتريدون الحقيقة؟ هذه هي الحقيقة! فضجت القاعة بالاشمئزاز وأشاح الجمهور بوجهه؛ ألمًا وازدراءً لما يقع في سجون مصر الثورة» (سيد قطب - عملاق الفكر الإسلامي) فهذا من أكاذيب الإخوان.. وقد شهد محمود جامع «في لقائه مع قناة «الجزيرة» أن سيد قطب كان مريضًا بعدة أمراض؛ فقال: «كان سيد قطب مريضًا بالدرن وبالقلب وبالسكر وعدة أمراض فقضى معظم وقته في المستشفى، في مستشفى سجن مصر» (الجزيرة - ١٠/ ١/ ٢٠٠٥م)، وهذا بالضرورة يبين استحالة تعرضه للتعذيب وهو بتلك الصورة.

ومن الضروري أن يعلم أن سيد قطب لم يمرض تلك الأمراض في السجن، كما يدعي بعض الإخوان، فقد كان يعاني منها قبل الثورة، حتى إنه كان يعالج منها في المستشفى الأمريكى، حيث سمع بمقتل حسن البنا، أما أمره في سجن طرة فقد شهد الأستاذ أحمد عبد المجيد «أحد أعضاء تنظيم ١٩٦٥م» أن سيد

قطب كان على علاقة طيبة بضباط سجن طرة، حتى قال: «كانت صلته بالضباط والجنود في السجن صلةً طيبة، حتى إن مأمور سجن طره قال: إن سيدًا هو مدير السجن لصلته القوية بالجميع» (إسلام أون لاين - ١٢/٧/ ٢٠٠٤م).

فلم يؤلف سيد قطب الظلال تحت التعذيب، وقد بين أنه لم يكن يخضع في دراساته إلا لعقله، ولم تؤثر فيه أي عقيدة، فقال: «وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة، وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم» (التصوير الفني - ص: ٢٥٥)، ولو كان ما كتبه سيد قطب بسبب الظروف النفسية لوجب على أخيه محمد قطب تصحيح مساره وتوضيح المقصد الصحيح من كلامه في نفس كتابه، الذي طبعت منه طبعات عديدة، بنفس الفكر، بعد وفاته بما يزيد على أربعين سنة.

❋ ❋ ❋

القرضاوي يدعم الأمريكان

ويزداد الكرب على أفغانستان بعد كرب الإخوان وكرب ابن لادن بكرب القرضاوى الذي أفتى الجنود المسلمين في الجيش الأمريكي المقاتل في أفغانستان بالاشتراك في القتال، حفاظًا على ولائهم للمجتمع الأمريكي.

قال القرضاوى في حديثه لمجلة: (الأهرام العربي عدد (٢٣٩) - ٢٠ أكتوبر ٢٠٠١م): «الذي يتجه إليه النظر الفقهي هو أن هذا المسلم إذا أمكنه أن يتخلف عن هذه الحرب بطلب إجازة أو إعفاء من هذه الحرب؛ لأن ضميره لا يوافق عليها فالواجب عليه أن يفعلَ ذلك؛ حتى لا يتورطَ في مواجهة المسلم بغير حق، وكذلك إذا استطاع أن يطلبَ العمل في الصفوف الخلفية لخدمة الجيش لا في

مباشرة القتال فهذا أخف، إذا لم يترتبْ على موقفه هذا ضرر بالغ له أو لجماعته الإسلامية، التي هو جزء منها، كأن يصنف هو وإخوانه في مربع الذين يعيشون في الوطن وولاؤهم لغيره، وقد يكون هذا التصنيف خطرًا على الأقلية الإسلامية ومصيرها ووجودها الديني والدعوى، وقد يؤدي هذا الموقف بالجهود الدعوية والتربوية الهائلة التي بذلت لعشرات السنين من أجل تقوية الوجود الإسلامي وتثبيته واعتبار المسلمين جزءًا لا يتجزأ من مجتمعهم، يجب أن يندمجوا فيه حضاريًّا، ولا يذوبوا فيه دينيًّا، فلا يجوز أن يتصرفوا تصرفًا يجعلهم مشبوهين أو مشكوكًا فيهم، بحيث يعتبرهم المجتمع العام طابورًا خامسًا..» اهـ.

هذا هو فقه القرضاوى! لا تقلق ضميرك أيها الجندي الأمريكي المسلم بترك الحرب فمعك صك للقضاء على المسلمين، وإذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما، والضرر الأخف هو قتل المسلمين؛ حتى لا يتعرضَ ولاؤك للتشكيك، أما دماء المسلمين فلا قيمة لها.. فقه ساذج، ليس فيه ذرة ولاء للإسلام، يحرم المياه الغازية ويبيح قتل المسلمين. هذا هو موقع الإخوان في كل موضع فيه جهاد في سبيل الله: أعداء لأهل السنة، ورفقاء للاحتلال، ولا أدري كيف برجل كمحمد عاكف يقول على وطنه وأهله وعشيرته: «طظ في مصر وإللى في مصر وأبو مصر»، ويكون في نصرتها وفي الدفاع عنها؟

❋ ❋ ❋

الإفلاس السياسي في حركة الإخوان

السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه.. إما في جلب مصلحة، أو في دفع

مضرة، ولا طريق أحق لبلوغ تلك الغاية من طريق الإسلام. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]، ومع ذلك فإن الإسلام لم يضيق مباحث العدل والمصلحة على ما ثبت بالنص، وذلك أن مجالات السياسة تتسع لما ثبت بالاجتهاد، سواء في فهم النص إذا كان محتملًا لأكثر من وجه، أو في حالة عدم وجود النص، وأكثر أعمال الساسة واجتهاداتهم تكون عند تعارض مفسدتين أو مصلحتين، فالعامة يميزون الحلال عن الحرام، لكن تمييز المفاسد واختيار أدناها، وتمييز المصالح واختيار أعظمها - هذا أمر لا يحسنه إلا المجتهدون من العلماء وكبار الساسة، ومن أجل ذلك يحدث الخلاف والنزاع بسببه بين العامة، فينقسمون فيه أقسامًا متعددة بين مؤيد ومعارض، وذلك لجهلهم بالواقع ولجهلهم بأدوات الاختيار، ومثله المتشابه الخاص بالعلماء ودقيق العلم في مسائل الأسماء والصفات لا يفقهه العامة كذلك، وإنما يدركه خواص العلماء، وعلى ذلك فكل طريق من طرق السياسة يوصل إلى العدل والمصلحة فهو من الشرع.. سواء وجد له دليل في الشرع أم لم يوجد، أما إذا وجد الدليل وثبت النص، فالمصلحة فيما حكم به الشرع والعدل فيما انتهى إليه. قال ابن القيم: «فإن الله أرسل رسله، وأنزل كتبه ليقومَ الناس بالقِسطِ، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريقٍ كان، فذلك من شرع الله ودينه، ورضاه وأمره» (إعلام الموقعين عن رب العالمين - ٤/ ٣٧٣).



الديمقراطية مفهوم وضعي

الديمقراطية مفهوم وضعي لا تهتم بحقوق الله تعالى، الذي خلق وأبدع، والذي ضمن لمن اهتدى بهداه، واتبع أنبياءه ورسله السعادةَ في الدنيا والآخرة، ولا تهتم بالخوف من الله تعالى ولا بالرجاء منه ولا بالحب فيه، ولا تهتم بالسبل الموصلة إلى ذلك، ولا تراعيها.

إنما تدور المفاهيم الديمقراطية حول حقوق البشر خاصة، وتدور بمفهوم قاصر لا يضمن الصلاح، ولا يحقق السعادة.. فلم يثبت بالضرورة التلازم بين حرية الاختيار في التشريع القائم على المفهوم البشري في النظام الديمقراطي مع تحقيق المصلحة والسعادة للمجتمع جنبًا إلى جنب، بل على العكس من ذلك فالديمقراطية في صراع دائم بين الأقلية والأغلبية: صراع حول تحقيق الذات بما يحول دون تحقيق المصلحة والسعادة للجميع أغلبية كانت أو أقلية، والتفكك الأسري والانهيار الأخلاقي والخلل الديني والشقاء الروحي والجرائم المتنوعة في بلاد الغرب - دليل آكد على ذلك، والديمقراطية مفهوم بشري متفاوت الصور، نظرًا لتفاوت الطبقات والمعايير وتفاوت الملل، ومن أجل ذلك فحكمها حكم الممكن، الذي يتعثر ويتخبط ويزول، فالشعب الذي أقر الاشتراكية في كثير من البلدان، وجعل لها أصولًا وبنودًا في الدساتير - هو نفس الشعب الذي انقلب عليها باسم الديمقراطية، وذلك في عقود متقاربة، والنواب الديمقراطيون الذين أقسموا على حفظ القانون والدستور - هم نفس النواب الذين يعملون بالليل والنهار على تغيير القانون والدستور، وهم في نفس الوقت يستغلون تفويضًا عامًّا

من الشعب في أن يقولوا ما يشاءون دون الرجوع إلى الشعب كي يحددَ لهم وجهته ومراده، ولا يستطيع الشعب أن يتخلصَ من هذا التفويض إلا في نهاية الدورة الانتخابية المقررة له.. كما أن الشعوب مذبذبة في الاختيار والحكم. فالشعب الألماني الذي اختار الحزب النازي بالديمقراطية - هو نفسه الشعب الذي أسقطه بالديمقراطية.

❋ ❋ ❋

التخبط السياسي في دعوة الإخوان

جعل الإخوان اهتماماتهم بالقضايا السياسية فوق اهتماماتهم بالمفاسد المتعلقة بالشرع والدين، إن لم يحتقروها، فقد قال عبد المنعم أبو الفتوح: «فليس هناك شك في أن الإسلاميين والمتدينين عمومًا عندهم أرتكاريا من بعض المسائل، ويضخمونها مثل المخالفات الجنسية، والإسلام ليس معها بالطبع، ولكن لماذا نهتم بها أكثر من المخالفات السياسية» (العربي - ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٣م).

وقد انتهى عصام العريان إلى القول بأن قضية الحلال والحرام لا علاقة لها بالعملِ السياسي في حركة الإخوان قائلًا: «ونزول الجماعات السياسية التي تستند إلى مرجعية إسلامية إلى الساحة السياسية لا تستند في عملها السياسي على قضية الحرام والحلال، هي تستند بالفعل على قضية المصالح والخطإ والصواب» (قناة الجزيرة - ٥/ ٤/ ٢٠٠٥ م).

ولم يقف تهاون الإخوان عند المحرمات، بل امتد حتى وصل إلى الشرك، فليترك الشرك كما هو دون زجر والتوحيد دون أمر، حتى يصل الإخوان إلى

الحكم، قال حسن الترابي: «إنهم يهتمون بالأمور العقائدية وشرك القبور، ولا يهتمون بالشرك السياسي، فلنترك هؤلاء القبوريين يطوفون حول قبورهم حتى نصل إلى قبة البرلمان» (م. الاستقامة ربيع الأول ١٤٠٨ هـ).

ولا شك أن هذه الأفكار تطعن بالضرورة في مفهوم الشمولية الذي يتعاظم به الإخوان على غيرهم من الطوائف والجماعات، ودليل آكد أن شعار «الإسلام هو الحل»، الذي يتلاعب به الإخوان مع العامة شعار منزوع من حقيقته، ليتلاءم مع قضايا الإخوان التاريخية التي يعيشون من أجلها. قال عاكف: «هدفنا هو تربية الفرد والأسرة والمجتمع حتى نصلَ للمستوى الذي نضمن من خلاله أن يقف وراءنا جميع الناخبين» (الأخبار ٢٧ أغسطس٢٠٠٥م).. فالإخوان متفقون على عدم الاهتمام بالعلم، وكل ما من شأنه أن يصفي أمور العبادة من الدخن، أو يؤهل المرء للتدبر والوقوف بين يدي الله تعالى، طمعًا في جنته وهربًا من ناره، طالما أنهم بعيدون عن كرسي الحكم، وبقليل من الجهد وبالنظر في تاريخ الإخوان يتضح أنهم متخبطون في فكر التغيير والإصلاح، فما يثبتونه في موضع ينكرونه في غيره، ودعوتهم من أكثر الدعوات تناقضًا مع فكرها الذي تنشده، فهي تحرم ما يبيحه فكرها، وتحارب ما ينشده فكرها، وهذا بالضرورة يثير الشك في مقاصدهم وأهدافهم؛ هل هم يريدون حقيقة الفكر الذي يدعون إليه؟! أم أنهم يتسترون من خلاله للوصول إلى مقاصدهم، ثم بعد ذلك يظهرون الكفر به؟

وبالاطلاع على تاريخ الإخوان يتبين لكل بصير حقيقة التذبذب في الفكر السياسي للإخوان، ويتبين أن الإخوان الذين يعيبون على الساسة في كل شيء لو وصلوا إلى الحكم لن يفعلوا أكثر مما يفعل الساسة، ولكنهم لا ينظرون إلى الواقع إلا

بعين عوراء: المباح عندهم جريمة إذا فعله غيرهم، والشرك إذا وقع فيه غيرهم لم إذا وقعوا هم فيه، وتلك هي الشواهد الدالة على تذبذبهم السياسي واضحة جلية:

الأول: الإخوان يرفضون الحزبية على الإطلاق، ثم يقبلونها على الإطلاق.

الثاني من التناقض: حدد حسن البنا متى يلجأ الإخوان إلى استخدام القوة العملية ثم تناقض وقال: «وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها» اهـ.

الثالث: قالوا: إذا ضاقت بنا الأمور فلا مخرج لنا إلا الجيش. وعندما نفذ الجيش ما كانوا يأملون تظاهروا عليه قائلين له: لا حق لك في الحياة المدنية، ارجع إلى الثكنات يا عدو الإنسانية! وهم الآن يريدون الوصول إلى الحكم عن طريق الديمقراطية، ويعيبون على الإصلاح إذا تم عن طريق الجيش.

الرابع: قالوا: «القرآن دستورنا» ثم تنازعوا مع عبد الناصر بعد الثورة لوضع دستور جديد. وأخيرا قالوا للخاصة: «إن شعار الجماعة «القرآن دستورنا» شعار عاطفي وأدبي» (الشرق الأوسط ٢٥ مايو ٢٠٠٥م).

الخامس: قالوا: «الإسلام هو الحل»، ثم قالوا: «الدستور هو الحل»، ثم قالوا: «الإصلاح السياسي هو الحل»، ثم قالوا: «الحرية قبل الشريعة»، وعندما غلبتهم التحالفات الأيدلوجية قالوا: «نعم للمشاركة لا للمغالبة»، ثم تركوا جميع الشعارات، وتحالفوا مع الليبراليين والشيوعيين.

السادس: كان حسن البنا يحصر الاستفتاء في أهل الحل والعقد، وكان يحصر أبواب الترشيح للمجالس النيابية فيمن تتوفر فيهم صفات أهل الحل والعقد، غير أن الإخوان المعاصرين تراجعوا عن هذا وذاك، وقالوا: تعظيمًا للديمقراطية يجب استفتاء الشعب بجميع طوائفه في كل الأمور.

السابع: عندما تعمقت أفكارهم السياسية، وسمعوا أحاديثَ تتكلمُ عن المواطنة قالوا: نحن أولى الناسِ بتحقيق المواطنة، قال عصام العريان: «نؤمن بحق المواطنة» (نافذة مصر. نت) وعلى العكس من ذلك رفض نوابُ الإخوان مفهومَ المواطنة، كما جاء في جريدة (المصري اليوم - ١/ ٣/ ٢٠٠٧م): قال رجب أبو زيد: «المواطنة مبدأ تم استيراده من الغرب، ويعني فصل الدين عن الدولة، والمناخ السياسي في مصر لا يمكنه قبول هذه الكلمة» اهـ وهؤلاء البرلمانيون أيضًا متخبطون في أقوالهم؛ إذ إنهم أقروا من قبل ما يخالف هذا الاتجاه، وقالوا: «ولو ترشح قبطي للرئاسة، واستوفي كلَّ الشروطِ الدستورية فإن نوابَ الكتلة سيوافقون على ترشيحه، بل سيدعمونه» (المصري اليوم - ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦م).

الثامن: طالبوا الحكومات بتقنين النظم التي تؤدى إلى اختيارِ الحاكم من بين عدة مرشحين إيمانًا بالنظامِ الديمقراطي، بينما هم يختارون مرشديهم ببيعة المقابر تارة، وبكبر السن تارة، وبترشيح مكتب الإرشاد تارة أخرى، ولا حق للأسر في اختيار المرشد ولا في اختيار أعضاء مكتب الإرشاد.

التاسع: قالوا للمسلمين في الانتخابات البرلمانية: صوتكم أمانة ستحاسبون عليها بين يدي الله، أعطوه لمرشح الإخوان. وفي دوائرَ أخرى قالوا لأتباعهم ولعامة المسلمين: صوتكم أمانة أعطوه للشيوعيين والناصريين والأقباط.

العاشر: قالوا: الإسلامُ هو الاشتراكية. ثم تبرءوا من الاشتراكية، وكفروا دعاتها، ثم انقلبوا إلى الديمقراطية فكفروا بها أولًا، ثم لعبوا بها ثانيًا، ثم قالوا: نحن نؤمنُ بها، ونذود عنها حتى الموت. ودعوا إلى مواجهة الشيوعية بالاشتراك مع أصحاب الملل والأديان الأخرى، ثم انقلبوا وتحالفوا مع الشيوعيين، ونادوا بأحقيتهم في إقامة

أحزاب شيوعية، واتهموا الدولَ الإسلاميةَ بالعمالة والخيانة لتعاملها مع أمريكا، وسكتوا عن الحزبِ الإخواني المعبر عنهم في العراق حين وضع يدَه مع بول بريمر الحاكم العسكري الأمريكي في العراق، وقالوا: أهلُ مكةَ أعلمُ بشعابها.

وفي نطاقِ التعددية السياسية كان حسن البنا ضد الأحزاب، وكان يراها سيئة الوطن، وكان يدعو إلى اعتزال: «المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى، والأندية والصحف والجماعات والمدارس، والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية! مقاطعة تامة» (الرسائل - ص: ٤٠٣)، وكان يرفضُ الائتلافَ بين الأحزابِ، وقال: «إنَّ الإخوانَ يعتقدون عقمَ فكرةِ الائتلافِ بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت قبل الائتلاف» (الرسائل - ص: ٢٠٢) وقد أكد على ضرورة حلها، قائلًا: «ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعًا، وتجتمع قوى الأمة في حزب واحد» (الرسائل - ص: ٢٤٥)، وقد أكد رفضَه بكل وضوح للأحزاب، دون تعلق بأحوالها، باعتبار أنها تتنافي مع الوحدة التي يريدها الإسلام (الرسائل - ص: ٣٢٠). أما بالنسبة للفكرِ الديمقراطى في نطاق الممارسات العامة فقد كان حسن البنا يرفض الترشيح للمجالسِ النيابية لمن لم يكن متصفًا بصفات أهلِ الحل والعقد، فقال: «والإسلام لا يأبى هذا التنظيمَ ما دام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة» (رسائله. ص / ٢٤٦)، وكان يحصر الاستفتاء في القضايا العامة بين أهل الحل والعقد، وقال في (الرسائل - ص: ٢٤٦): «الإسلام لم يشترط استبانة رأي أفراده جميعًا في كل نازلة، وهو المعبر عنه في الاصطلاح الحديث

بالاستفتاء العام، ولكنه اكتفى في الأحوالِ العادية بأهلِ الحل والعقد» اهـ.

وهذا مما يعده المعاصرون في الجماعة تطرفًا وانغلاقًا عن النظام الديمقراطى، الذي يفتح البابَ لجميع الطوائف والأيدلوجيات للمشاركة في الحياة السياسية، أما بالنسبة لأطر التعبير في الممارسات الداخلية في الجماعة، فلم يعرف الإخوان طيلة حياتهم إلا الرأي المنبثق من المرشد، وكان حسن البنا لا يقرب إليه إلا ضعاف الناس اكتفاء بموالاتهم له. كما قال محمد الغزالى.

❋ ❋ ❋

الإخوان بين الحرية والشريعة

ظهر بمرور الأيامِ والتجارب أن نظرات حسن البنا قبالة الأحزاب والديمقراطية صارت عائقًا أمام وصولِ الإخوان إلى سدة الحكم، ولا بد من مراجعة هذا المنهج، فالأمة لم تعد تجتمع على تلك المفاهيم التي تقوم على مبدإ المغالبة، ولا بد من المشاركة - ولو في المرحلة الدعوية - ولا مانعَ من استبدال الخطابِ السياسي بالخطابِ الدينى، ولا مانع من الموافقة على إقامة الأحزاب باختلاف توجهاتها الفكرية. علمانية ليبرالية كانت، أو شيوعية، أو نصرانية أو شيعية أو يهودية، ولا ضرر من الموافقة على الائتلاف معها، وتأكيدًا على حسن النية، وتدليلًا على الوفاء بالديمقراطية جعل الإخوانُ غيابَ الأيدلوجيات الفكرية المعاصرة مشكلة كبرى تهدد استقرار المجتمع وأمنه، قال عصام العريان: «من واجب الإخوانِ المحافظة على وجود تيارات متنوعة في المجتمع؛ لأنها ضمان له، فالمجتمع إذا تكلم بلغة واحدة، واجتمع على رأي واحد فهذه مشكلة كبيرة؛ لأنه لا بد أن تتنوعَ الآراءُ،

وتتعدد الاتجاهات» (الأسبوع - ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٥م).

وحتى تطمئن جميع الأطياف السياسية لدعوة الإخوان فتح عبد المنعم أبو الفتوح أبواب الترشيح لرئاسة الجمهورية للزنادقة، فقال: «حق لأي مواطن بغض النظر عن ديانته وعقيدته السياسية، فحتى لو كان زنديقًا فمن حقه أن يرشحَ نفسه، وإذا اختاره الشعب فهذه إرادته؛ لأن البديل في هذه الحالة هو أن تحاربَ الشعب، وتصبح مستبدًّا، وهذا ما نرفضه تمامًا، فنحن مع ما يختاره الشعب أيًّا كان» (العربي - ٥ أكتوبر/ ٢٠٠٣ م)، وذهب إلى ما هو أكثر من ذلك، فقال:

«إذا أراد الشعبُ أن ينحي الإسلام ويرفضه ويرفض أن يكون مرجعية فنحن نحترم أيضًا خياره إذا اختار غير ذلك، نحن مع خيار الشعب» (الجزيرة. نت - ١٤/ ٢/ ٢٠٠٥م).

ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد اتسع نطاق الحرية في الاتجاهات الإخوانية المعاصرة؛ ليشمل الدعوة بكل صراحة إلى الإلحاد والزندقة بشرط أن تنشر تلك الأعمال على نفقة أصحابها!

قال عبد المنعم أبو الفتوح: «الأعمال المختلف عليها من حق صاحبها أن ينشرها على نفقته أو على نفقة ناشر خاص، ويقول فيها ما يشاء، حتى لو كان يدعو إلى الإلحاد» (العربي - ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣م).

وقد شاركه في ذلك محمد عاكف إذ طالب الدولة: «بإعطاء الشعب حريته في الحركة والدعوة إلى الله، وحتى الدعوة إلى العلمانية والإباحية، وأن تكون الحرية للجميع» (نافذة مصر. نت - ٤/ ١٢/ ١٤٢٧م).

وانتهى القرضاوي إلى القول بأن «المطالبة بإطلاق الحريات مقدمة على تطبيق

الشريعة» (الأهرام ٢٩/ ٨/ ٢٠٠٤م).

وقد يغتر بعضُ الأغمار، ويصفقُ لما يسمع من الإخوان في الفضائيات والمنتديات السياسية من الثناء المستمر على الحرية، والحقيقة أن هذا الأمر لا يعرضه الإخوان من باب الحرية؛ فإنهم لم يعرفوا الحريةَ، ولم يمارسوها في حياتهم، فقد كانوا كالموتى بين يدي مرشديهم، وإنما ذلك من باب: فرق تسد. شتت جهود المجتمع في أحزاب هزيلة؛ لتبقى فقط قوة الإخوان ظاهرة على الساحة من أجل الضغط السياسي، أو لمن أراد استخدامها في ذلك؛ حتى يدركَ من تولى عنهم أنه لن يصل إلى شيء بدونهم، ثم إنَّ الحريةَ بمفهومها المطلق فيها ما يتناقضُ مع الإسلامِ وما يدعو إليه، فلا بد أن يعرفَ ماذا يقصدون بهذا المفهوم؟ فالحرية عند الليبراليين لها مفهوم مطلق يبيح الكفرَ بالله وعبادة الشيطان وممارسة الرذيلة والزواج المثلي والدعوة إلى الإلحاد وإقامة المنظمات والهيئات التي تتفنن في نشرِ تلك الدعوات، وتهيئة المجتمع لها بحجة أن هذه حرية شخصية، فهذا حق من الحقوق التي يقدسها الفكر الليبرالى. فهل يؤمن الإخوان بذلك؟ نعم، هذا أمر ثابت في كتابات أبي الفتوح وتصريحات عاكف، وليس هذا من نهج الدعوات الإسلامية، ولا شك أن مقصدهم من الحرية يرمي إلى نوع من الفوضى الداعية إلى تهييج المجتمع للتخلص من الدولة، ولو أرادوا حرية التعبير فالناس في هذه الأيام وفي زمن الرئيس مبارك يعبرون عن آرائهم في الصحف وفي المجلات إلى أقصى حد.

وعلى كل فقد تبين من تقديم الحرية على الشريعة في دعوة الإخوان عدة مسائل ينبغي التنبيه عليها:

المسألة الأولى: أنَّ الإخوانَ يعتقدون أنَّ فتحَ البابِ للممارساتِ السياسية

وإعادة الشعب الإخوانية أولى من تطبيق الشريعة، تلك هي الحرية التي تؤمن للإخوانِ الاستحواذ على المجتمع قبل الحكمِ؛ حتى يكونَ الجميع تحت تصرفهم.

المسألة الثانية: أن الإخوان يسلكون هذا النهج تطمينًا لطائفة معينة، ولو على حساب المناهج التي كانوا يكفرون مخالفيها من قبل.

المسألة الثالثة: إذا كان المقصودُ أن الله تعالى خلق الإنسانَ قادرًا مختارًا وأن له كسبًا مؤثرًا يحاسب عليه يوم القيامة فهذا صحيح، ولا يجب أن يجبر الإنسان على خلاف ما يعتقد. قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، وتلك الآيات تخص من أراد أن يدخل في الإسلام ابتداء، فلا بد من الرضا واليقين، أما أن يدخل في الدين بالنفاق؛ ليتلاعبَ به ويرتد عنه، ليشكك الناس في دينهم. فقد حدد الدين للمتلاعب به عقوبة القتل مرتدًّا، قال النبي ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**» (البخاري - ٣/ ١٠٩٨) وقد قاتل أبو بكر المرتدين، وحرق على السبئية، وعلى ذلك فلا يمكن أبدًا أن يقال: إن الحرية في الإسلام تعني إباحة الكفر والمعصية. فهذه أمور نهى الله تعالى عنها، وحد حدودًا تحفظ المجتمع منها، فمن جعل الكفر من المباحات الشرعية فقد قلب الدين، وزيف الشريعة، وضل عن سبيل الله تعالى.

المسألة الرابعة: أن الإخوان لم يعرفوا الحرية، كي يكونوا من دعاتها؛ فقد تربوا على الطاعة العمياء، وكانوا بين يدي شيوخهم كالموتى بين يدي مغسلهم، وجعلوا الفكر البشري لإمامهم في درجة المقدس، ولم يفهموا إلا بالأمر، ولم يتزوجوا إلا بالأمر، فكيف يكون هؤلاء من دعاة الحرية؟ لا شك أن قول الإخوان بتقديم الحرية على الشريعة قول ناتج من خلل بالغ في فهم الشريعة،

واتهام عظيم لها بالقصور أمام مقومات النفس الإنسانية الضرورية وحوائجها.

❋ ❋ ❋

نهاية العمل السياسي عند حسن البنا

كان حسن البنا يرى أن المسلمَ لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيًّا، فقال: «المسلمُ لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيًّا مهتمًّا بها غيورًا عليها» (الرسائل - ص: ٣١٢) فماذا إذا تعارضت السياسة مع دعوة الإخوان؟ فقد تغيرت الأمور وظهرت الأخطاء، ولا بدَ من التراجعِ وترك السياسة لأصحابها ولو للحزب الوطنى! فهل من الممكن أن يتنازل حسن البنا عن الدور السياسي للجماعة، ويتحمل التهم التي كان يلقيها على مخالفيه، أم ماذا يكون الأمر؟.

في ١١/ ١/ ١٩٤٩م أصدر حسن البنا بيانًا للناس نشر في الصحف حينها، وقد كان هذا البيان صفقة بين الحكومة وبين حسن البنا؛ إذ تقوم الحكومة بموجبه بالإفراج عن أعضاء «مكتب الإرشاد»، في مقابل إصدار بيان يستنكر مقتل النقراشي باشا، وجاء في هذا البيان دعوة صريحة إلى الإخوان أن ينصرفوا إلى أعمالهم، ولا يكدروا الأمن، وليعلموا أن الدولة تقوم بدورها المنوط بها في إخلاص ودأب، ومن خالف في ذلك يعد عونًا لأعداء الوطن في بلبلة البلاد، وفيه قال حسن البنا: «ولما كانت بلادنا تجتاز الآن مرحلة من أدق مراحل حياتها مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار - وكان جلالة الملك المعظم (حفظه الله) قد تفضل فوجه الحكومة القائمة - وفيها الخلاصة من رجالات مصر - هذه الوجهة الصالحة وجهة العمل على جمع كلمة الأمة وضم

صفوفها وتوجيه جهودها وكفايتها مجتمعة لا موزعة إلى ما فيه خيرها وصلاح أمرها في الداخل والخارج، وقد أخذت الحكومة من أول لحظة تعمل على تحقيق هذا التوجيه الكريم في إخلاص ودأب وصدق.

وكل ذلك يفرض علينا أن نبذلَ كل جهد ونستنفذ كل وسع في أن نعين الحكومة في مهمتها، ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها والنهوض بعبئها الثقيل، ولا يتسنى ذلك لها بحق إلا إذا وثقت تمامًا من استتبابِ الأمنِ واستقرارِ النظامِ، والعملُ على استتبابِ الأمن واستقرار النظام واجبٌ في الظروف العادية، فكيف بهذه الظروفِ الدقيقة الحاسمة التي لا يستفيدُ فيها من بلبلة الخواطر وتصادمِ القوى وتشعب الجهود إلا خصومُ الوطنِ وأعداء نهضته.

لهذا أناشدُ إخواني لله وللمصلحة العامة أن يكونَ كل منهم عونًا على تحقيق هذا المعنى، وأن ينصرفوا إلى أعمالهم، ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله والوطن عنهم، والله أسأل أن يحفظَ جلالة الملك المعظم بعين رعايته، ويسدد خطى البلاد حكومة وشعبًا في عهده الموفق إلى ما فيه الخير والفلاح، آمين» (أحداث صنعت التاريخ - ٢/ ٦٤).

لقد نظر حسن البنا للأحداث ووجد أنها دامية، وتبين له أنَّ ثمارَ عمله باءت بالفشلِ، فبدأ يقيمُ دعوته حتى خلص إلى أن المظاهرات الصاخبة والمقالات اللاسعة، و الزيارات التي كان يقوم بها للشعب الإخوانية لا تربي ولا تثمر شيئًا، وأنه لو قام بتربية مائة شاب على الدعوة الصحيحة لكان خيرًا له. قال عبد العزيز كامل: «كانت ملامحُ القلقِ باديةً على وجهه، حتى المحاضرات وزيارات الأقاليم زهد فيها، بأذني سمعت منه في وصف هذه الاحتفالات العامة بأنه «شغل

دكاكيني» أي عمل صغير متفرق لا قيمة له» (المذكرات الشخصية - ص: ٥٩).

وأكد حسن البنا حقيقة تلك المشاعر، وبين أنه على استعداد أن يساير الدولة في توجهاتها، أو يتنازل بالكلية عن دوره في المجتمع، قائلًا: «إني خيرت المسئولين في واحدة من ثلاث هى: إما أن يطلقوا سراحَ كبارِ الإخوان؛ لنعمل معًا جادين مخلصين حسب توجيه الحكومة، حتى تطمئن ويزول ما في النفوس وتهدأ الخواطر، وإما أن يختاروا قرية ألجأ إليها ولو كانت مكانًا قفرًا، وإما أن يسمحوا لي بمغادرة القطر إلى أي بلد عربي أو إسلامى، فلم يستجيبوا إلى أي واحدة من الثلاث» اهـ تلك هي نهاية الرحلة السياسية لحسن البنا. قال القرضاوي (سيرة ومسيرة. ٢/ ٧٦، ٧٧): «وقد حاول الإمامُ الشهيد حسن البنا بعد حل الإخوان عام ١٩٤٨م أن يسلكَ كلَّ السبلِ؛ ليجنبَ الإخوان الصدام الدامي مع الحكومة، ولو تنازل عن بعض الأشياء في سبيل هذا الهدف، حتى إنه قبل أن يتركَ السياسة في تلك الفترة ويتفرغ للتربية» اهـ.

وقد علق محمود عبد الحليم على هذا التصرف قائلًا: «فالأستاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان لبيبًا مرنًا، واسع الحيلة ألمعيًا» (صنعت التاريخ - ٢/ ١٣٠)، فالشيخ حسن البنا إذا قال بالسياسة فهو ألمعي لبيب، ومن خالفه فهو ناقص الإسلام! وإذا قال بترك السياسة فلا رجل مثله، ومن خالفه فهو غبى!.

وقد سبق لحسن البنا أن تنازلَ عن خوض العمل السياسي في صورة الانتخابات البرلمانية، ليفسح الطريق للدعوة، وذلك في أوائل الأربعينات.. ويعد هذا أيضًا من حكمته البالغة.. كما صورها عباس السيسي في كتابه: (مواقف في الدعوة والتربية) قال حسن البنا: «ولقد جئت اليوم لأضع أمام الإخوان هذه التطورات الجديدة، فقد دعاني مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة إلى مكتبه

وطلب مني ضرورة أن أتنازل عن ترشيح نفسي عن دائرة الإسماعيلية، فلما سألته عن الأسباب المبررة لهذا الطلب، قال لي: البلد في حالة حرب، ومصلحة البلد أن تتنازل.. وقال: إنه في حالة قبول التنازل، لا مانع عندي من أن يكون لك حرية الدعوة في كل مكان.. وأمام هذا التصريح وافقت على أن أتنازل عن ترشيح نفسي» اهـ.

وقبل ذلك بثلاثة أعوام خطط حسن البنا لترك العمل السياسي وعدم التدخل في الأحداث الجارية واتخاذ مواقف سياسية معينة، وذلك مع بدء اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩م.. مكتفيًا بالعمل التربوى، ليقطع شوطًا كبيرًا في الدعوة، يسهم فيه انشغال المستعمر والحكومة بالحرب) (انظر أحداث صنعت التاريخ - ١/ ٢٤٤) تلك هي دعوة الإخوان تتناقض مع مبادئها وتهدم ثوابتها.. وتنزل منبطحة مهزومة، تاركة الصيغة الشرعية الدينية، التي أنشأت الجماعة من أجلها، لتلبي احتياجات جميع الأيدلوجيات.

❋ ❋ ❋

الفكر الاشتراكي في دعوة الإخوان

في الزمن الماضي لم يكن عند الإخوان مانع من أن يعيشوا في ظل أي فكر، سواء كان فكرًا اشتراكيًّا أو فكرًا رأسماليًّا. قال حسن البنا: «يمكن أن يطبق الإسلام في ظل نظام اشتراكي يقوم على العدل، كما يمكن أن يطبق في ظل نظام رأسمالي يتوخى العدل.. وحينما يحين الوقت الملائم الذي لا بد أن نقدم فيه برنامجنا فسنفعل هناك مثلًا: الملكية الزراعية التي ينبغي تحديدها..» (الإمام الشهيد - ص: ٢٢). والاشتراكية هي المرحلة الاقتصادية في الفكر الشيوعي،

ومنها برز فكر تأميم الممتلكات الخاصة، وفيها يأخذ العامل ما يكفيه لا ما يستحقه.. والاشتراكية سخط على الأرزاق.. واعتراض على القدر. وقد أسس محمد الغزالي للنظرية الاشتراكية، فهو أستاذ سيد قطب في هذا الفكر، فقال: «وأرى أن بلوغ هذه الأهداف يستلزم أن نقتبس من التفاصيل التي وضعتها الاشتراكية الحديثة مثلما اقتبسنا صورًا لا تزال مقتضبة - من الديمقراطية الحديثة) (الإسلام المفترى عليه. ص٧٠)، وقال (في نفس الكتاب - ص: ٧٩): «إن أبا ذر استقى نزعته الاشتراكية من الرسول صلوات الله وسلامه عليه» اهـ، وقال (ص: ٨٤): «عمر أعظم فقيه اشتراكي تولى الحكم». اهـ، ووضع الخطط الكاملةَ والبرامجَ المتنوعة للنظام الاشتراكي على مستوى الدولة في كتابه: (الإسلام والأوضاع الاقتصادية)، فقال: «وأمامنا صور حية وبرامج مدروسة وأنظمة مطبقة في كثير من أقطار الأَرضِ يجبُ أن نقتبسَ منها ما نقيمُ به العوج، ونحسم به الداء، ونقترح على سبيل المثال لا الحصر الحلول الآتية لإنهاء بعض مشاكلنا السياسية والاجتماعية والأخلاقية. وذكر منها:

١- تأميم المرافق العامة وجعل الدولة هي المالكة الأولى لموارد الاستغلال، وإلغاء الشركات المحتكرة لخيرات الوطن أجنبية أم غير أجنبية.

٢- تحديد الملكيات الزراعية الكبرى... إلخ.

٣- فرض ضرائب على رءوس الأموال الكبرى يقصد بها تحديد الملكيات الغير زراعية.

٤- تفرض ضريبة تصاعدية على التركات. (الإسلام والأوضاع الاقتصادية - ص: ١٨٢).

وفي كتابه: (قذائف الحق - ص: ١٢٣. منشورات المكتبة العصرية. بيروت) قال أحدُ قدامى الإخوان للغزالي: «إنك أصدرت في أوائل الأربعينات عدة كتب في هذا الموضوع، ثم نشر الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أواخر الأربعينات كتاب العدالة الاجتماعية، ثم نشر الأستاذ مصطفى السباعي كتابه اشتراكية الإسلام في أوائل الخمسينات، وفي هذه الغضون تمت ترجمة رسائل الأستاذ أبي الأعلى المودودى، وقد خلطتم الإسلام بالاشتراكية على نحو لا يرضى أعدادًا من المسلمين.. قلت والكلام للغزالى: إننا أرينا الأجيال الناشئة من ديننا ما يغني عن استيراد الفلسفات الأجنبية الشاردة، وأنا شخصيًّا قد أكون تجوزت في بعض العبارات، لكن جوهر الموضوع إنصاف رائع لديننا الحنيف. قال: على أي حال فعن هذه الكتابات كلها نقل «القذافى» ما أسماه بالنظرية الثالثة» اهـ وقال سيد قطب في كتابه: (معركة الإسلام - ص: ٤٣، ٤٤): «وفي يد الدولة أن تنزع الملكيات وتأخذ من الثروات - بنسب معينة - كل ما تجده ضروريًّا لتعديل أوضاع المجتمع» اهـ.

ملاحظة: لقد ثبت تراجع عبد الناصر عن الفكر الاشتراكي وبين مساوئه، كما أن الرئيس مبارك أعاد الأرض لأصحابها وصوب قوانين الإيجارات المتعلقة بالأراضي الزراعية إلى النظام الإسلامى.. ففي مناقشات المؤتمر الوطني عام ١٩٦٢م قال عبد الناصر: «إن الفكر الثوري قد وقع في الخطإ حين توهم أن الطبقة المحتكرة التي كان لا بد أن تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكن لها أن تقبل الوحدة الوطنية».. ويفسر ذلك فيقول في يوم السد العالي ١٥ يناير عام ١٩٦٧م: «الأساس الذي بنى عليه الاتحاد القومي لم يكن بالأساس السليم، شيء

ضد العقل.. وضد الطبيعة، واحنا كنا طيبين جدًّا، وعاوزين نلم الإقطاعي اللي أخدنا منه ألف فدان مع الفلاح اللي وزعنا عليه خمسة أفدنة، وكنا بنعتبر أنه حينسى ويقول إن احنا بنمشى في المجتمع الجديد» (انظر قصة ثورة ٢٣ يوليو لحمروش - ص: ١٨٨).



الإخــوان والحــوارات السياسية

* حوار الهضيبي مع الملك فاروق قبل الثورة مباشرة.

* حوار الإخوان مع الرئيس عبد الناصر أثناء الثورة وبعدها عام ١٩٥٤م.

* حوار طالب الإخوان مع الرئيس السادات.

* حوار التلمساني مع الرئيس السادات.

* عمالة الإخوان في زمن الرئيس مبارك.



حوار الهضيبي مع الملك فاروق

التقى المستشار حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان مع الملك فاروق ملك مصر بعد موت حسن البنا بعامين تقريبًا، وفي هذا اللقاء عرض الملك على الهضيبي رغبته في العمل للإسلام ونسيان الماضي، وأكد له أن الإنجليز راحلون، ولكن القضية في الشيوعية؛ لأنها ضد الدين، كما في (مجلة الدعوة. عدد (٨٢) - ١٩ ذي الحجة ١٣٧١ هـ الموافق ٩/٩/ ١٩٥٢م) قال الملك: «إن الإنجليز خارجون من البلد حتمًا، ولكن الخوف من الشيوعية، وهي لا تتفق مع الدين». وبين له أنه مسلم يحب الإسلامَ، ويحب له الخير. قال محمود جامع في كتابه: (وعرفت الإخوان - ص: ٦٨): «وحضر الملك إلى مكتب السكرتارية، وسلم عليه الهضيبي معتدل القامة شامخًا، وأخذه الملك من يده مصطحبًا إياه إلى غرفة مكتبه، ووجه إليه الحديث قائلًا: لا أدري لماذا يسيء الإخوان المسلمون الظن بى؟ فلم يرد عليه الهضيبي، وعاد يقول: إنني مسلم، وأحب الإسلام، وأتمنى له الخير، وقد أمرت بإنشاء مساجد كذا وكذا فلماذا يكرهني الإخوان؟ ولم يرد عليه الهضيبي أيضًا.. إلخ» اهـ وأقسم بالله العظيم أنه لم يأمر بقتل حسن البنا. فقال: «إن الإخوان قد فهموا خطأ أنني أنا الذي أمرت بحلهم واعتقالهم وباغتيال الشيخ حسن البنا، وهذا والله العظيم خطأ، ولم أفعل من هذا شيئًا، والذي فعل ذلك هم السعديون، النقراشي وإبراهيم عبد الهادى، وفي اللحظة التي تمكنت فيها أقلت إبراهيم عبد الهادى، وأمرت الوزارة التي عينتها بالإفراج عن الإخوان، والهضيبي لا يرد، واستمر الملك في استعراض تاريخه وما عمله من خير، ونسب

كل عمل سيء لغيره، وبين لحظة وأخرى يقول: لماذا يكرهني الإخوان إذن؟ والهضيبي لا يرد. إلخ، وفي نفس العدد من مجلة الدعوة، وانظر محمود جامع في كتابه: «وعرفت الإخوان» قال الملك: «ما رأيك يا حسن بك في كل ما قلته، وفي أنني على استعداد أن أعمل للإسلام؟ فرد عليه الهضيبي قائلًا: سأعرض ذلك على الإخوان... إلخ».

وما لم يذكره محمود جامع، مما جاء في مجلة الدعوة: أن الملك كلف وسيطًا بينه وبين حسن الهضيبي، كي ينقل إليه ما يريد أن يبلغه للملك، بشأن العروض السابقة، ولكنه لم يسترح لهذا الوسيط، فتجاهله ولم يكلفه بأي شيء، وأغلق باب النصيحة والموعظة، ولم يستقبل الهضيبي كلام الملك فاروق بالفرج والسرور، ولم يرد ولم يتكلم، وإنما أرجأ الجواب على عرض الملك حتى يعرف رأي مكتب الإرشاد، فالمكتب أعلى سلطة وأكبر مكانة، وهذا غير صحيح فقد تجاوز عن أمر هيئة المكتب في زياراته للسعديين وفي تعامله مع عبد الناصر فيما بعد! والحقيقة أن الهضيبي لم يقبل من الملك شيئًا؛ لأنه كان يراه ضعيفًا، وكان ينتظر أو يجهز لإسقاطه وتنحيته عن حكم البلاد، حتى تخلو له الساحة ويَنْقَضَّ على الحكم بمفرده.

❋ ❋ ❋

العقاب من جنس العمل

لم يقتنص الهضيبي الفرصة التي أقر فيها الملك برغبته في العمل للإسلام، وأنه يحب الدين وأهله، وتعامل معه بكل غرور، حتى أورثه الله زمنًا عض فيه على

أنامله، وعوقب بها تعالى به، فلم ينل حظًّا مما هيأ له، فقد كان ينتظر زوال مملكة فاروق، ليركب على دولة عبد الناصر، فابتلي بعبد الناصر وأذعن له، فلم يضع ساقًا على ساق كما وضعها أمام الملك، وإنما ضرب كفًّا على كف، ولم يجد معه حيلة ولا سبيلًا، حتى قال له كما في رسالته لحسن عشماوى: «قل لعبد الناصر: نحن مستعدون أن نسلمه مفتاح المركز العام (أي ننهي وجودنا كجماعة) ولا تراق نقطة دم واحدة من أي مصري» (آفاق عربية - عدد ٦٤٨)، وحسب رواية محمود عبد الحليم قال المرشد: «يا جمال، عندما تشعر بضيق من الإخوان أبلغني وأنا أسلمك مفتاح المركز العام، ونقفلها حتى لا تقع فتنة» (أحداث التاريخ - ٣/ ٤١) وانتهى الأمر بهروب الهضيبي من إدارة المركز العام للإخوان، وصار يصدر تصريحات نارية، دعا فيها إلى الانقلاب على حركة الضباط، الذين اعتبر حركتهم في أول الأمر حركة إصلاحية.. وانقسمت الهيئة التأسيسية لمكتب الإرشاد في الحكم على عبد الناصر في زمن الهضيبي ثلاثة أقسام:

١- طائفة تربطهم بجمال وزملائه صداقة شخصية من قبل قيام الثورة. وهؤلاء رأوا أن صداقتهم الشخصية تلزمهم أن يكونوا في صف جمال... إلخ.

٢- وطائفة استبعدوا حدوث مثل هذا... إلخ.

٣- وطائفة صدمتهم هذه الصورة، ولكنهم تذكروا أن قلب العبد بين إصبعين من أصابع الرحمن، وأن للسلطة فتنتها.. حتى إن عبد القادر عودة كان يتصل بجمال، ويسأله عن هذه القضية الخطيرة، وجمال ينكر ما قاله المرشد العام ويقول: إنني قلت: «إننا سنحكم بالقرآن ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك، ولا بد من تذليل العقبات وتهيئة الجو للحكم بالقرآن، ولا بد من فترة نستطيع

من خلالها أن نحقق ذلك. إلخ حتى أصبحت جلسات الهيئة التأسيسية صراعًا بين تيارين تيار يذهب لجمال ويواجهه بما قاله المرشد، فينكر جمال، ويقول: هذا كذب، وأنا سأحكم بالقرآن، ولكن حين يأتي الظرف المناسب.. فيعود عبد القادر عودة مدافعًا عن جمال عبد الناصر ومطالبًا بتأييده تأييدًا مطلقًا.. وتيار يحذر من مغبة التأييد المطلق وهم طائفة المرشد» (أحداث التاريخ - ٣/ ١٦٥)، وقد أكد هذا الاختلاف أحمد رائف قائلًا: «كان المرشد العام في واد، وكل الإخوان في واد آخر بالنسبة لنظرتهم إلى جمال عبد الناصر والثورة..» (الصفحات - ص: ٢٥٣).

فلو كان الإخوانُ ديمقراطيين لنزلوا على حكم الأغلبية، ولكن ديكتاتورية الهضيبي حملته على استمرار النزاع مع الثورة، وقد اعترف الإخوان أن الأسلوبَ الذي تعامل به الهضيبي مع ضباط الثورة لم يكن هو الأسلوب الأمثل، وقالوا: «لو كان حسن البنا في موقف حسن الهضيبي لكان له موقف آخر، ولا ستطاع برفقه وتلطفه ولين طبعه أن يجذبهم إلى ساحته، وأن يأخذهم بالتى هي أحسن» (القرضاوي آفاق عربية - ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ)، وقد أكد جماعة من قادة الإخوان أنهم استعجلوا مع الثورة وأنَّ عبد الناصر كان ينوي الحكم بالشريعة، قال السيسي: «فمِنْ قائل: لو أننا صبرنا على الحكومة ولم نستعجل مخاصمتها. ومَنْ يقول: إن الحكومة كان في نيتها الحكم بالشريعة، ولكنها كانت ترى أن هذه خطوة يجب أن تكونَ متأخرةً حتى تستقر الأوضاع، وأنَّ الإعلانَ عن الحكم بالشريعة يغلق علينا أبواب دول في الشرق والغرب» (في قافلة الإخوان - ص: ٥٧٨).

❋ ❋ ❋

تنظيم الضباط الأحرار نشأة وثورة

نرجع إلى العلاقة بين تنظيم الضباط الأحرار و جماعة الإخوان.. كيف كانت؟ وكيف انتهى أمرها؟ وحسب مصادر الإخوان فقد أنشئ تنظيم الضباط داخل الجيش المصري الملكي في أوائل الأربعينات، واستمر هذا التنظيم باسم مستعار، تمويهًا على البوليس السياسي، وكان الهدف من هذا التنظيم هو الانقلاب على الملك، وفي عام ١٩٥٠م وبعد وفاة حسن البنا قام عبد الناصر بإعادة تشكيل تنظيم الضباط الأحرار مرة أخرى، وجمع فيه كل وطنى، بصرف النظر عن اتجاهه الفكرى، ثم قام بتنحية ضباطِ الإخوان من التنظيمِ بحجة الدواعي الأمنية، وليفسح الطريق أمام الضباط الوطنيين، ووافق الإخوان على ذلك (انظر الصفحات لرائف - ص: ٢١٩)، ثم جعل عبد الناصر بينه وبين المرشد العام مجموعة اتصال عن طريقِ بعض الإخوان، ولكنها كانت غير تامة، قال أحمد رائف: «تم فصل تنظيم «الضباط الأحرار» - الذي أنشأه الإخوان - عن الإخوان عام ١٩٥٠م، وتولى عبدُ الناصر قيادةَ التنظيم، وتشكلت لجنة للاتصال بالضباط الأحرار» (الصفحات ص: ٢٤٧)، ثم قام عبد الناصر بالتجهيز للثورة بمفرده، ولم يكن المرشد العام على اطلاع كامل بما يدور في حركة الإخوان، ولا بما يدور في تنظيم الضباط الأحرار، ولا بما يدور في مجموعة الاتصال التي كانت بين عبد الناصر وبين الإخوان، وكان عبد الناصر يقومُ بعمله بسرية بالغة، حتى إن بعض الضباط الوطنيين لم يكن على اطلاع بتفصيلات الثورة، وبالضرورة لم يكن ضباط الإخوان يعرفون شيئًا عن طبيعة عمل التنظيم، ولم يكن صلاح نصر على علم بأن

الضابط عبد المنعم عبد الرءوف خارج التنظيم، ولم يكن عبد المنعم على علم بتلك الاستعدادات، فتوجه عبد الرءوف إلى عبد الناصر للاستفسار عن ذلك، فتدارك عبد الناصر الأمر، وقام بتحميله مسئولية قيادة كتيبة «قصر التين»؛ حتى لا يفقد تأييد الإخوان كجبهة شعبية. (وانظر لذلك الصفحات - ص: ٢٣٠).

فأخبر عبدُ المنعم عبد الرءوف حلمي عبد المجيد «رئيس التنظيم الخاص الجديد للإخوان» بأمر الثورة، وتوجه الأخير بدوره إلى المرشد في الإسكندرية، ليستفسر عن رأيه في الثورة والانقلاب، فقال الهضيبي: «بلغ عبد الرءوف (وأبو المكارم) عبد الحي أن هذه الحركة حركتنا، ونريد لها النجاح، وعليهما ألا يدخرا وسعًا في ذلك» (الصفحات - ص: ٢٥١)، ولم يكن للمرشد العام ولا غير المرشد أي اتفاق مع ضباط الثورة، قال أحمد رائف في نفس كتابه (ص/ ٢٣١): «ولم يكن بينهما أي اتفاق واضح، غير ثرثرة هنا وهناك، أغلبها من رياض الصالحين!» اهـ، وهذا هو الذي واجه به عبد الناصر قادة الإخوان بعد الثورة بخمسة أيام، فلم يرد عليه أحد بكلمة، وسكت المرشد، قال أحمد رائف: «التقى المرشد العام بجمال عبد الناصر في بيت «صالح أبو رقيق» يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢م، وقال له: أنا لم أتفق على شيء مع هؤلاء يا فضيلة المرشد وها هم أمامك، ولم يعلق أحد من الجالسين، وكان منهم صلاح شادي وحسن عشماوى، وسكت المرشد بقية الجلسة التي استمرت ساعتين» (الصفحات - ص: ٢٣٣).

وقد أكد المرشد العام كلام عبد الناصر، قائلًا: «اسمع يا جمال. ما حصلش اتفاق، وسنعتبركم حركة إصلاحية» (أحداث التاريخ ٣/ ٣٧)، بل إن المرشد كان قد صرح تصريحًا واضحًا لجريدة «المصرى» قبل ذلك قال فيه: «ليس هناك

صلات سابقة بين الإخوان والجيش، وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش في حركته الأخيرة أمر غير صحيح» (أحداث التاريخ - ٣/ ١٣٩)، والإخوان يعتبرون هذه الجملة: «أنا لم أتفق على شيء مع هؤلاء» نقضًا للعهد، وتراجعًا عن الحكم بالقرآن، ولم يكن هذا مقصد عبد الناصر؛ لأنه بين لهم أنه سيحكم بالقرآن بالتمهيد لذلك، وبعد تلك الأحداث قال الهضيبي: «العصر ليس عصر الإخوان» قال أحمد رائف: «وجد الإخوان أنفسهم في حرب لم يفهموها، ولم يدركوا أبعادها، وتناولوها تناولًا ساذجًا، حتى بدت الصورة لبعضهم ولبعض أصحاب النظرة الجزئية أن الأمر لا يعدو صراعًا على السلطة في بلد صغير اسمه مصر» (الصفحات - ص: ٢٣٧).

وقامت الثورة، وتأخر بيان الإخوان في تأييدها؛ لأنها ليست ثورتهم في الحقيقة، وهم لا يدرون ماذا يفعل الإنجليز بهم، ولم يكن للإخوان في هذه الثورة إلا ما كان من قيادة عبد المنعم عبد الرءوف الكتيبة التي حاصرت قصر التين، وبعض الإخوان الذين وقفوا على طريقِ السويس، وبعض المظاهرات التي قامت لتأييد الثورة، وبعض المنشآت التي أمروا بحراستها، أما تكتيكاتها وأسلحتها وكتائبها فكلها تابعة لتنظيم الضباط الأحرار، وقد بايع الإخوانُ عبد الناصر في عدة مواضع بعد الثورة، قال محمود عبد الحليم: «سعى الهضيبي للقاء عبد الناصر يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢م في منزل صالح أبو رقيق ليقول له هذه الكلمات، ويطمئنه أن الإخوان جميعًا من ورائه» (أحداث التاريخ - ٣ / ١٥٩)، وكذلك أكد فريد عبد الخالق لعبد الناصر قائلًا: «يجب أن تكونَ ثقتك في أن الشعبَ سيتمسك بك، ولن يرضى عنك بديلًا» (أحداث التاريخ ٣/ ٤١)، وكذلك بايع حسن عشماوي، فقال:

«الإخوان معك وهم يؤيدونك» - ولكن عبد الناصر لم يكن يثق فيهم، كما أنهم لم يكونوا يثقون فيه - فرد قائلًا: «هذا غير مضمون» (الصفحات - ص: ٢٥٦).

وبعد هذا البيان قام الإخوان ينسبون الثورة لأنفسهم، ويفرضون عليها الوصاية، وقد قامت بجهد الذين واجهوا المخاطر بمفردهم - مخاطر البوليس السياسي بجبروته وسطوته، ومخاطر الحرس الحديدي للملك، ومخاطر الإنجليز - وأرادوا هم الركوب عليها وجنى ثمارها - ولو أنها فشلت لقالوا نحن أبرياء منها ومن أهلها، وتصريحات المرشد لجريدة المصري وثائق دالة ومؤكدة لذلك.

ومن اشترك من الإخوان في تلك الثورة فليتحمل المسئولية بمفرده والجماعة منه بريئة - ولا أظن للإخوانِ مع عظم تشكيلاتهم ودقة تنظيماتهم وكثرة عددهم - كما يزعمون - القدرة على القيام بثورة ضد الملك مع ضعف دولته، ولكن عبد الناصر فتح لهم الطريق، وسهل عليهم الأمر، ولأجل ذلك استرخصوه للركوب بالمظاهرات، والاتفاق مع محمد نجيب ضده، على الرغم من زعمهم أنَّ محمد نجيب كان على اتصال بالإنجليز، ومع ذلك لم يقدروا عليه.

فالوجه السياسي كان أكبر من حجمهم، وقد اعترفوا بذلك، ولكن بعد فوات الأوان، قال رائف: «إنهم كانوا في مرحلة لا يعرفون من معهم ومن عليهم، وخططهم غير واضحة، وخبرتهم السياسية ضعيفة» (الصفحات - ص: ٢٣٣).

ولو كان للإخوان علم بالواقع والسياسة ما تركوا تنظيم الضباط الأحرار الذي زعموا أنهم أول من أنشأه ينسحب من تحت أيديهم، ليخرجوا منه بخفي حنين، لا ناقة ولا جمل، اكتفاء بمجموعة من المتصلين به ممن لا دراية لهم.

❊ ❊ ❊

مظاهرة ٢٨ فبراير ١٩٥٤م

كان الإخوان يهيئون أنفسهم للحكم في زمن الملك فاروق، ولكنهم لا يعرفون مفتاح الطريق إليه، فسبقهم الضباط وحرموهم منه، فبدءوا بالتطاول بالمظاهرات المسلحة، قال سعد حجاج: «كانت الخطة أن نقوم بمظاهرة مسلحة يحميها بعض المسلحين، للتعبير عن وجهة نظر الإخوان في الحكم الاستبدادي الذي بدأ، ثم يذهب كل واحد إلى بيته، ونكون بهذا قد أعلنا وجهة نظرنا للعالم كله في الثورة» (الصفحات - ص: ٥١٠)، وبعد أن أصدر عبد الناصر قرارًا بحل جماعة الإخوان في ١٤ يناير ١٩٥٤م أصبح مقصودًا بالانقلاب، فخرج الإخوان في المظاهرات ينقضون بيعة عبد الناصر، ويطالبون بعودة الجيش إلى الثكنات وكانت هتافاتهم: «إلى الثكنات إلى الثكنات رجال الجيش، انتصر الشعب فجاء نجيب، الحرية الحرية يا أعداء الإنسانية» (آفاق عربية - عدد ٦٤٨).

أيضًا: خرج الإخوان في مظاهرة فبراير يطالبون بعودة محمد نجيب للحكم. قال عبد الحليم: «ففي ذلك اليوم توجه جمع غفير من طلبة الجامعة إلى ميدان الجمهورية معهم ألوف من الأهالي يهتفون مطالبين برجوع محمد نجيب، ولم يبرحوا مكانهم إلا بعد أن أطل عليهم محمد نجيب من شرفة قصر عابدين وبجانبه جمال عبد الناصر يضحك، وخطب محمد نجيب خطبة طمأنهم فيها على الحكم النيابي» (أحداث التاريخ - ٣/ ٣٠٣).

وقام الإخوان بتلك المظاهرة ليسرقوا الثورة على الرغم من أنهم أبوا أن يظهروا موافقتهم عليها على الملإ؛ حتى لا يتحملوا تبعاتها، فقد رفض الهضيبي الإعلان عن

تأييد الثورة في الصحف في أولِ مهدها، حتى يتأكدَ من تنازلِ الملك عن العرش، ويطمئن على زوال ملكه، ومن ثم زوال الخطر الذي قد يعترض حركة الإخوان إذا فشلت الثورة، ويظهرها بمظهر الخائن للبيعة. إن ظهرت قالوا: هي لنا. وإن فشلت قالوا: لا علاقة لنا بها. قال محمود عبد الحليم: «إن المرشد طلب من وفد الإخوان إبلاغ جمال موافقته وتأييده وحمايته للثورة، كما طلب إبلاغه أنه ليس من المصلحة أن تظهر للثورة علاقة بالإخوان، حتى لا يتدخل الإنجليز لمقاومتها» (أحداث صنعت التاريخ - ٣/ ٣٦)، وإمعانًا في إظهار عدم الاتفاق مع الثورة، وهروبًا من المسئولية في حالة الفشل صرح الهضيبي لمندوب جريدة «المصرى» تصريحًا قال فيه: «وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش في حركته الأخيرة أمر غير صحيح» (أحداث التاريخ - ٣/ ١٣٩) وقد كان عذر الهضيبي في هذا التصريح أنه يريد نجاح الثورة، وألا ينقض الإنجليز عليها. فالذي قام بالثورة ضباط لا علاقة لهم بالإسلام، وهذا يطمئن الإنجليز، ويزعم الإخوان أن هذا كان من حرص المرشد على الثورة، وهذا عذر غير مقبول لمن يريد أن يقيم الخلافة، أو يحكم الأمة من مشارقها إلى مغاربها، أو يكون وصيًّا على الثورة، بينما هو مختبيء وراء الأستار، وعذر غير مقبول لمن كان يحث الملك على طرد الإنجليز وهو يعلم أن لا قدرة للجيش ولا للملك على ذلك، ولكنهم يريدون إغراق الملك والبلد، وعند المواجهة يفرون اتقاء بطش الإنجليز، والحقيقة التي لا مراء فيها أن الهضيبي رفض الجهر بتأييد الثورة؛ لأنه لم يكن متأكدًا من نجاحها.. قال أحمد رائف: «طلبت منه الموافقة عليها، وضغطت عليه في قبولها، بحجة ضيق الوقت، رغم تردده الشديد لنقص المعلومات لديه، وارتيابه في إمكانية النجاح»

(الصفحات - ص: ٢٣١) وبعد أن استتب الأمر وخرج الملك من البلاد قام الإخوان يصدرون بيانات التحيات، وذلك في ٢ أغسطس/ ١٩٥٢م، قال الهضيبي: «الآن وقد وفق الله جيش مصر العظيم لهذه الحركة المباركة، وفتح بجهاده المظفر أبواب الأمل في بعث هذه الأمة وإحياء مجدها التليد، وأزال عقبة كانت تصد عن سبيل الله والحق وتعوق المصلحين.. إلخ» (أحداث التاريخ - ٣/ ١٤١).

ونقض الهضيبي مسارعاته إلى سجل التشريفات الملكية؛ ليؤكد ولاءه للملك، ونسي عرض الملك عليه التعاون من أجل الإسلام، ونقض تحايا الإخوان السابقة للملك: «يعيش الملك. يحيا الملك».

وقام الإخوان بتلك المظاهرة على الرغم من فتح عبد الناصر الباب لهم لينضموا إلى هيئة التحرير ويتحملوا مسئوليتها... وقد أراد عبد الناصر إخفاء وجودهم عن الدول المتربصة بالإسلام كما أراد الهضيبي إخفاء الثورة في الضباط عن الإنجليز.. ففي ديسمبر ١٩٥٢م طلب عبد الناصر من الإخوان أن يندمجوا في هيئة التحرير، وأن يكونوا مسئولين عنها، قال محمود جامع: «الثورة فكرت في إنشاء تنظيم سياسي شعبي واحد بعد حل جميع الأحزاب، تذوب فيه كل القوى الوطنية والتي تتمسك بالقيم الإسلامية، دون الإعلان عن شعاراتها، وتذوب فيه أيضًا جماعة الإخوان المسلمين.. واختاروا له اسم هيئة التحرير ويكون رئيسه من الإخوان» (وعرفت الإخوان - ص: ٩٢) وقد رفض الإخوان هيئة التحرير بحجة أن عملهم مقصورعلى التربية الإسلامية، كما عبر فريد عبد الخالق لعبد الناصر (انظر أحداث التاريخ - ٣/ ٤٠)، وفي موضع آخر قالوا له: نريد الديمقراطية. قال عبد الناصر: «أنا أقول لكم ادخلوا هيئة التحرير، وتولوا أنتم أمرها، وتصبح هي

مسرح نشاطكم، وأنتم بترفضوا، عايزين أيه أمال. فرد عليه فريد عبد الخالق قائلا: اسمع يا جمال: «إحنا بنصارحك.. الديمقراطية لا بديل عنها» (أحداث التاريخ ٣ / ٤١) فلم يعترضوا على فكر هيئة التحرير في أول الأمر، ولم يقولوا إنها هيئة ماركسية. ولو كانت كما زعموا فلماذا قالوا لعبد الناصر: «قد أنت هيئة التحرير».! وقد كان تعليق حسن عشماوى على هيئة التحرير لعبد الناصر أسوأ تعليق إذ قال له:

«أنت تجمع حثالة الناس في هذه الهيئة، ولن يأتي فيها غير بقايا الأحزاب، ومن لا رأى لهم، أم تراك تريد شراء البعض ليهتفوا لك؟ ورد عليه عبد الناصر قائلًا: أيوه. أنا أشتريهم ليهتفوا لي أحسن ما يشتريهم غيري ليهتفوا ضدى» (الصفحات - ص: ٢٥٦)، وكما تشير كتب الإخوان يتضح أن فكرة هيئة التحرير لم تكن خدعة لهم.. وإنما كانت خدعة للدول الكبري لعلم عبد الناصر أن تلك الدول لن تقبل بوجود الإخوان في الصورة السياسية للدولة. ومن أجل ذلك قال عبد الناصر لضباط الثورة كما ذكر الإخوان في كتبهم: «نستطيع خداع الدول الكبري لو قبل الإخوان تجميد نشاطهم، والاندراج فيما يمكن أن نسميه بهيئة التحرير، ويكفي أن ننزع اللافتات من فوق شعب الإخوان، ونضع مكانها لافتة عليها اسم هيئة التحرير» (الصفحات - ص: ٢٣٤) هذا مع الاحتفاظ بالمفهوم الإسلامي أساسًا للتغيير المنشود.. كما أشار فريد عبد الخالق بقوله: «عبد الناصر أكد تمسكه بالإسلام أساسًا للتغيير المنشود، وأن هدفه الإسلام إلا أنه قال: إن من المصلحة عدم المجاهرة بذلك في بادئ الأمر، ولكن تؤخذ الأمور تدريجيًا، حتى لا يحارب أعداء الإسلام الحركة في أول عهدها» (الإخوان في

ميزان الحق - ص: ٨٢).

وهذا النهج يوضح أن عبد الناصر أراد الإخوان الجانب الشعبي المهتم بالناحية الدينية والأخلاقية.. لكن الإخوان كانوا يريدون رأس الضباط أو عودتهم إلى الثكنات صاغرين. ولو قارنا بين موقف الهضيبي في عدم الجهر بتأييد الثورة في أول عهدها وبين موقف عبد الناصر من إنشاء هيئة التحرير، لوجدنا التفكير واحدًا. فالهضيبي أخفى اشتراك الإخوان في الثورة، بعدم الجهر بتأييدها، ليخفي التوجه الإخواني للثورة عن الإنجليز كما زعم. وعبد الناصر أخفى وجود الإخوان في هيئة التحرير خداعًا للدول الكبرى.. فالهضيبي - على حد زعمهم - أراد خداع الإنجليز، حتى لا يفسدوا الثورة، وعبد الناصر أراد خداع الدول الكبرى، حتى يدفع مؤامراتهم ويفسد خططهم ضد الثورة. فهذا أخفى الإخوان أثناء الثورة، وهذا أخفى الإخوان بعد الثورة.

وقام الإخوان بتلك المظاهرة من أجل عودة الجيش إلى الثكنات وتخليه عن السلطة، على الرغم من أن عبد الناصر عرض عليهم منصبين في الوزارة فأبوا، وأكد هذا الرفض محمود عبد الحليم نقلًا عن صلاح شادي، قائلًا: «واتخذوا قرارًا بعدم المشاركة في الوزارة بعد مناقشات طويلة، فقد رأى البعض أن اشتراكنا في الوزارة سيجعلُنا مبصرين بكل الخطوات التي تقوم بها الحكومة، ولكن المرشد كان له رأي آخر وهو أنه لو حدثت أخطاء من الحكومة فإنها ستلقى على الإخوان، فضلًا عن أن رسالةَ الإخوانِ كما كان يراها المكتب في تلك الآونة هي عدمُ الزج بأنفسهم في الحكم» (أحداث التاريخ - ٣ / ٣٨)، وقد مثل هذا الرفض خروجًا على الثورة، وقد كان فصل مكتب الإرشاد للباقوري أحد المبررات التي

استند إليها ضباط الثورة لحل جماعة الإخوان، كما كان تآمرهم مع الرافضي الإيراني نواب صفوى في تدبير المظاهرات والاجتماعات المناوئة للدولة أحد الأسباب التي أدت إلى حل جماعة الإخوان، قال القرضاوي: «أذكر أننا استقبلنا السيد نواب صفوي في المركز العام، وكان هذا من الأسباب التي أدت إلى حل الإخوان» (الجزيرة - ٣/ ١٠/ ٢٠٠٤م)، وكان خاتمة المطاف أن عرض عبد الناصر على الإخوان تشكيل وزارة إخوانية كاملة: وزراء ورئيس وزراء، من جهته أوفد جمال عبد الناصر صلاح سالم إلى الإخوان، فقال صلاح: إن جمالًا يعرض عليهم أن يؤلفوا حكومة كاملة من الإخوان، ورئيسها من الإخوان وجميع وزرائها من الإخوان. قال عبد الحكيم: فتبسمت تبسمًا أثار دهشة صلاح الذي سألني: لم قابلت كلامه بهذا الابتسام الذي يوحي بالسخرية؟فقال له: يا صلاح، هذا عرض ماكر، نحن نرفضه كل الرفض. وقال: العرض الذي حملته إلينا عرض خطير يخفى في طياته الدمار الكامل والهلاك للإخوان المسلمين ما دام هناك مجلس قيادة الثورة» (أحداث صنعت التاريخ - ٣/ ٢٠١)، فلم يقبل الإخوان عرض صلاح سالم، واعتبروه مناورةً طالما أن مجلسَ قيادة الثورة باق، ولا بد من عودة الجيش إلى الثكنات صاغرًا أو مشكورًا، وإلا فلن تهدأ البلاد، ولن تستريح حتى لو حكم عبد الناصر بالشريعة! فلا بد من تغيير الدستور وإقامة الحكم النيابي، وعودة الضباط إلى الثكنات.

قال جابر رزق: (الرئيس نجيب يخطب في المتظاهرين يعدهم بالحكم النيابي، وبعدَ أن ينتهي من خطابه يطلب من الجميع أن ينصرفوا، لكن لا أحد يتحرك، الهتافات مستمرة «دم الشهداء بدم جمال») (إخوان أون لاين - ٠٦/ ١٢/ ٢٠٠٤م)، وفي

تلك المظاهرة قام أحد فتوات الإخوان بإطلاق الأعيرة النارية، قال محمود عبد الحليم: «.. وقد أشارت الصحف إلى بعض شخصيات إخوانية كانت بارزة فيها، ومن هذه الشخصيات إبراهيم كروم، وكان من أشهر فتوات القاهرة، وقد هداه الله، وصار من أتقى الإخوان، وكان ممتطيًا جوادًا، ويتقدم المتظاهرين، ويطلق أعيرة نارية في الهواء» (أحداث صنعت التاريخ - ٣/ ٣٠٤)، فاستعرت العداوة بينهما، وعرف عبد الناصر أن الإخوان يضمرون له السوء بعد أن تعاهدوا على بيعته.!

❊ ❊ ❊

آخر حوار بين الإخوان وعبد الناصر

لقد تبين أن الأمر منذر بخطر، فالإخوان متفقون على التخلص من ضباط الثورة، فالمرشد أعاد التنظيم الخاص، ثم نادى مؤخرًا بالمواجهة مع ضباط الثورة ورفع سلاح التكفير، قال عبد الحليم في كتابه السابق (٣/ ٤١٨) بقوله: «والمرشد العام مستمر في إصدار النشرات والبيانات من مخبئه لتزيد النار اشتعالًا، ومعلوماته ناقصة عن حقائق الموقف، وما استجد بعد اختفائه من معلومات تدل على أننا مكشوفون للطرف الآخر دون أن ندري» اهـ.

وأصبح عامة الإخوان ينساقون وراء الهيئة التأسيسية في القاهرة، بزعامة عبد القادر عودة، ويرفضون أي محاولة للصلح مع عبد الناصر، مبررين ذلك بأن موقفهم أقوى، وهذا الإصرار ينقل إلى عبد الناصر وضباط الثورة، إما بالتسجيلات السرية، وإما عن طريق الإخوان المقربين له، قال محمود عبد الحليم: «ولكن الجديد في الأمر أنني اكتشفت أنَّ القومَ بكل الوسائل التي أتيحت لهم من خزائن الدولة،

وولاء بعض إخوان لهم، ووسائل التسمع الحديثة - استطاعوا أن يعرفوا أسرارنا مما يتصل بهذه القوة، فلا ينبغي لنا أن نتعامى عن هذه الحقيقة المرة» (أحداث صنعت التاريخ - ٣/ ٣٩٠).

وفي أثناء تلك المظاهر الملتهبة يتقدم محمود عبد الحليم بمذكرة إصلاح وتفاهم مع عبد الناصر، دفعه إليها كما تقدم علمه أَنَّ عبد الناصر أصبح على اطلاع بأدق أسرار الإخوان، وفي ملخص تلك المذكرة أظهر عبد الحليم التأسف على ما حدث من نزاع بين طائفتين من المسلمين أخذ في إشعاله شياطين الإنس والجن، ثم سرد الأعمالَ الطيبة التي قام بها ضباطُ الثورةِ من الإفراجِ عن الإخوان، والتحقيق في مقتل حسن البنا، وعزمهم على إقامة السد العالى، وقال: إنهم لم يرفضوا الحكمَ بكتابِ الله صراحة، ومثل هؤلاء لا ينبغي أن نرميهم بالكفر، واقترح لقاء بين الإخوان في القطر المصري كله وبين عبد الناصر ومن يشاء من رجاله (انظر أحداث التاريخ - ٣/ ٣٨٦)، وقرأ عبد الناصر مذكرة التفاهم، ورحب بها، وتحت يديه أدلة نظر الإخوان في قتله، ومنشورات المرشد لا تزال تلاحقه، والاتهامات المختلفة بالتعامل مع الإسرائيليين في الفالوجا حاضرة أمامه، مع بعض الاتهامات الأخرى التي كانت تؤرقه كاتهامه بالاستيلاء على أموال التنظيم السري.

وفي أثناء اللقاء الذي تم بين عبد الناصر وبين محمود عبد الحليم موفدًا من بعض الإخوان، قال عبد الناصر: «لقد قرأت مذكرة فلان، وأرى فيها روحًا طيبة، ولهذا طلبت أن ألتقي بوفد يمثل الإخوان لمناقشة أسباب الخلاف بيني وبين الإخوان. فقلنا له: أليس من الممكن أن نتجاوزَ الخلافَ ونتجه إلى وسائل الإصلاح؟ فقال: إن هذا ليس بالطريق السليم لمعالجة الخلاف، لا بد أولًا من

معرفة أسباب الخلاف حتى نبحثَ بعد ذلك عن تلافي هذه الأسباب.

فقلنا: إذن ما هي أسباب الخلاف:

فبين عبدُ الناصر أسبابَ الخلافِ في النقاط التالية:

١- أن الإخوان اتهموه بالاستيلاء على مبلغ من المال لنفسه، وقد كان هذا المال معدًّا لشراء سلاح، ولم يحصل على أسلحة إلا بجزء يسير منه.

٢- أنه بالرغم من حرصه على استشارة المرشد العام منذ قيام الثورة إلا أن المرشدَ كان لا يهتم بلقائه.

٣- طلب من المرشد حل التشكيلات العسكرية التى في الجيش فنفى وجود التشكيلات العسكرية، فقال له: «يا فضيلة المرشد، أنا أعرف أن تشكيلات الإخوان في الجيش ما زالت موجودة. ولكنه أصر على الإنكار..».

٤- تحدث عن اتفاقية الجلاء ومحاسنها وبين أن معارضة الإخوان لها نوع من التحدى.

٥- نقض مطلب الإخوان بالانتخابات لأجل تأثرها بالتشكيلات العلنية والسرية للإخوان.

٦- عتب عتابًا شديدًا على مظاهرة ٢٨ أبريل ١٩٥٤م.

٧- تحدث عن تسلط الإخوان على الجامعات.

وانتهت الجلسة باتخاذ القرارات الآتية:

قال عبد الناصر: كل الذي أستطيع أن أبذله لكم الآن هو أن أعقدَ معكم هدنة، فإذا نجحتم فيها كان لكم أن تطالبوا بصلح.

قلنا: وما شروط الهدنة؟

قال: هما شرطان:

١ – أن توقفوا حملتكم على اتفاقية الجلاء.

٢ – أن توقفوا إصدار النشرات.

قلنا: ولنا شرطان مقابلان هما:

١ – أن توقف الاعتقالات والتشريد.

٢ – أن توقف الحملة الصحفية.

قال: أنا موافق على شروطكم إذا وافقتم على شروطي.

قلنا: إننا موافقون.

قال: إذا نفذتم الشروط فلنا اجتماع آخر بعد اجتماع الهيئة التأسيسية –، أما إذا لم تستطيعوا تنفيذ الشروط فلا اجتماع، ولا تلوموني بعد ذلك.

قال محمود عبد الحليم: «وهنا اختتمت الجلسة، وخرجنا وكلنا أمل في الوفاء بما اشترط علينا، لنخرج بالدعوة من هذا المأزق الخطير الذي وضعت فيه» (أحداث صنعت التاريخ - ٣/ ٤٠٣ – ٤٥٥).

هذا هو الاتفاق. أراد عبد الناصر مواجهتهم بالأحداث التي وقعت منهم، وأرادوا هم الفرار، فأصر على مناقشتهم ثم الاتفاق معهم وإعطائهم المهلة، فمن الذي نقض الاتفاق؟ ومن الذي تسبب في القبض على ثمانمائة منتسب إلى تشكيلات الإخوان في القطر المصرى؟ كما حكى السيسي في كتابه: (في قافلة الإخوان ص: ٥٧٨) حيث قال: «فقد بلغ عدد المحكوم عليهم بأحكام مختلفة حوالي ثمانمائة من رجال الإخوان أودعوا جميع السجون» اهـ.

❋ ❋ ❋

نقض الاتفاقية والمؤامرة الإخوانية الخسيسة

عاد محمود عبد الحليم بالاتفاقية؛ ليقومَ بعرضها على المرشد، ولكنه كان مختبئًا، والجميع يرفض الإفصاح عن مكانه، والاتفاقية محددة الشروط، هما فقط شرطان، وينتهي النزاع، ويهدأ الجو، فهل سيوافق أعضاء الهيئة التأسيسية على الاتفاقية؟ أم أنهم سيردونها؟ وبعد اللقاء والاتفاق مع عبد الناصر على ما يؤدى إلى تهدئة الصراع ذهب محمود عبد العليم ليعرضَ الاتفاقية على أعضاء الهيئة التأسيسية، فقام المستشار عبد القادر عودة متصدرًا هيئة الرافضين للاتفاقية، وقام بدفع الأستاذ محمد خميس حميدة «نائب المرشد» الذي وقع على الاتفاقية مع عبد الناصر، ومنعه من عرض الاتفاقية، أما المؤامرة الخسيسة فهي كالآتي، كما حكاها محمود عبد الحليم في كتابه: (أحداث التاريخ - ٣ / ٤١٩ - ٤٢٢) قائلًا:

١- «وافتتحت الجلسة حيث صعد الأخ الدكتور محمد خميس حميدة نائب المرشد العام إلى المنصة ليدير الجلسة، وما كاد يبدأ حتى رأينا منظرًا عجيبًا لم نصدق أبصارنا حين رأيناه، ولا أعتقد أن أحدًا كان يتصوره، رأينا الأخ الأستاذ عبد القادر عودة يصعد هو الآخر إلى المنصة، وينحي الأخ الدكتور خميس في غير رفق، ويقول له: أنا أحق منك بإدارة الجلسة» اهـ.

٢- وتحت عنوان خطة مدبرة وخطوات مدروسة. حدث خلاف في قراءة المذكرة تقرأ أم لا تقرأ. قال الأستاذ عبد القادر واثقًا: «حسمًا للخلاف نلجأ إلى الهيئة، ونأخذ الأصوات هل تقرأ مذكرة فلان أم لا تقرأ» وأخذت الأصوات فكانت الأغلبية في جانبهم، وهو ما كانوا واثقين منه، وإلا لما لجئوا إلى هذا الأسلوب.

٣- حدث تراشق بالألفاظ، وخلاصة ما كان أن ظلل الاجتماع ما ظلل، لا تسمعُ إلا تهاترًا، هَذَا يطلبُ محاولةَ الإصلاحِ، وآخرون يردون عليه بصوتٍ أعلى يرفضون الإصلاحَ، ثم كان القرار، وهو: «تكليف اللجنة التي كان موكلًا إليها الاتصال برئيس الحكومة، وإخطار الهيئة بنتائجِ هذا الاتصال في اجتماع الهيئة التأسيسية القادم» اهـ، قال محمود عبد الحليم: «ويبدو أن اتصالًا كان قد تم بين هؤلاء (إخوان القاهرة) وبين إخوانِ الأقاليم، ألقى في رُوعهم أن مذكرتي ومن يؤيدها ليست في مصلحةِ الدعوة، وإذا لم يكن قد تم هذا الاتصال فيكفي لإثارة شعورهم وحماسهم ضد كل ما فيه معنى تقريب وجهات النظر ما تلقوه صادرًا عن الأستاذ المرشد ساعة حضروا إلى المركز العام للاجتماع» (أحداث التاريخ - ٣ / ٤٢٠).. وقال أيضًا: «لم يكن إخواننا هؤلاء ولا إخوان الأقاليم يتوقعون ما كنا نتوقعه من أهوال ستنصب على رءوسنا صبًّا؛ لأنهم حجبوا أنفسهم عن الحقائق، ورضوا أن يعيشوا سابحين في الأوهام، ولم يصدقوا ما أنذرتهم به من أن أسرارنا مكشوفة لهؤلاء الناس، وأرادوا أن يفرضوا على الواقع ما تخيلوه من أوهام» (أحداث التاريخ - ٣/ ٤٢٥).

هذا هو الذي نقله المؤرخ محمود عبد الحليم مستاءً من تصرفات الأستاذ عبد القادر عودة «وكيل الإخوان»، التي فرقت الجمع، وعرضت الإخوان للفتن، فلم تقرأ مذكرة الصلح التي وقعها عبد الناصر مع وفد الإخوان، الذي وصفه عبد الحليم بأنه: «كان فوق الشبهات وأشدهم غيرة وأقدرهم على تقدير الموقف، وهم موضع احترام الجميع» (أحداث التاريخ - ٣/ ٤١٧)، وقد رفضوا اللجنة، وأبطلوا سعيها بمكر فاضحٍ، استباحوا فيه مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل استمرت المنشوراتُ تهاجم الثورة، وتهدد بأعمال انتقامية في حالة عدم إلغاء اتفاقية الجلاء، وترتب على تلك الخيبة أن غادر عبد الحليم المركز العام للإخوان مودعًا إياه، وهو يعلم أنه لن يعود إليه مرة أخرى بسبب حماقة أعضاء الهيئة التأسيسية، الذين لم يراعوا دماءَ أتباعهم، حتى تحملوا إثم المسئولية الكبرى في القبض على ثمانمائة إخواني، قال عبد الحليم لعبد القادر عودة: «إن دماءَ هؤلاء أمانةٌ في أعناقنا، نحن الذين اختارونا قادة لهم، يتلقون منا دون مناقشة ولا مراجعة، فمن حقهم علينا أن نطلعهم على ما عندنا» (أحداث التاريخ ٣/ ٣٩١)، وقال أيضًا في نفس كتابه (٣/ ٤٢٥): «غادرنا اجتماع الهيئة التأسيسية ونحن نقول: وداعًا أيتها الدار. كنا نعرف ما نحن مقبلون عليه. ولكننا أو أقول عن نفسي بالذات: إنني كنت مرتاح الضمير؛ لأنني بذلت آخر ما في وسعى لدفع النكبة عن إخوان لى في القاهرة والأقاليم، ولكنهم رفضوا فكنت وإياهم كما قال الشاعر العربي:

أبتغـي إصـلاح سـعدى بجهـدي وهـي تـسعى جهـدها في فـسادى

اهـ

واشتعلت النار، وأراد إخوان القاهرة إطفاءها فيما بعد فلم يستطيعوا، ووقعت حادثة المنشية، وقبض على ثمانمائة من الإخوان المسلمين، وهرب من هرب، وتشتتوا في البلاد يبكون على ما مضى، ويرمون مخالفيهم بشتى التهم، ولم ينظروا في أنفسهم، ولم يتهموا منهجهم.. حتى دخلوا السجون والمعتقلات، ثم بدءوا يفكرون، ولكن بعد وقوع المصائب وتلاطم الأمواج.



حوارات الرئيس السادات مع الإخوان

الإخوان لا يتقيدون بضوابط أهل السنة في التعامل مع الحكام، ودورهم في الإسلام لن يعدو تهييجَ العامة على الحكام والقفز على تهورهم.. هذا هو جهادهم الذي عاشوا من أجله، وبه وقعت المصائب واشرأبت الفتن. قال محمد عاكف: «إنَّ دورَ الإخوان المسلمين هو إثارة وعي المواطنين للتحرك ضد الحكام» (إخوان أون لاين نت - ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦م) ومن قبل قال صالح أبو رقيق: «قضية الإخوان سياسية في المقام الأول، وينبغي على الإخوان أن يدركوا هذه الحقيقة ويتبينوها ويتعلموها أيضًا، نحن في صراع لا ينتهي أمام قوى نعرفُ بعضها، ولا نعرف البعض الآخر» (الصفحات - ص: ٧٧) وإن لم يصل الإخوان إلى الصدارة فلن تهدأ البلاد، ولن تستقر، كما قال الهضيبي لضباط الثورة: «لا يمكن أن يبت في شئون البلاد في غيبتهم، وكل ما يحصل من هذا القبيل لن يكون له أثر في استقرار الأحوال، ولا يفيد البلاد في شيء» (أحداث التاريخ - ٣/ ٤٧).

وقد كان من الواجب عليهم ترتيب أوراقهم على منهجِ أهلِ الحديثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكن هيهات هيهات. فإنهم لا يتعلمون من التاريخ، ولا يريدون دعوة أهل الحديث، ففي فترة السبعينيات انتهجوا سبل التشنيع، واعترضوا على معاهدة السلام بالاتهامات البذيئة، وضيعوا ما يمكن أن يقال: إنها فرص نادرة عرضت عليهم. وقد فتح الرئيسُ السادات بابَ الدعوة لجماعة الإخوان في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، وأخرجهم من السجونِ والمعتقلات، وفتح لهم بابَ الحرية، حتى اتسع نشاطهم، وانتشرت دعوتهم، وفتح لهم الهيئات والمساجد

والصحف، بعد أن كانوا محصورين في السجون والمعتقلات، وانظر ما قاله التلمسانى في كتابه: (أيام مع السادات - ص: ٣٥)، وقد ظن الرئيس السادات بذلك أنه عالج ما بين الإخوان والدولة من صراع، ولكن هذا لم يحدث، فاتهمهم بممارسة التقية، وبين أن التقية ليست من عمل أهل السنة كما أشار في خطاب الخامس من سبتمبر ١٩٨١م، وفيه قال:

«جمعية الإخوان المسلمين غير شرعية زي ما قلت للتلمساني، لكن بروح العائلة قلت له: روح سجل، وخذ الإذن، لكن من هنا لهناك خلي الدعوة تمشى. ثم قال: لما جت سنة ١٩٧٠م طلعت الإخوان المسلمين من السجن، رجعتهم إلى وظائفهم، صرفوا لهم فَرْقَ المهية التي كانوا معينين عليها، فأنا اعتقدت إن الموضوع خلاص اصَّفَّى وانتهى. طلعوا بيعملوا بالتقية، بس التقية ليست عندنا نحن المسلمين السنة، التقية مش عند السنة أبدًا، إن تكلم بلسان وإللى في قلبك حاجة ثانية، لا ما عندناش كده» اهـ.

وسرعان ما رأوا أنفسهم كثرة، فاغتروا وتكابروا، وأرغوا فأزبدوا ونسوا فضائلَ الرئيس السادات عليهم بعد الله تعالى، وبدءوا يشحذون همم الشباب بالهتافات، ودخلوا في صدامات مع الرئيس، على الرغم من وضعه بندًا في الدستور المصري ينص على أنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ هي المصدر الرئيس للتشريع. بعد أن كانت المصدر الثانى في القانون المدني منذ سنة ١٨٨٣م، وكذلك في القانونِ المدني الجديد منذ عام ١٩٤٨م. إلا أنهم لم يعبئوا بذلك.

وعلى سابقة غير متوقعة فتح الرئيسُ بابَ الحوارِ العلني مع شباب الجامعة؛ ليتصدرَ شابٌ من شبابِ الإخوان للتخاطب مع الرئيس، فتحدث معه، وتبين من

خلال حديثه قلةُ العلم والأدب إضافة إلى سفاهة الطرحِ الذي اختاره؛ إذ وقف بكل استخفاف وجرأة يتكلم مع الرئيس في قضية خاصة بمنع الشيخ الغزالي عن الخطابة، وليس في قضية إسلامية عامة فقال: أنا كشاب مش عارف البلد القيادة السياسية عاوزه تربيني على أيه! شيوعي ولا مسلم ولا زنديق، أنا مش فاهم. (المذكور الآن من أكبر رفقاء العلمانيين والشيوعيين والزنادقة).

فقال الرئيس: أنا باختصر عليك الكلام يا بنى؛ لأن إخواتك رددوا الكلام ده قبل كده. شوف يا بني الدولة من سنة ١٩٧١م أنا أعلنتها دولة العلم والإيمان ببساطة.

فقال أبو الفتوح: متفقين مع سيادتك.

أنا باضرب لسيادتك مثل علشان نكون واقعيين: في الوقت إللي حضرتك بتعلن دولة العلم والإيمان نلاقي الشيخ الغزالي بيتشال من جامع عمرو.. أنا مش عارف علم وإيمان وبيتشال الشيخ الغزالى... طلع ساب البلد؛ وبالطريقة دي كل علماء مصر المخلصين ما يبقاش في مصر إلا العلماء إللي بينافقوا السلطة وبينافقوا سيادتك وبينافقوا بقية الحكام.

فرد الرئيس السادات قائلا: لأ.. قف... أنا لا أسمح أبدًا... مفيش حد بينافقنى، ولا أقبل النفاق، ولو كان حد بينافقني أو بأقبل النفاق كان حالكم النهاردة كبلد غير كده خالص، وما كنتوش جيتم النهاردة قدامى، وما كانش سمح لكم إنكم تيجوا هنا قدامي أوتناقشوني أو تقولوا آراءكم.

إنما للبلد أمن وإجراءات. إللي عايز يعمل زعامات إما عن طريق استغلال الدين أو المذاهب المختلفة إللي احنا كلنا بنشتكي إنها مستوردة - واستغلال الدين لا تسمح به الدولة وأقف مكانك - مكانك.

قال الطالب الإخواني: يافندم هل حقق معاه؟
اقف مكانك.

فرد قائلًا: أنا واقف يا فندم..!.

قال الرئيس: لأنه لا فصل من عمله ولا اعتقل ولا سجن ولا جرد - تعلموا الأدب في مخاطبة الناس... ثم قال: لما واحد يحاول يفرض زعامة عن طريق الدين أو استغلالًا للدين واستجداء لعواطف الناس المشبعة بالإيمان والدين... هذا الرجل لا يجب أن يكون له تأثير في فتنة. تحدث فتنة طائفية داخل البلد.. متجيش قدامي وتقول لى: بينفقوك. بينافقونى.. محدش في هذا البلد بينافقني ولا بأقبل نفاق.. الزموا حدود الأدب.. الدين والإسلام بيعلم الأدب.

فرد قائلًا: يافندم فيه فرق إن واحد بينافق سيادتك وإنك تقبل النفاق.

قال الرئيس السادات: أنا مش مستعد أقبل كلام؛ لأن دا خرج عن حدود الأدب. الزم مكانك.. الزم مكانك وحدودك.

ومن اليوم ياولادي أنا جايبكم علشان أقول لكم هذا الاحترام للقيم وللمعانى.. الدين ما قالش إنه يقف ويقول هذا الكلام أمام رئيس البلد.. إللي سمح له يجي علشان يقول رأيه بصراحة.. دا مش من الدين إطلاقًا..» اهـ.

وكانت مفاجأة أن يتكلم المذكور أمام الرئيس بهذه الكيفية، ويتهم الناس بالنفاق، مخالفًا حدود الأدب الشرعى في لغة الخطاب، وبدأت المعركة، ولم يستفد الإخوان من هذا الموقف، وتلك عادتهم في استجداء المصائب وتضييع المكاسب.

لقد أظهر هذا الحوار عدة أخطاء وقع فيها هذا الطالب، أعظمها زعمه أن خروج الغزالي من مصر لن يبقى فيها إلا المنافقين. وهذا بلا شك سوء أدب وعدم

إنصاف. والحقيقة أن الغزالي كان من مثيري الفتن - كما قال السادات - وقد شهد على نفسه بذلك: «والجهود التي بذلناها لتجريء الجماهير على أخذ حقوقها، وتحقير جلاديها، نجحت في إيغار الصدور على الباغين وتكثير السواد المتآلب ضدهم» (الإسلام المفترى عليه - ص: ١٤).

❋ ❋ ❋

لقاء الرئيس السادات بالأستاذ التلمساني

في هذا اللقاء لعب التلمساني «مرشد الإخوان الثالث» دور المسكين المغلوب، وسعى إلى دغدغة العواطف على حساب الحقائق، واستبشر بمرض متوقع، زعم أنه قد يكون سببًا في وفاته، بسبب الاتهامات التي وجهت إليه، إلى الدرجة التي دفعته إلى أن يشتكي الرئيس إلى الله تعالى.. وفي نص الحوار.

قال الرئيس السادات: «يزيد الأمر مرارة في نفسي يوم أن يكتب لشبابنا الذي يتحدث لكم عن تكوينه ليقابل هذا التحدي من حولنا... يخرج عمر وفي صدر المجلة بخطاب وصله أن الحكومة الأمريكية أو المخابرات الأمريكية أرسلته لمدوح سالم رئيس الوزارة بتقوله فيه: «خدوا بالكم الجماعات الإسلامية؛ لأن دول خطر جدًّا واضربوهم واخلصوا منهم.. هل هذا يصح؟ هذا الأسلوب كان لا بد أن ينتهي يا عمر في الماضي.. ليس أبدًا على الإشاعات.

وأريد أيضًا ألا يكون سبيل جماعة الإخوان المسلمين هو السبيل الماضى الذي حدث قبل ٢٣يوليو... التنظيم السري أمامي وبأشخاصه وبما كان فيه من أسلحة. ماذا فعلت أنا برغم كل هذا. لم يتعرض لكم أحد، ولم أقفل الجريدة،

وإنما أرسلت لوزير الداخلية لكي يقول لك عيب. وقال لك فعلًا.

أيضًا يا عمر.. في معركة نقيب من نقباء النقابات المهنية تصادف شيء غريب جدًّا بأنه الإخوان. الشيوعيين. الوفديين القدامى. الانتهازيين. شوفوا المفارقات العجيبة، جميعًا يتكتلوا وراء مرشح معين؛ لأنه بيشتم في الدولة. وبعت لعمر وقلت له: يا عمر عيب.

فرد الشيخ التلمساني قائلًا: «زعماء الحزب الشيوعي الموجودين في مصر أكثر من مرة يدعونني لحضور ندوات عندهم فكنت أرفض في كل مرة؛ لأني أعلم ما بين الإسلام وما بين الشيوعية من عداء، وأن الاثنين لا يمكن أن يجتمعا في ركب واحد أو أن يسيرا في طريق واحد... ولن يكون الإخوان والشيوعيون في يوم من الأيام مع بعضهم!.

سيادة الرئيس أرسلت إلى السفارة الإنجليزية بخطاب تخطرني أن أحد كبار رجال وزارة الخارجية الإنجليزية سيزور مصر وسيزورنى في يوم ١٢/٦ الساعة ١٢.. أرسلت الخطاب إلى وزير الداخلية.. وأرسلت الرد وقلت لهم: لن أسمح بزيارة إلا إذا استأذنت ثم إن كانت الزيارة لمعالم صحفية أهلًا وسهلًا.. إن كانت لسياسة فأنا لن أتحدث مع أجنبي في أمر سياسي بيني وبين دولتى.. !.

سألني أكثر من صحافي أجنبي عن علاقتي بالدولة.

قلت: هذه أمور تخص المصريين فقط ولا تخص غير المصريين، ولا يجوز لمصري أن يتحدث في هذا.. أنا لا أتآمر على الدولة.. سيادتك اتهمتني وأنت رئيس الدولة.. لو أن غيرك اتهمني كنت أرفع الأمر إليه، إنما اليوم إلى من أرفع.. أرفع أمري إلى الله. أنا بريء من كل ما قلت، أنا طاهر من كل ما قلت، أنا نظيف

أنا مسلم أنا مخلص غاية الإخلاص ويسمعني الكثيرون !.

أنني دعوت الله أن يديم حكم السادات إلى أطول عهد ممكن؛ لأننا نستمتع فيه بحريتنا! فإن كان هذا هو جزائي عند أنور السادات. الحمد لله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الرئيس السادات: أخشى إنك عايز تطلعني إني استغليت موقعي ووجهت لك هذا الكلام يا عمر.. لا.! أنت استدعاك وزير الداخلية.. كم مرة يا عمر؟ فقال: في أي شيء؟ فرد عليه: فيما يخص الانتخابات، ما قال لك شيء؟

فأجاب قائلًا: كنت في السعودية كنت بأحج.

قال الرئيس السادات: يا عمر، علشان نجلو الأمر، وحتى لا أكون أنا متجنيًا: أخبرك وزير الداخلية بهذا. أخبرك وزير الداخلية أيضا في شأن المقال.

إذن أنا لم أذكر وقائع تجنيت فيها عليك، لم تحدث، ولم أتخذ إجراء، ولن أتخذ إجراء، وإلا كان ما كانش السبيل هو الكلام إللي إحنا بنقوله النهاردة.. إذن لا حق لك في شكوتى إلى الله؛ لأنه أنا أخافه أخافه فعلًا.. أنا حكيت ما حدث فعلًا أنا أحكيه، وأقول: يا عمر، لو أن هناك نية مسبقة أو رأيًا كونته ما تركت مجلتك تسير على أساس غير قانونى، ولا جمعية الإخوان تقوم على أساس غير قانوني، وهي قائمة إلى اليوم على أساس غير قانونى، لو أنني كونت لاتخذت الإجراءات ولدى. والقانون معى، لا، اسحب شكواك أمام الله.

قال عمر: أنت الآن يا سيادة الرئيس عفوًا ستجعلني ألازم فراشي أشهرًا.!، لأن هذا الذي وجه إلى آذاني نفسيًّا وآذاني معنويًّا، وأسأل الله أن يلطف بي في هذه السن، وألا ألازم الفراش، وأن أغادر الدنيا فورًا خير لي من أن ألازم الفراش

مريضًا، وأنا إذا شكوت إلى الله فإنما أشكو إلى عادل. إن كنت أنا قد تجنيت فيعلم الله أنا لا أشكو إلى ظالم، أنا أشكو إلى عادل، بيده الحكم.. بدلًا من أنا أسحب الشكوى بتاعتى.. سيادتك اتخذ طريق تعالج به التعب الذي نالنى.

قال الرئيس السادات:.

أقترح إن فضيلة الإمام الأكبر مع إخواننا منكم ننتهز هذه الفرصة لنشكل مجلس إسلامي أعلى يبقى جميع الجمعيات الإسلامية ممثلة فيه، جميع النشاط الإسلامي ممثل فيه، ويكون مجلس عائلة لما يجد أي شيء نقعد ونتناقش، ونضع كل شيء بكل الصراحة والأخوة والود، وكل ما علمه لنا الإسلام من سماحة وصدق ويقين، أدعو الله لكم جميعًا بالتوفيق..» اهـ.

هذا هو الحوار الذي دار مع التلمساني.. انظر إلى الاتهامات التي وجهت إليه، وانظر إلى الإجابات التي أجاب بها، وقارن لتعلم حقيقة الشخصية الإخوانية في الهروب وعدم القدرة على مواجهة الحقائق.!.

وقد دار حوار الرئيس مع الأستاذ عمر على ثلاثة محاور:

المحور الأول: التحذير من استخدام الإشاعات سبيلًا للوصول أو لنشر الدعوة أو لتجريح الهيئات والأشخاص.. فلم يرد.! وهو يعلم أن في حركة الإخوان أجهزة سرية، خاصة بنشر الإشاعات، أنشأها حسن البنا في التنظيم الخاص، وما زالت باقية إلى الآن كما تقدم بيانه... فلم يخالف الرئيس السادات الحقيقة حين بين أن الإخوان يعتمدون الإشاعات سبيلًا من سبل الانتشار ومواجهة الخصوم - والتلمساني لم يرد.

المحور الثانى: العتاب على وضع الأيدي مع الانتهازيين والشيوعيين والوفديين

القدامى، وقد أكد التلمساني أنه دعى من قبل تلك الطوائف، أما اتفاق الإخوان معهم في مواجهة الدولة فهذا ما لا يحتاج إلى دليل لإثباته، فإذا كان التلمساني لم يتفق معهم فلا مانع لدى الإخوان أن يتفق غيره باعتبار تنوع الأدوار، هذا موجود في دعوة الإخوان.. ومعلوم أمر المرشد السري في دعوة الإخوان في فترة السبعينيات، ولا شك أن إنكار التلمساني هذا الأمر من الناحية الفكرية يعتبر حجة على منظري الإخوان الآن، الذين يتحالفون مع جميع الأطياف السياسية العلمانية والشيوعية للوصول إلى أغراضهم، وقد بين التلمساني أن هدفه الإسلامي المعروف يتناقض مع ذلك.

المحور الثالث: العتاب على نشر خطاب في مجلة الدعوة الإخوانية زعم التلمساني أنه وجه إلى رئيس الوزراء من قبل جهاز المخابرات الأمريكية تحذر فيه الحكومة من خطر الجماعات الإسلامية، ولم ينكر التلمساني ذلك، فقد نشرت المجلة الخطاب حقًّا، ففي أي شيء خالف الرئيس السادات الحقيقة؟ وكيف تنتظر الدولة خطابًا أو تتأثر به وهى التي أقامت الدعوة وأعدتها برضاها..؟.

ولكن التلمساني حاد عن عرض الرئيس السادات، وذكر قضية أخرى لم تكن محورًا للنقاش، إذ بين رفضه اللقاء مع ممثل للسفارة الإنجليزية للحديث معه إلا بعد الاستئذان من وزير الداخلية.. ثم قال: أنا لا أتآمر على الدولة. والرئيس لم يكلمه في تآمر، ولم يكلمه في لقاء مع السفارة الإنجليزية، مع العلم أن الالتقاء مع السفارات الأجنبية أمر ثابت في دعوة الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن.

ثم قام التلمساني يزكي نفسه على غير هدي السلف، قائلًا: «أنا مخلص في غاية الإخلاص» ثم رمى الكرة في ملعب الرئيس، كما يقولون في المفهوم السياسي،

ليحمله جناية اللقاء معه؛ ليقوم الرئيس بالدفاع عن نفسه أمام الناس، ويكون هو البريء، وما قاله الرئيس هو الباطل. ثم مثل دور المتمارض؛ كي يحقق لجماعته أكثر المكاسب، تلك هي طريقة الإخوان في التحاور.. لا يبرزون الحقائق، إنما يدورون حول القضايا، دون الدخول فيها والتثبت منها، ومن الغبن حقًّا أن يكون المقابل الذي عرضه الرئيس السادات.. من سعة صدره في تناول القضايا، وأدبه وحرصه على إظهار خوفه من الله تعالى، وإفساحه لتلك الجماعة كي تعمل في مجال الدعوة بحسن نية، بجوار حرصه على اجتماع المهتمين بشأن الدعوة لتناول القضايا الإسلامية، بعيدًا عن النزاعات والإشاعات - هو إشعال المجتمع ضده.

ماذا كان يقصد الرئيس السادات بكلمة: «لا دين في السياسة»؟

أيضًا من جملة ما وقف عليه الإخوان في تهييج الواقع واستثارة المجتمع ما قاله الرئيس السادات في أحد خطبه: «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين».

وعلى طريقتهم في فصل الأمور وعدم تفسيرها بحقيقة الوقت الذي قيلت فيه قالوا: إن الرئيس السادات فصل الدين عن السياسة. وقد ظن كثير من الناس ذلك، ولم يكن الرئيس السادات يقصد ذلك.. خاصة أنه وضع بندًا في الدستور، جعل فيه الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع، وكان يقول دائمًا: «الإسلام دين ودولة» كما يقول كل مسلم، وعندما تطاول عليه بعض أقباط نصارى المهجر العلمانيين، قال لهم: «أنا رئيس مسلم لدولة مسلمة» اهـ، وعندما كثر لغط الإخوان حول مقصد الرئيس من تلك الكلمة قام بتوضيح حقيقة قوله في خطابه للأمة بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٨١م قائلًا: «الإخوان المسلمين عاملين نفسهم الناس اللي واقفين بعيد وبتوع الدين وبس، وساعة ما نقول: «لا سياسة في الدين

ولا دين في السياسة».. يقولوا: أبدًا.. الدين سياسة والإسلام دين ودولة.. آه. دين ودولة صح، لكن أن تفرض وصاية على مصر باسم الدين على طريقة الخميني كما يكتبون الآن.. لا.. إنه يتقتل في مصر ٩٠٠ (قتيل) زي الخميني ما عمل في شهر علشان الثورة الإسلامية.. لا دي ثورة إسلامية، ولا ده إسلام» اهـ.

فقد كان مقصد الرئيس واضحًا: وهو عدم استغلال الدين للوصول إلى مآرب سياسية.. غير أنه ينبغي أن نبين بعيدًا عن الروابط السابقة أن تلك التقسيمات: (حقيقة وشريعة، وعقل ونقل، وظاهر وباطن، ودين وسياسة) تقسيمات غير جائزة في الإسلام، لأن أفعال الإنسان باختلاف صورها فيها الحق وفيها الباطل، وفيها الخطأ وفيها الصواب، وفيها الخير وفيها الشر، لا بد أن يخضع ذلك كله لحكم الله تعالى وشرعه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وأخيرًا فهذا هو محور عمل الإخوان. المواجهة بكل حمق، وتهييج الواقع وإثارة الفتنة، حتى قتل الرئيس السادات، وصارت دعوتهم كأمس الذاهب، ثم صفقوا للقتلة وهنئوهم، فقد بارك الصباغ قتلة الرئيس السادات في كتابه: (حقيقة التنظيم الخاص – ص: ٢٩)، وفيه قال:

«فسلط عليه شبابًا من شباب مصر وأظلهم بظله، فباغتوه في وضح النهار وفي أوج زينته وعزه يستعرض قواته المسلحة، ولا يرى فيهم إلا عبيدًا له ينحنون، وبقوته وعظمته يشهدون، وإذا بهم سادة يقذفونه بالنار، ويدفعون عن أنفسهم وصمة الذل والعار والشنار» اهـ.

وهذا كله افتراء باطل لا أساس له، فلم يكن الرئيس السادات رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى نفسه إلهًا يعبد من دون الله، كما ادعى الصباغ؛ وإنما هي حقيقة الإخوان إذا خالفهم

أحد رموه بالعظائم وشنعوا عليه بالأكاذيب، فالرئيس السادات حين قال له عمر التلمسانى: «أنا أشكوك إلى الله». رد عليه موضوع الشكوى، ثم قال له: «إذن لا حق لك في شكوتى إلى الله، لأنه أنا أخافه أخافه فعلًا..» وقال: «لا. اسحب شكواك أمام الله..» اهـ.

العجب في الأمر أن يزكي التلمساني نفسه في لقائه مع الرئيس فيقول: «أنا نظيف، أنا مسلم، أنا مخلص غاية الإخلاص». ومثل هذا لا يصلح للحديث أمام رئيس الدولة، خاصة مع اعترافه أنه كان رقاصًا يتعلم الرقص الإفرنجى في صالات عماد الدين، ثم يقول: هذا هو ما يأمرنا به ديننا الحنيف. قال ذلك في كتابه (ذكريات لا مذكرات. دار الاعتصام - ص: ٨): «تعلمت الرقص الإفرنجى في صالات عماد الدين، وكان تعليم الرقصة الواحدة في مقابل ثلاثة جنيهات، فتعلمت الدن سيت والفوكس تروت، والشارلستون، والتانجو». اهـ.

وقال (ص/ ١٣): «كنت أنتهز فرصة الاستراحة (الإنتراكت) لأصلي الظهر والعصر مجموعين مقصورين في أحد أركان السينما التي أكون فيها» اهـ.

وقال (ص/ ٢٦٣): «ولئن سألوني عن الهوى فأنا الهوى وابن الهوى وأبو الهوى وأخوه». اهـ.

والتلمساني كان يفعل ذلك من باب تيسير الإسلام، فقال: «وحبي للانطلاق في حياتي بعيدًا عن قيود التزمت الذي لم يأمر به دين من الأديان» (ذكريات لا مذكرات - ص: ٢٣٩. ط: ١٩٨٥. دار التوزيع والنشر) وبين أن هذا من عاداته التي لم ينقطع عنها فقال في كتابه: (ذكريات لا مذكرات - ص: ٣. ط. دار الاعتصام): «في حياتي بعض ما لا يرضي المتشددين من الإخوان أو غيرهم كالرقص

الإفرنجي والموسيقى، وحبي للانطلاق في حياتي بعيدًا عن قيود التزمت التي لم يأمر به دين من الأديان خاصة إسلامنا» اهـ.

❋ ❋ ❋

عمالة الإخوان في زمن الرئيس حسني مبارك

لا يخفى على كل بصير بالدين أو السياسة أن جماعة الإخوان جزء من مخطط دنيء يراد به ضياع الأمة الإسلامية وتدميرها، فهموا ذلك أم لم يفهموا، ولو فقه الإخوان أن الدول الاستعمارية تنظر إليهم باعتبارهم آلة الفتن في العالم الإسلامي، لتبرر تدخلها في شئونه بحجة الإصلاح، لعلموا عظم الجناية التي يقترفونها في حق الأمة والمجتمع جراء خروجهم على الولاة والسلاطين وتعاملاتهم السرية والعلنية مع تلك الدول الأجنبية، وتلك الدول ترقب أحوال الأمة بكل دقة، بما عندها من مؤسسات، وبما لديها من خبراء وعملاء يقومون بالتجسس على الأمة ونقل أسرارها وعوراتها.. انظر كيف فعل ملك الرومان مع الصحابي الجليل كعب بن مالك، حين هجره النبي ﷺ وهجره الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إبان تأخره عن الخروج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك - فلم يكن متظاهرًا ولا خارجًا ولا منافقًا - إذ أرسل إليه كتابًا يدعوه فيه إلى اللحاق به، فلما قرأه كعب وجد فيه: «أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك».. قال كعب: «قلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها» (متفق عليه) فقد كان ملك الرومان يرقب أحوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مثل أمر الهجران. فكيف لو كان الأمر خروجًا ماذا كان

سيفعل؟!. ولا يزال التاريخ يتكرر.. أن يقوم الاستعمار بتزكية طائفة من المجتمع للخروج على أولياء الأمور بقصد الإصلاح، وهم في حقيقة الأمر يريدون تأليب المجتمعات الإسلامية وهز استقرارها؛ ليتخذ ذلك ذريعة لاستعمارها والقضاء على دينها وتاريخها وثقافاتها، فقد خرج من قبل أحمد عرابى على الخديوي توفيق - متأثرًا بدعوة جمال الدين الأفغانى، القائمة على الثورة والاعتراض على الحكام والتشنيع عليهم، ببعض الأخطاء التي وقعت منهم أو من عمالهم - معترضًا على تصرفات وزير الحربية في عهد الخديوي توفيق «عثمان رفقى» وقد كان شركسيًّا ظالما للضباط المصريين، مضيعًا لحقوقهم.

فاستجاب الخديوي توفيق لأحمد عرابي ونفذ مطالبه، غير أن أحمد عرابي رفع درجة المواجهة والتظاهر ضد الخديوي توفيق، ومن هنا التقط الفرنسيون والإنجليز هذا التغير المثير في المجتمع، وقاموا بإصدار البيانات على طريقة كونداليزا رايس وإبريل كرسبي ومادلين أولبرايت إلى الإخوان وغيرهم، مؤيدين تلك الطريقة التي ابتدعها أحمد عرابي بزعم الإصلاح، وهم في الحقيقة يريدون تهيئة الجو واستغلال ظروف الاضطراب والقلق لاحتلال مصر، وقد بين محمد عبده في مذكراته عن الثورة العرابية أن قنصل فرنسا أرسل إلى أحمد عرابي وإخوانه يقول لهم: «إنه يسره ما يراه من صلابتهم وعزيمتهم، واشتدادهم في المطالبة بالعدل، فعليهم أن يثبتوا في مطالبهم، ولا يضعفهم ما يهددون به» (الأعمال الكاملة لمحمد عبده - ١/ ٥٢٨، ٥٣١) وكذلك فعل الإنجليز عن طريق المدعو «بلنت»، الذي كان يتنقل في المدن والقرى والبوادي يهيىء ويهنيء بثورة عرابى، «وقد وضح الأستاذ مصطفى غزال دور«بلنت» في كتابه: (دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان

الإسلام. ص ١٢٣) فقال: «كان من أشد الناس تفانيًا في مصالح الإنجليز، رغم أنه يتظاهر بصداقته للشرق المتمثل بالشعوب التابعة لتركيا، وبعدائه للحكومات البريطانية، بل كان أحيانًا يتظاهر بالدفاع عن قضايا الشعوب الشرقية، ويقف بجانبهم، كما وقف بجانب عرابي، ودافع عنه بعد أسره، كان هذا نوعًا من الدهاء والحنكة الإنجليزية» اهـ، وعندما اشتد خطر أحمد عرابى على الخديوي توفيق لجأ إلى الإنجليز لحماية عرشه، عند ذلك بدا للإنجليز احتلال مصر، وذلك عام ١٨٨٢م، بزعم الدفاع عن حقوق رعاياها وحقوق الأقليات، حتى إنهم أحدثوا بأنفسهم قلاقل ومذابح في الإسكندرية برروا بها الاحتلال، ودخل الإنجليز مصر بسبب التهييج السياسي الذي أحدثه عرابى، ولم يستطع عرابي أن يفعل شيئًا، ومني بهزيمة فاضحة قبالة قوات الإنجليز، حتى قيل: إن قواته كانت تقيم حلقات ذكر وطبول للصوفية طول الليل، وعندِ اللقاء والمناجزة تنام.

واحتلت مصر، ودام هذا الاحتلال زمنًا طويلًا، بحجة الحاجة إلى تهدئة الجو وعودة الاستقرار، كما يحدث الآن في العراق، حتى خرج الإنجليز باتفاقية الجلاء التي أبرمها عبد الناصر معهم عام ١٩٥٤م.. فاستمر احتلال مصر أكثر من سبعين عامًا، بسبب المظاهرات والانقلابات السياسية، ولا تزال المؤامرات مستمرة على العرب والمسلمين من قبل الصهيونية العالمية متكاتفة مع الصليبية العالمية، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ وخطط شرق أوسط جديد ومذكرات الكونجرس الأمريكى في تفتيت العالم العربي والإسلامي - لا تخفى على أولي الألباب والبصائر.

❊ ❊ ❊

الإخوان والاستقواء بالغرب

ومع كون الغرب الصليبي اليهودي يضمر هذا السوء للمسلمين، إلا أن الإخوان المسلمين تعاونوا معهم، وسعوا بكلِّ جهدهم في كسب ودهم؛ من أجل الوصول إلى سدة الحكم، بل إنهم أرسلوا أبناءهم المشتركين في حركة ٦ أبريل والهيئة الوطنية للتغيير للتدريب على طرق الانقلاب والعمالة في جورجيا وصربيا وأمريكا وكثير من دول أوربا، قال الأستاذ معروف البخيت «رئيس الوزراء الأردني»: «بدايات العقد الحالي شهدت تحولات مختلفة دفعت باتجاه بروز خطاب إخواني جديد، اتسم بالاضطراب والمراوحة بين التكفير والهجرة تارة، والتساوق مع عناصر مشروع الإصلاح الأمريكي الموجه للمنطقة تارة أخرى» (دار الخليج - ١٤ - ٥ - ٢٠٠٧م).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إنهم سعوا في كشف أسرار الأمة وثغراتها لهم، وهددوا أمنها القومي، وسعوا في تزييف الحقائق، وتفننوا في اتخاذ الرخص والسقطات باسم فقه الأولويات، ووضعوا أنفسهم متحدثين باسم الأمة، وطالبوا بحقوقهم السياسية بكثرة شكاواهم وتهديداتهم المستمرة بعرض مشاكلهم على محكمة العدل الدولية والأمم المتحدة والمنظمات والهيئات القانونية والحقوقية في العالم، وقد بدا هذا الأمر بكل وضوح عندما دعا عبد المنعم أبو الفتوح في كلمة له بجامعة «أوسلو» الغرب إلى نسيان ما قام به المسلمون عند غزو أوربا في مقابل نسيان المسلمين ما فعله الصليبيون بهم أثناء الحروب الصليبية. فقال: «إن عالم اليوم أيها السادة الكرام ليس هو عالم الأمس، فتاريخ الحملات

الإسلامية على أوروبا وما تركه من مشاعر سلبية لا سيما حصار فيينا - قد دفن مع الماضي.. ونحن أيضًا نعتبر أن الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، وكذلك الحملات الاستعمارية، وما تركته من أثر مشابه قد دفنت أيضًا مع الماضي» (إخوان أون لاين - ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٧م).

وقام القرضاوي كما تقدم بمداهنة بابا الفاتيكان وشكره على نشر دينه بقوة في العالم، ودعا له بالرحمة والمغفرة في الآخرة، فقال: «وقال ربما يعني بعض المسلمين يقول إنه لم يعتذر عن الحروب الصليبية وما جرى فيها من مآسي للمسلمين كما اعتذر لليهود، وبعضهم يأخذ عليه بعض الأشياء، ولكن مواقف الرجل العامة وإخلاصه في نشر دينه ونشاطه، حتى رغم شيخوخته وكبر سنه، فقد طاف العالم كله وزار بلادًا ومنها بلاد المسلمين نفسها، فكان مخلصًا لدينه وناشطًا من أعظم النشطاء في نشر دعوته والإيمان برسالته».

ثم قال: «لا نستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ما قدم للإنسانية وما خلف من عمل صالح» (موقع القرضاوى. برنامج الشريعة ٣/ ٤/ ٢٠٠٥م)، فقارن بين الاثنين: أبو الفتوح دفن الخلافات، والقرضاوي اعتذر للعالم العربي والإسلامي نيابة عن بابا الفاتيكان... تلك هي الماسونية الحقيقية، وأنا لا أتعجب من هذا كله إذا كان الغزالي قد صرح من قبل باختراق حزب المؤامرات العالمية الماسونية لجماعة الإخوان المسلمين، وقال في كتابه: من معالم الحق الثابت في كفاحنا الإسلامي الحديث» - ص / ٢٢٤): «ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه، ولكني لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخترق

جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته» اهـ.

وقد أكد ذلك على عبده عشماوي «أحد أعضاء التنظيم الخاص» في كتابه: (التاريخ السري لجماعة الإخوان - ص: ٨١):

«وكان مما قاله - يقصد سيد قطب -: إن الأستاذ البنا كان يعلم أن الجماعة مستهدفة من الخارج من القوى المعادية للإسلام، وأنهم أدخلوا إلى الجماعة بعض أعضائهم، أو جندوا من داخل الجماعة أفرادًا يعملون لصالحهم، على سبيل المثال ذكر أن الدكتور محمد خميس حميدة كان ماسونيًّا بدرجة عالية من الماسونية، وقد وصل إلى أن أصبح وكيل عام الجماعة، وأن الحاج حلمي المنياوي كان ممثلًا للمخابرات الإنجليزية داخل الجماعة، والواقع أن مسألة اختراق الجماعة من أعلى عن طريق الماسونية و المخابرات الإنجليزية وغيرها كان أمرًا غريبًا علينا، إلا أن بعض الإخوان الآخرين غير الأستاذ سيد قطب قد أشاروا إلى هذا الأمر مثل الأستاذ محمد الغزالي في كتابه: «من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث» اهـ.

لماذا أقدم الإخوان الآن على تلك الخطوة؟ هل يئس الإخوان من برامج الإصلاح الديني والسياسي؟ هل يئسوا من الوصول إلى سدة الحكم بالطرق المتاحة؟ هل هناك توافق أيدلوجي يعطي انطباعًا بوجود إسلام إخواني تهواه الدول الغربية؟ كيف تمت تلك الصفقة؟.

الجواب: بعد التصريحات الأمريكية التي طالبت بفتح باب الحوار مع الإخوان، وإظهار عدم الخوف من صعودهم لسدة الحكم استشعر الإخوان أن الدنيا تغيرت لصالحهم، وأن القوى العظمى معهم؛ فركبوا الموجة، وانطلقت المظاهرات، وقام قادة الإخوان يسبون النظام ويشنعون على التاريخ، ويقولون: نحن النور المضيء

في هذا المجتمع المظلم. وقد كانوا من قبل مترددين في عرض قضايا الأمة على الغرب والاستقواء بهم، حتى نصحهم بعض المفكرين في الدخول في تلك المؤامرة، ووقع الإخوان في فخ الدمار والهلاك؛ فدعوة أمريكا لإظهار الإخوان بهذه الدرجة على الساحة السياسية - ليست إلا مخططًا أمريكيًّا يراد به إظهار الإخوان في تجربة فاشلة، تسمن فيها بسرعة، لا تستمر طويلًا حتى تصاب بهزال شديد ومرض عضال، فلا تبقي الدين الذي أنشأت الجماعة من أجله، ولا تبرع في السياسة التي ظنوا أن أحدًا لم يصل فيها إلى ما وصلوا إليه.

بالإضافة إلى مقصد أوسع من ذلك وهو إسقاط الدول العربية والإسلامية وهز استقرارها، تمهيدًا لاستعمارها وتقسيمها بالتعاون مع إيران. والإخوان من أنسب الفرق لمد يد العون لإيران؛ فهم ذراع الشيعة في مصر.

وقد استعد الإخوان وتجرءوا بكل قوة لتحقيق أهدافهم بعد تصريحات السفير «ريتشارد هاس» مدير قسم التخطيط السياسي (السابق)، رئيس «معهد تنمية الديمقراطية في العالم العربي»، حين قال: «إن واشنطن لا تعارض الأحزاب الإسلامية، وإن الإدارة الأمريكية تدرك أن تكثيف الديمقراطية في العالم الإسلامي ينطوي على مغامرة بانتخاب قادة لا تفضلهم واشنطن» (إسلام أون لاين - ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٢م).

كما أنهم تأثروا بتصريحات كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية، في مجلة «واشنطن بوست» ٢٦ مارس ٢٠٠٥م، حين قالت: إنها: «لا تعير اهتمامًا لمخاوف من انتصار الإسلاميين المتشددين وحلولهم مكان الأنظمة القمعية؛ لأن جذور التطرف تنشط في غياب القنوات البديلة للنشاط السياسي» (٢٥/ ٣ /

٢٠٠٥م - إسلام أون لاين).

ولو تتبع الباحث في الشئون السياسية تصريحات كونداليزا رايس الخاصة بالإخوان المسلمين لأثيرت لديه الظنون.. فقد سئلت كونداليزا رايس عن المخاطر التي تنتظر سوريا في ظل حكم «الإخوان المسلمين»! قالت: «إن بلادها قادرة على التفاهم معهم، وأن وصولهم إلى السلطة لا يخيفها» اهـ.

فلماذا لم تتعامل أمريكا مع حماس في فلسطين إذا كانت قادرة على التعامل معهم، كما أكدت بكل ثقة؟.

تلك هي الهدية التي تقدمها أمريكا لعملائها الليبراليين والإخوان؛ كي ترفعهم إلى الكراسي باسم الإصلاح والديمقراطية، كما أكدت على ذلك في نفس لقائها، بقولها:

«في الشرق الأوسط العديد من المواطنين يطالبون بالتحرير، هؤلاء تجدونهم في الرياض ورام الله وبيروت وهنا في القاهرة، وهذا دليل على أن عملية التغيير الديمقراطي بدأت تتجلى في الشرق الأوسط» (المصدر السابق).

فلم يكن من الممكن أن يظهر الإخوان على الساحة السياسية إلا بعهد أمان، فلم يكن لهم قوة في الدين تحملهم بعد هذا الزمن الطويل الذي عاشوا فيه تحت الأرض أن يظهروا أنفسهم من تلقاء أنفسهم، فهم دون ذلك، فقد كانوا يختفون تحت اسم «التيار الإسلامى»، وكان الرجل منهم يخاف أن ينسب نفسه إلى الإخوان، فكيف بهم يظهرون بهذه الكيفية في الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٥م؟

لعل ما تقدم ذكره هو السبب الذي من أجله تأسد الإخوان، وخرجوا في انتخابات ٢٠٠٥م باسمهم القديم، وقالوا: «نحن الإخوان المسلمين».

وبدأ محمد عاكف يرفع درجة المواجهة، ويستخدم ألفاظًا سوقية، في أحاديثه الصحفية، لا تليق بالدعاة إلى الله تعالى. ومن ذلك ما قاله تعقيبًا على قول أحد الصحفيين الليبراليين: «أنا لا يحكمني إلا مصري»، فاعترض المرشد - الذي لا يقبل أن يخرج منصب المرشد العام للإخوان من مصر إلى غيرها من الدول - قائلًا له: «طظ في مصر وأبو مصر واللي في مصر» اهـ، وتلك هي رواية الصحفى. أما الذي اعترف به الأستاذ المرشد، فقد قال كما في موقع: (إخوان أون لاين. ١٦/ ٤/ ٢٠٠٦م): «قلت له: «طظ فيك، وفي مصر»» اهـ، غير أنه حين قلبت أمريكا الترس، وقالت على لسان روبرت زوليك نائب وزيرة الخارجية الأمريكية: «إن الولايات المتحدة تحترم الحظر القانوني الذي تفرضه الحكومة المصرية على الأنشطة السياسية لجماعة الإخوان المسلمين المعارضة، وتعتقد أنه منطقي» (إسلام أون لاين. نت - ١٥ - ٧ - ٢٠٠٥م).

عند ذلك تغيرت الأمور وبردت التصريحات واستخدموا لغة النعامة، وقالوا: نحن نحترم منصب الرئيس، ونريد أن نجلس معه - وقد حفت أرجلهم من أجل ذلك كثيرًا -، نحن لا نرضى بفرض الإصلاح من الخارج.

فهم عند الكثرة العددية والضغوط الدولية يحملون الدولة كافة المصائب، ويضعون المجتمع على حافة التفكك والانهيار، وفي وقت الضعف يبايعون ويتزلفون، ويقولون: يجب أن نتعاون مع الحكومة، بدلًا من تفتيت الجهود. كما قال محمد عاكف في ٢٠/ ١/ ٢٠٠٤م في حوار أجرته معه جريدة: «الزمان اللندنية»: «إن من يسعى إلى السلطات في مصر هذه الأيام جاهل؛ لأن السلطات في حاجةٍ إلى من يعينها على ما هي فيه الآن» (إخوان أون لاين ٢٠/ ١/ ٢٠٠٤م).

غير أنه حين تحقق للجماعة بعض المقاعد في مجلس الشعب قلب وجه المجن، وتطاول على الدولة والمجتمع، وقال في حوار مع محمد عبد القدوس في جريدة: (الدستور - ١٥يونيو ٢٠٠٥م) أقوالًا لا تتناسب مع أخلاق الإخوان، التي تعتز بها الجماعة، منها قوله: «العقول التي تحكم مصر عقول عفنة!! لا ترى إلا تحت قدميها، ولا تبحث إلا عن مصلحتها، وهم يكذبون على الناس، ويستخفون بعقولهم» اهـ، وقال في حق الأحزاب التي أتاحت له الظهور السياسي: «على الجميع أن يحمد ربنا؛ لأننا لم نظهر القوة الحقيقية للجماعة في هذه الانتخابات، فالقوة السياسية للجماعة تمكنها من المنافسة على غالبية مقاعد مجلس الشعب، لكننا لم نخض الانتخابات بكل قوتنا الانتخابية، وإنما بعدد متواضع لنعطي الفرصة للآخرين» (جريدة الغد في ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٥م)، وعندما عاد لهدوئه، وثاب إلى رشده دعا إلى المصالحة الوطنية؛ ليحافظ على المكاسب التي أنفق من أجلها الملايين، قائلًا: «فإننا ندعو الجميع - بما فيهم أهل السلطة - إلى مصالحة وطنية تجمع القلوب والعقول والجهود، وتصب في وعاء مصلحة الأمة» (إخوان أون لاين - ١١/ ١٢/ ٢٠٠٥م).

وقال في الشرق الأوسط الصادرة في ١١ ديسمبر ٢٠٠٥م: «أنا مشغول بكيفية النهوض بمصر، ومن يريد أن ينهض بمصر يتعاون مع الجميع، وليس في ذهني إسقاط فلان أو علان، في ذهننا مصلحة مصر فقط» اهـ.

وقال قبل ذلك في ٢٠/ ١/ ٢٠٠٤م في حوار أجرته معه جريدة: (الزمان) اللندنية: «إن من يسعى إلى السلطات في مصر هذه الأيام جاهل؛ لأن السلطات في حاجةٍ إلى من يعينها على ما هي فيه الآن»، وقال: «إن هذا التوقيت يتطلب التعاون مع

النظام الحاكم لإنقاذ الشعب مما لحق به ومما يعانيه هذه الأيام، بدلًا من تفتيت الجهود»، وقال: «الإخوان لا يسعون للسلطة، بل يمدون أيديهم للنظام الحاكم للحوار، مشيرًا إلى أنه «ليس هناك عاقل ينشغل هذه الأيام بالسعي للسلطة وسط تردي الأوضاع الداخلية مع تصاعد التحديات الخارجية» وقال: «إن هذه التحديات والأوضاع الراهنة تفرِض على الجميع ضرورة تكاتف كافة الجهود لتخطي هذه التحديات».

وعن دور الإخوان في السياسة المصرية في الفترة القادمة شدد فضيلته على أن الإخوان سوف يعملون على ترسيخ الاستقرار ومد جسور الحوار، والتصالُح مع السلطة للعمل على نهضة مصر» (إخوان أون لاين ٢٠/ ١/ ٢٠٠٤م).

فكل موقف له صورة خاصة، وكل مكان له حديثه المناسب، فالصحف القومية والدولية لها تصريحات، والصحف الإخوانية لها تصريحات، والدولة لها خطاب، والأحزاب لهم خطاب، ولكل مجتمع خطاب، ولكل حادث حديث! فالأستاذ عاكف في «آفاق عربية» رجل ثوري لن يهدأ له بال حتى يسقط النظام: «وقد أعلن الإخوان من قبل أنه إذا لم تتوافر إرادة الإصلاح عند النظام فلن يكون هناك إصلاح، وأمام الإخوان وقت طويل للعمل على إسقاط هذا النظام الفاسد» (آفاق عربية ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٥م)، وما الكيفية التي سيسقط بها النظام؟ أجاب كما نقل عنه الأستاذ صبحي مجاهد: «لوح المرشد العام للإخوان محمد مهدي عاكف أن جماعته لن تتوانى عن إعلان إضراب عام أو عصيان مدني في مصر» (إسلام أون لاين. نت/ ٨ – ٥ – ٢٠٠٥م)، وقال في لقائه مع الأستاذ ماهر حسن ردًّا على سؤاله: وهل تعتقد أنه في ظل نظام كالذي نعيش تحت وطأته أنكم قادرون على زعزعته؟ فقال: «بالصبر والجلد والثبات نزحزح اللي خلفوه كمان... إلخ» اهـ.

الالتقاء مع الهيئات الدولية

لم يمر على مصر زمن كثر فيه الاستقواء بالغرب وأمريكا على مصر كما حدث في هذا الزمان.. كشفت الأسرار، وظهرت العمالة والخيانة، وانبطحت صالونات فكرية ومراكز سياسية أمام الهيئات والمنظمات الدولية المعادية للإسلام، كما حدث من قبل في العراق، وقد كان الإخوان في الصدارة من ذلك، لم يحدث ذلك من أجل نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى، ولكن من أجل ترتيب الدولة الإخوانية، وعرض وجهة نظر الإخوان في القضايا التي تشغل بال الإعلام الغربي.. لا مانع من ترشيح المسيحي والزنديق، ولا مانع من ترؤس المسيحي لحزب العدالة والحرية الإخوانى، وأبواب الحزب مفتوحة للرقاصات إذا ارتدين الحجاب.

والإخوان لن يحاربوا إسرائيل، ولا مانع من ترشيحِ المرأة لرئاسة الدولة. هكذا قالوا، ودع أمرَ الخلافةِ الإسلامية جانبًا، ولا تقل بأستاذية العالم، فالإخوان في مرحلة المداهنة السياسية، وهناك فارق بين مرحلة الدعوة ومرحلة الدولة!

ولأجل حساسية تلك اللقاءات فسترى قادةَ الإخوان يبررون المواقف، إذا ظهرت أسرارها قالوا: «إنَّ الذي اشترك في تلك اللقاءات أفراد لا يمثلون الجماعة»، ومنهم من يقول: هذه أكاذيب يراد بها تشويه الجماعة، وعلى سبيل المثال: فقد أنكر محمد عاكف التهم الموجهة إليهم بالتعامل مع جهات أجنبية قائلًا: «أعلنا أننا لن نتحاورَ مع أي حكومة إلا من خلال وزارة الخارجية المصرية احترامًا لها واحترامًا لنظامنا واحترامًا لدولتنا» اهـ.

وقال في حواره مع جريدة **«الزمان اللندنية»**: «إن هذا كذب وافتراء ولا أثر

له؛ فنحن لا نتحاور مع شيطان لا يحترم أي قواعد للقيم والأخلاق وحقوق الإنسان» (إخوان أون لاين ٢٠/ ١/ ٢٠٠٤م)، وهذا الكلام معناه أن عاكف لا يقبل الالتقاء مع أي جهة خارجية رسمية، سواء بموافقة الدولة أم بعيدًا عنها؛ لأنها شيطان لا يجوز التحاور معه!

وتعليقًا على ما قاله السيناتور الأمريكي «تشيك هيجل» أثناء زيارته لمصر: «الإدارة الأمريكية لا تمانع في إدماج جماعة الإخوان في الحياة السياسية من خلال منحها حزبًا سياسيًّا، طالما التزمت الجماعة بقواعد اللعبة السياسية، وقدمت من الضمانات التي تؤكد التزامها بالخط العام للسياسة المصرية الخارجية، بما في ذلك الاتفاقيات والمعاهدات الدولية» اهـ، سعى عاكف لتبديد المخاوف الغربية من الصعود اللافت لجماعته في هذه الانتخابات بالتأكيد على أن الإخوان لن يسعوا في تغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل. وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها) (وكالة «الأسوشيتد برس» نافذة مصر. نت).

وحول ما إذا كان الإخوان سيحاولون منع حركة المقاومة الإسلامية حماس من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل قال عاكف: «لا علاقة لنا بالسياسة الداخلية الفلسطينية» (إسلام أون لاين. نت -٢٩ - ١١ - ٢٠٠٥م).

أما علاقات الإخوان الخفية بالأمريكان فقد أكدها المستشار المأمون الهضيبي.. كما ذكر الإخوان في مواقعهم الإلكترونية: «وكشف المرشد العام للإخوان - المأمون الهضيبي - عن مفاجأة جديدة عندما أشار إلى أن هذا الحوار لم يبدأ حسبما أشارت المصادر في شهر مارس الماضي، لكنه «امتد لحوالي ثلاثة أشهر مضت» (الإخوان

أون لاين - ٢٧ / ٣ / ٢٠٠٤ م).

وقال د: عصام العريان في تصريحات لـ «إسلام أون لاين. نت»:

«إن د: سعد اجتهد مثل أناس كثيرين، وقام بالاتصال بي، وأخبرني أن بعض الأوروبيين يريدون دعوتي على فنجان شاي، وقد قبلت الدعوة، وأشار إلى أن الاجتماع الذي استضافه النادي السويسري لم يخرج عن المناقشات المعهودة، والتي دارت حول موقف الإخوان من الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحضره مندوبون للسفارتين الإنجليزية والسويسرية» اهـ.

فالإخوان كما قالت مادلين أولبرايت: «براجماتيون، وهم على استعداد للتعاون مع الأمريكان إذا رأوا أن مصلحتهم الحقيقية تكمن في ذلك» (آفاق عربية - ١٠ فبراير ٢٠٠٥م)، ولا مانع أن يتفقوا مع أي طائفة من أجل تحقيق مآربهم في الوصول إلى الحكم.

ولقد تباحث الإخوان أيضًا في ذلك مع المفوضية الأوربية، وذلك أثناء الالتقاء بوفد تابع للاتحاد الأوربي، وقد مثل الإخوان في ذلك عصام العريان والدكتور محمد مرسي، وجرى خلال اللقاء دراسة موقف الجماعة من قضايا الإصلاح وقضية العراق وفلسطين والمرأة والأقباط والأقليات، وكذلك دراسة خطوات الجماعة في الوصول إلى سدة الحكمِ في مصر.

ومما يؤكد حقيقة ولاء الإخوان للهيئات الدولية، واستقوائهم بها إلى الآن، بل انهزامهم أمامها - أنهم دائمو التهديد باللجوء إليها والاحتكام إليها عند وقوعِ نوع من الخصومة بينهم وبين الدولة، فقد طالب جمال حشمت عقب سقوطه في انتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠٠٥م بتدخل دولي للانتصاف للإخوان من الدولة

قائلًا: «إنه في حال لم يسفر هذا التحرك عن نتيجة إيجابية فسأصعد الأمر دوليًّا» (إسلام أون لاين - ٢١ - ١١ - ٢٠٠٥م)، وكذلك: «هدد الدكتور ياسر حمود باللجوء إلى المنظمات الدولية للدفاع عن حقِّه وحق البرلمان» (نافذة مصر. نت - ٢٧/ ٥/ ١٤٢٨هـ)، وقد كان آخر مؤتمر دولي عقد في العاصمة البريطانية لندن، حول «حقوق الإنسان في مصر» شارك فيه الدكتور محمد البلتاجي «الأمين العام للكتلة البرلمانية للإخوان»: «وتحدث عن الواقع السياسي في مصر في اللحظة الراهنة، مستعرضًا - عبر أمثلة حية - الأساليب المتبعة لضرب المعارضة السياسية والنشاطات المدنية في مصر» (المصري اليوم - ١/ ٦/ ٢٠٠٧م).

ولا يخفى أن هذه اللقاءات تعبر عن ممارسات قديمة ابتدعها حسن البنا في زمنه، فقد قال محمود عساف:

«فيلب أيرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية أرسل مبعوثًا من قبله للأستاذ الإمام؛ كي يحدد موعدًا لمقابلته بدار الإخوان، وافق الأستاذ على المقابلة، ولكنه فضل أن تكون في بيت أيرلاند حيث إن المركز العام مراقب من القلم السياسي، وتم اللقاء وتبادلا الحديث عن الشيوعية، وقال حسن البنا: «فكرة التعاون فكرة جيدة، وحبذا لو فكرتم في إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية، فحينئذ نستطيع أن نعيركم بعض رجالنا المتخصصين في هذا الأمر على أن يكون ذلك بعيدًا عنا بصفة رسمية، ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائمًا دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم»، (مع الإمام الشهيد - ص: ١٣).

وقد حكى فريد عبد الخالق أن لقاء مثل هذا اللقاء تم في المركز العام للإخوان بين ممثل الحكومة البريطانية وبين حسن البنا، فقال: «حصل لقاء رسمي بين رجل

السفارة باسم الحكومة البريطانية مع حسن البنا في مكتب حسن البنا نفسه، في المركز العام، وأنا حضرت اللقاء، وقال له: «نحن نشجع كحكومة جلالة الملكة النشاط الذي يقوم به جريدة الإخوان في نشر المفاهيم الدينية، والتعزير أو الإبعاد بالناس عن الإلحاد.

قال حسن البنا: أنا أقدر لكم هذا التوجه، وإحنا كلنا كفاية بيجمعنا الحرص على الدين وعدم الوقوع في الإلحاد» (الجزيرة نت - ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٣م).

غير أن الشكاية إلى تلك الهيئات الدولية مما يحدث في الواقع السياسي في مصر - لم تكن من أدب حسن البنا، فقد قال حسن البنا ردًّا على مذكرة النحاس باشا لمجلس الأمن كما جاء في «جريدة الإخوان» تحت عنوان: «لا دخل لأحد في شئوننا الداخلية»: «وسواء أكانت حكومة مصر ديمقراطية أو ديكتاتورية، فإن الشعب المصري يعلن على الملإ أمام هيئة الأمم المتحدة أن ذلك أمر يعنيه وحده، ولن يسمحَ لأية دولة أجنبية أو هيئة دولية أن تتدخل في أخص شئونه الداخلية» (جريدة الإخوان المسلمين، (٣٧٥) في ٢٢ يوليو ١٩٤٧م الإصلاح السياسي عند البنا).

كيف رتب الإخوان اللقاءات العلنية؟

عندما استشعر الإخوان نوعًا من القوة رفعوا برقع الحياء، الذي كانوا يختفون خلفه ويتسترون به عند اللقاء مع أحد من السفراء الأجانب بعيدًا عن أعين الدولة، وصاروا يلتقون بهم علانية، ففي أواخر عام ٢٠٠٧م استطاع مكتب الإرشاد أن يتوصل إلى طريقة يحقق بها أمنية الإخوان في اللقاء مع الأمريكان.. دون اتهام الإخوان بالخيانة، ودون أن يفقدوا مصداقيتهم في المجتمع المصري؟ لقد تفتق الذهن الإخواني عن خطة خفية نقلتها وكالات الأنباء العالمية وجرائد

المعارضة التي يكتب فيها الإخوان، فقد كتب المهندس خيرت الشاطر مقالًا في الجارديان البريطانية بتاريخ ٢٣/ ١١ / ٢٠٠٥م أكد فيه للغرب أنهم لا يجب عليهم أن يخافوا من الإخوان، خاصة في تلك الجوانب التي يهتم بها الغرب قائلًا: «نجاح الإخوان لا يجب أن يخيف أحدًا؛ فنحن نحترم حقوق جميع الجماعات السياسية والدينية» (الدستور - ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦م) فما الطريقة؟ الجواب: الطريقة هي أن تلتقي المؤسسات الرسمية الأجنبية بالإخوان علنًا عن طريق نواب مجلس الشعب، وقد أكدت وكالة رويترز في أوائل ديسمبر ٢٠٠٧م ذلك الأمر في البيان الذي نقلته الأستاذة أميرة فودة، وفيه: «كشفت مصادر الإخوان المسلمين عن اتجاه بعض قيادات الجماعة إلى الدخول في حوارات مع جهات أمريكية رسمية وشعبية، والتفاوض مع أعضاء بارزين بالسفارة الأمريكية بالقاهرة عبر قنوات معلنة، من أجل تلافي الانتقادات التي تواجهها الجماعة نتيجة عقد مثل هذه اللقاءات بشكل سري» (الدستور - ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦م).

وبعد نشر هذا البيان في ديسمبر ٢٠٠٦م التقى ممثلو الإخوان محمد سعد الكتاتني والأمين المساعد سعد الحسيني بسفير أستراليا بالقاهرة روبرت بوك على حفل غداء أقامه الأخير بمنزله أمس الأول، وبحضور سفيري كندا فيليب ماك ينون ونيوزيلندا رينيه ويلسون، وذلك في يناير ٢٠٠٧م.. أى في خلال شهر واحد من الاتفاق، وكانت تلك هي الطريقة التي ظن الإخوان أنهم خرجوا بها من الملام والعتاب والاتهام بالخيانة.



الإخوان ودولة اليهود

إذا كان الرئيس السادات قد نادى بالصلح مع اليهود فليس هذا أمرًا مبتدعًا في الدين، بل هو أمر ثابت في الدين والشريعة، وثابت في سنة النبي ﷺ، فقد تصالح النبي ﷺ مع كفار قريش في الحديبية إلى زمن معلوم بشروط معلومة، لم ير فيها كثير من الصحابة إنصافًا لهم ولدينهم، ومع ذلك قبلها النبي ﷺ وهو المنصور المؤيد، ولم يتطرق النبي ﷺ في بنود الصلح إلى الأرض التي طرد منها، ولا إلى الممتلكات التي حرم منها، وإنما كان هدف الصلح هو وضع السلاح فقط، وتأمين الناس على دينهم، ومن ثم يتيسر للمخالفين المهلة التي تتيح لهم الاطلاع على حقيقة الدين الثابت، فيكون ذلك عونًا لهم في الإقبال عليه، والله تعالى ناصر دينه ورافع أولياءه، ولن يحول حائل دون ذلك، والاتفاق على عهد صلح بين المسلمين وبين خصومهم أمر ثابت في فهم السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالإجماع، أنه يجوز للمسلمين إذا عجزوا عن مناجزة عدوهم مصالحته إلى أجل معلوم، من الممكن أن يتجدد حسب المصلحة التي يراها الإمام. قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]: «دل على جواز صلح المشركين ومهادنتهم دون مال يؤخذ منهم، إذا رأى ذلك الإمام وجهًا، ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال يبذلونه للعدو؛ لموادعة النبي ﷺ عيينة بن حصن الفزاري، والحارث بن عوف المري يوم الأحزاب، على أن يعطيهما ثلث ثمر المدينة، وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشًا، ويرجعا بقومهما عنهم» اهـ.

وهذا هو الذي اتفق عليه الأئمة المعاصرون، وللشيخ الإمام جاد الحق على جاد الحق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فتاوى واضحة في جواز هذا الصلح، وقال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تجوز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومؤقتة، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك؛ لقول الله سبحانه: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾، ولأن النبي ﷺ فعلهما جميعًا، كما صالح أهل مكة على ترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.. الخ» اهـ.

❊ ❊ ❊

تناقضات الإخوان العملية

عارض الإخوان اتفاقية الصلح مع اليهود، بغير علم ولا سلف، وكانوا سببًا رئيسًا في قتل الرئيس السادات، وتضييع الفرصة السياسية على الفلسطينيين لأخذ جزء كبير من أرضهم في ذلك الوقت، قال التلمساني: «لقد عارضه الإخوان المسلمون في أسوأ غلطة أساءت إلى تاريخه وهي معاهدة السلام» (أيام مع السادات - ص: ١٠٨)، والذي ينظر إلى واقع الإخوان يعلم تمام العلم أنهم مضطربون في قضية فلسطين؛ فقد اتهموا الرئيس السادات بسبب معاهدة السلام بالخيانة، بينما هم الآن يصفون من يقوم بنفس العمل من قادة حركة حماس الفلسطينية بالأمانة، فقد قال محمد عاكف في (العربي - ١٨ يناير ٢٠٠٤م) ردًّا على سؤال - وحول ما إذا كان الإخوان المسلمون سيحاولون منع حركة المقاومة الإسلامية حماس من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل.. قال عاكف: «لا علاقة لنا بالسياسة الداخلية الفلسطينية» اهـ.

وقد عرض أحد قادة حماس على إسرائيل عرضًا تاريخيًّا بقبول دولتين واحدة فلسطينية وأخرى إسرائيلية جنبًا إلى جنب، مع توقيع هدنة مع إسرائيل لمدة عشر سنين. ذكرت ذلك جريدة آفاق عربية المتحدثة باسم الإخوان في مصر في عددها الصادر في (٢٦ شوال ١٤٢٥هـ - ٦٨٦).

وهذا محمد عاكف في حديثه مع وكالة «الأسوشيتد برس» يطمئن العالم الغربي، وسعى كما نقل موقع الإخوان «نافذة مصر»: «لتبديد المخاوف الغربية من الصعود اللافت لجماعته في هذه الانتخابات بالتأكيد على أن الإخوان لن يسعوا! لتغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل، وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل، لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها» اهـ.

غير أن عاكف مع جريدة «الموقف العربي المصرية» في «١٧/ ٦/ ٢٠٠٦م» أنكر معاهدة السلام مع إسرائيل، وقال كما نقل عنه موقع: «إخوان لاين. ١٨/ ٦/ ٢٠٠٦م»: «الإخوان يحترمون الاتفاقياتِ والمعاهدات التي توقع، غير أنهم لا يعترفون بهذه الاتفاقية، كما أنهم لا يحترمونها» اهـ.

وقد تأثر آخر موقف لعاكف من معاهدة السلام بالمفهوم الديمقراطي، إذ علق الموافقة على معاهدة السلام على رأي الشعب، أما أقوال العلماء والأئمة الذين وافقوا على تلك المعاهدة فلا يعبأ بها، وقد ذهب إلى ذلك قائلًا: «نحن كإخوان نحترم كل الاتفاقيات الدولية التي تمت مع كل الدول الأجنبية، لكن معاهدة كامب ديفيد تحديدًا وما تبعها من علاقات سياسية واقتصادية سنقوم بمراجعتها وعرضها على الشعب في استفتاء، فإذا رفضها الشعب ألغيت؛ ذلك لأن المعاهدة وقع عليها

نظام ديكتاتوري لم يأخذ رأي الشعب فيها..» (الكرامة - ١/ ٥/ ٢٠٠٧م).

❊ ❊ ❊

عصام العريان وإسرائيل بين الاعتراف والمناورة

يعد د: عصام العريان من جملة المتحدثين الرسميين الذين أجازهم المرشد العام للتحدث باسم الجماعة في الصحف والمنتديات، وقد صرح المذكور في لقائه مع جريدة الحياة اللندنية في ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٧م أن الإخوان في حال وصولهم إلى الحكم: «سيعترفون بإسرائيل ويحترمون المعاهدات، لكن اتفاقية كامب ديفيد ستطرأ عليها تغيرات وفقًا لما يناسبنا، ولا يعني هذا أننا نعلن الحرب، ولكن سنقوم بمراجعة الاتفاقات والمعاهدات بما يتواءم مع المصلحة المصرية» اهـ.

وهذا هو نفس ما قاله محمد عاكف لوكالة «اسوشيتدبرس» عقب انتخابات ٢٠٠٥م، إلا أنه أنكر الاعتراف بإسرائيل: «الإخوان لن يسعوا! لتغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل، وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها» **www.egyptwindow.net/** نفس الجمل ونفس المعاني ونفس الأهداف.. مع اختلاف في كلمة الاعتراف.

فهل حدث تغير في موقف الإخوان بالنسبة لإسرائيل؟ هل الطريق لحكم مصر يبدأ بإرضاء إسرائيل والماسونية العالمية أولًا؟.

والجواب: من المعلوم أن الإخوان إذا أصدروا تصريحًا في الصباح، فإنهم يؤولونه في المساء، ويعتذرون عنه في منتصف الليل، ويكذبونه في الفجر، يلحظ

ذلك المهتمون بالشأن الإخوانى، على أثر تصريح العريان بالاعتراف بإسرائيل تعالت صيحات الاستنكار على هذا الانحدار الإخوانى. ماذا في جعبة الإخوان؟ هل سيعتذرون أم سينكرون؟ خرج العريان وكذب الخبر الذي أراد أن تطلع عليه الدول الغربية فقط، فإذا هو ينكشف في الدول العربية، فقال في إسلام أون لاين: «ترى الجماعة أن وجود إسرائيل باطل، وأن ما بُني على باطل فهو باطل، ولا يمكن الاعتراف بها» اهـ، هذا هو موقف الجماعة.. فما موقف الحزب الإخوانى؟ بين العريان أنَّ الحزب الإخواني إذا وصل إلى الحكم فإنه سيتعامل مع إسرائيل بواقعية، أما الجماعة فلها موقف آخر، ولن نجتهد كثيرًا في تفسير مفهوم الواقعية، فقد بين الأستاذ عاكف بأنهم: «لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها»، وله تصريح ضد ذلك إذا لزم الأمر، قال فيه: «الإخوان مع المقاومة في كل مكان، ومع عودة كل الحقوق السليبة لكل الأمة العربية والإسلامية» اهـ، وأكد العريان ما قاله المرشد وذلك في تصريح لإسلام أون لاين في ١٦/ ١٠ / ٢٠٠٧م قال فيه: «حزب الإخوان سيتعامل مع إسرائيل عبر واقعية سياسية تتسق مع الواقع القائم، الذي يرى أن إسرائيل دولة قائمة، ولها وجود على أرض الواقع.. إلخ، وأكد قصده من الواقعية بقوله: «الحزب السياسي دائمًا يكون وضعه مختلفًا، ويتعامل مع المعطيات القائمة بواقعية، بل إنه عادة ما يختلف موقف الحزب نفسه، وهو في المعارضة أو خارج السلطة عن موقفه وهو في السلطة، باعتبار أن السياسة هي فن التعامل مع الواقع؛ لذلك فلا يوجد هناك تباين، كما أننا نجد اليوم حكومات عربية لا تعترف بإسرائيل، ومع ذلك تسمح لها بفتح مكاتب تجارية على أراضيها، وترتبط معها بعلاقات ومصالح تجارية» اهـ.

ويضاف إلى تلك الواقعية احترام الحزب الإخواني لكافة الاتفاقات الموقعة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩م، فقال: «لن تتغير الصيغة الحالية في الصورة النهائية لبرنامج حزب الإخوان فيما يتعلق بمعاهدات كامب ديفيد، حيث يحترم الحزب في حال وصوله إلى الحكم في أي وقت الاتفاقيات الدولية بما فيها كامب ديفيد، مثل كافة الاتفاقيات الدولية الأخرى التي وقعتها مصر مع الأطراف الدولية؛ لأنه ليس من المعقول أن يتراجع كل حزب يصل إلى السلطة عن الاتفاقيات التي وقعتها الحكومات السابقة» (إسلام أون لاين - ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٧م).

هذا هو ما قاله العريان: الحزب الإخواني سيتعامل بواقعية مع إسرائيل، وأن السياسة تقتضي ذلك. وهذا معناه أن المفهوم الفكري لجماعة الإخوان لم يحسب حسابًا لتلك الواقعية عندما عرض على شباب الجماعة والمجتمع باختلاف طوائفه، وهذا بالضرورة خطأ في التصور الإخوانى، كذلك فإن الإخوان لم يحسبوا حسابًا لتلك الواقعية عند تخوينهم واعتراضهم على الدول العربية والإسلامية التي أبرمت اتفاقية سلام مع إسرائيل، مع كونهم يعلمون أن تلك الدول لها من المبررات التي تدفعها إلى التنازل عن بعض الحقوق المشروعة ولو لفترة من الزمن.. من باب السياسة، هذا هو ما تمخضت عنه جعبة الحزب الإخوانى، الذي يتهم الحكومات الإسلامية بالخيانة في التعامل مع إسرائيل، وهو مع ذلك سيسلك نفس النهج الذي تتعامل به مع إسرائيل عند الوصول إلى الحكم، وعلى حد قوله بواقعية. على غرار واقعية قطر التي فتحت مكاتب تجارية لإسرائيل على أراضيها على الرغم من عدم اعترافها بها، وعلى إسرائيل ألا تخاف من صعود الإخوان إلى الحكم؛ فصدور الإخوان واسعة قبل اليهود إلى أقصى

درجة، ودع القطيعة التي أنفق من أجلها الإخوان ملايين الدولارات، واهجر الفتاوى التي جرم بها القرضاوي من يشتري البضائع الإسرائيلية، فالمعاهدات التي وقعها الرئيس السادات مع اليهود، واتهم بسببها بالخيانة - ستحترم وسيحافظ عليها، وسيتم فتح أبواب التعامل التجارى.

وليس من شأن كل حزب إذا وصل إلى الحكم أن ينقض الاتفاقيات التي وقعتها الحكومات السابقة، فهذا نوع من الجنون.. كان من الواجب على العريان أن ينصح حكومة حماس بذلك.. خاصة عند إنكارها الاتفاقيات الموقعة من قبل - أوسلو - بين منظمة فتح وبين اليهود! وقالوا: نحن غير ملتزمين بذلك. ومن المعلوم أنهم دخلوا الانتخابات على أساسها!

أما اعتراف الجماعة بإسرائيل، فأعتقد أن موقف الإخوان في ذلك ليس موقفًا استراتيجيًّا عقائديًّا كما هو متوقع، وكما هو مشاع بين أوساط السذج من شباب الجماعة، وإنما هو موقف تكتيكي متقارب تمامًا مع موقف الأستاذ عبد الحميد الغزالى، الذي قال فيه: «مسألة الاعتراف سابقة لأوانها بالمرة»، فقد قال العريان ردًّا على سؤال: حول ما إذا كانت الجماعة مستعدة للاعتراف بإسرائيل في حال إذا تم إبرام تسوية نهائية إسرائيلية فلسطينية: «في حال إقامة دولة فلسطينية وإعادتها للقدس وعودة اللاجئين وتفكيك المستوطنات وهذه مطالب القوى الفلسطينية فسيكون لكل حادث حديث؛ لأن ذلك غير ممكن أن يحدث على أرض الواقع في الوقت الراهن، وإلى أن يتم ذلك لن يكونَ هناك اعتراف من الجماعة بوجود إسرائيل» (إسلام أون لاين - ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٧م) وهذا التصريح يؤكد مصداقية الجريدة التي نقلت خبر اعترافه بإسرائيل حال وصولهم إلى الحكم - معاذ الله - كما

أكد التصريح أن العريان يتلاعب بعقول الناس؛ وذلك لأنه يؤمن في الحقيقة بفكرة الاعتراف؛ ولذلك فهو لا يجد غضاضة في مخاطبة الغرب بذلك لينال القبول.

❋ ❋ ❋

قلق المفكرين الإسلاميين

ولأجل ما رآه بعض المفكرين الإسلاميين من فرح الإخوان بالضغوط الأمريكية على مصر واستعدادهم لتقديم تنازلات فكرية تهدف إلى تسهيل ظهورهم على الساحة السياسية حذروهم من الانزلاق في هذا المعترك. قال الأستاذ محمد مور رئيس تحرير مجلة: «المختار المصرية»:

«ولعل أكبر وأهم العوامل التي ساهمت في صعود الإسلاميين في كل انتخابات تقريبًا أجريت بعد إعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب - هو الشعور الشعبي - في إيران وتركيا والبحرين والآن مصر وغدًا جميع الدول - بأن الولايات المتحدة تشن حربًا على الإسلام ذاته.. إلخ هذا العامل الأهم ينبغي على «الإخوان» احترامه بجدية، وليس بمجرد تصريحات، وأن يكفوا تمامًا عن مغازلة أمريكا أو ادعاء إمكانية التفاهم معها بدعوى المصلحة) (إسلام أون لاين. ٧/ ١٢/ ٢٠٠٥م).

❋ ❋ ❋

الإخوان والأدباء

منذ ما يقرب من خمسين عامًا كتب الأزهر تقريرًا حول رواية: «أولاد حارتنا» التي ألفها نجيب محفوظ، وأصدر توصية للرئيس عبد الناصر بمصادرتها. وقد

استجاب لها، وقد ذكر الغزالي ذلك في مناقبه، فقال: «لقد ألف الأديب الكبير نجيب محفوظ روايته: «أولاد حارتنا»، وكان ذلك من خمس وثلاثين سنة، والرواية فيها إزراء على الإلهية والنبوات ومواريث الوحي كلها، وقد طلب الأزهر مصادرتها، واستجاب جمال عبد الناصر للطلب» (الحق المر. عدد (١٤) - ص: ٢٢).

فماذا يفعل الإخوان الآن وهم يعدون أنفسهم للحكم؟ والتكتيك في مثل هذه الظروف قائم على مسايرة الواقع، وتجنب الصدام مع أقطاب المجتمع، اكتفاءً بالصدام مع الدولة، ولا بد من طمأنة أصحاب الفكر والفن والثقافة - ولو تصادم ذلك مع الإسلام أو على الأقل مع مواقف إخوانية سابقة - لأجل أن تكف ألسنتهم عن نقد الإخوان أو التعرض لتاريخهم القديم، وبناءً على ذلك سعى عبد المنعم أبو الفتوح إلى المنتديات والصالونات، ومعه حقيبة التنازلات والرخص التي يقدمها الإخوان لكافة الخصوم من أجل الوصول السياسي، وعند زيارته للروائي نجيب محفوظ قام يضرب بلسانه كل معارض لفكره ولفكر الإخوان... وفتح المجال لنشر الأعمال الفكرية، حتى ولو كانت تدعو إلى الكفر والإلحاد، قال أبو الفتوح: «لم يكن لدينا أي موقف ضد الإبداع حتى لو سار في طريق الزندقة والإلحاد؛ لأن الفكر لا يقاوم إلا بفكر، ونحن ضد صدور قرارات إدارية من أي جهة بما فيها الأزهر بمصادرة قصص وروايات أو أي إبداع فني، وعلى من لا يعجبه أي إبداع فني من أي جهة أن يكتب ضده أو يؤلف ضده أو يعمل فيلمًا ضده» (إسلام أون لاين ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٥م).

وعلى الرغم من أن الروائي الأديب نجيب محفوظ رفض نشر روايته: «أولاد حارتنا» إلا بعد موافقة الأزهر؛ لأنه يعلم أنها الهيئة المنوط بها النظر في مثل هذه

الأمور، حتى ولو رفع الأمر للقضاء، فإن القضاء بدوره لن يحكم في شيء إلا بعد النظر في رأي الأزهر، إلا أن عبد المنعم أبو الفتوح داهن نجيب محفوظ، ودعا إلى نشر الرواية، دون انتظار لرأي الأزهر، مع ما فيها من إشارات تتنزل بالضرورة على الأنبياء والرسل، وما فيها من طعن في الربوبية والإلهية والتاريخ النبوى، وطعن في الحضارة الإسلامية ورفع للحضارة الغربية كما جاء في التقرير.

وحول سؤال من يوسف القعيد جاء فيه:

هل توافق على نشر رواية: «أولاد حارتنا»؟!

قال أبو الفتوح: «بالتأكيد يجب أن تنشر، بل أرفض موقف الأستاذ نجيب محفوظ الذي يصر على موافقة الأزهر قبل النشر، أنا أرى أنه ليس هناك داع للحصول على هذه الموافقة، بل يجب أن ننتقدها. وأوضح أبو الفتوح أنه قرأ أولاد حارتنا منذ فترة طويلة، وأضاف: التحدي الحقيقي لنا جميعًا هو الفقر وليس الإبداع!» (إسلام أون لاين - ٢١/ ١٢/ ٢٠٠٥م) (العربي - ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥م).

هذا هو ما قاله أبو الفتوح في وسط المفكرين والأدباء.. أدى دوره المنوط به، وطمأن المفكرين، كما طمأنهم من قبل سيد قطب في كتابه: (معركة الإسلام والرأسمالية - ص: ٨٤).

ولكنه عندما خرج عن النطاق العملى الذي أداه في محيط الأدباء والمفكرين انقلب على نفسه وعلى دوره السابق، فبعد أن كان يقول: يجب نشر رواية: «أولاد حارتنا»، قال: إنه لا يطالب بنشرها، وذلك في جريدة الخميس ٥/ ١/ ٢٠٠٦م: «أما عن موضوع أولاد حارتنا فأنا أختلف مع الرواية، وأكدت ذلك لمحفوظ أثناء زيارته، إلا أنه ليس معنى ذلك أني أطالب بنشرها» اهـ.

وأجاب عن اعتراض سابق للإخوان على نشر تلك الرواية بأنه متعلق بنشرها وطبعها على نفقة دافعي الضرائب، كما أصل في اعتراض جمال حشمت على رواية: «أعشاب البحر»، وليس على مضمون الرواية من الناحية الدينية.

❋ ❋ ❋

الإخوان واليسار الشيوعي

ولم يقف أمر العمالة الإخوانية عند العلمانيين، فالإخوان الآن يتحالفون مع الحركات الشيوعية في القضايا السياسية، وينبسطون معهم في القول على قواسم مشتركة، تنتهي إلى قلب أنظمة الحكم في العالم العربي والإسلامي.

وقد أكد عبد المنعم أبو الفتوح أن لا دخل للإخوان بمواجهة قوى اليسار الشيوعى في الجامعات المصرية في أوائل السبعينيات، ولا يرجع إليهم السبب في انحساره، ودعا إخوانه من اليساريين والشيوعيين إلى دراسة أسباب ذلك، وبين أن من مصلحة الأمة وجود تيارات شيوعية متصارعة في المشهد السياسي، وقال في حواره مع الأستاذ ماهر حسن الصحفي بجريدة العربي في ١٥ إبريل ٢٠٠٧م: «تيار اليسار شهد انحسارًا ملفتًا بشكل عام ليس في مصر فقط وإنما في كل الدنيا، ظاهرة أطالب الإخوة اليساريين بدراستها؛ لأننا لم نكن أداة ولا طرفًا فيها، وأقول لك: إنه من مصلحتي ومصلحة المنافسة الشريفة أن يكون هناك تمثيل لجميع التيارات، فهذا يقويني أيضًا، وينعش الحراك السياسى، وغياب هذه التيارات حتى لو كنت أنا بمفردى في المشهد يمثل نقيصة سياسية وعوارًا في الممارسة السياسية» اهـ.

وقد أكد عصام العريان نفس المنطق، مظهرًا توافق النظرة الأيدلوجية في

الفكر الإخواني في التعامل مع الشيوعيين وغيرهم، قائلًا: «من واجب الإخوان المحافظة على وجود تيارات متنوعة في المجتمع؛ لأنه ضمان له، فالمجتمع إذا تكلم بلغة واحدة، واجتمع على رأي واحد فهذه مشكلة كبيرة؛ لأنه لابد أن تتنوع الآراء وتتعدد الاتجاهات» (الأسبوع المصرية - ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٥م).

❊ ❊ ❊

الإخوان والشيعة

أما عمالة الإخوان للشيعة فحدث ولا حرج، فقد وقع في الزمن الماضي عدة أحداث تدل على علاقة وطيدة وسرية بين حسن البنا ورموز الشيعة أمثال نواب صفوي وتقي الدين القمي والقاشاني وغيرهم، وكثير ما يتكلم الإخوان عن وحدة العقائد والمذاهب، وهذا مما يهون الالتقاء في المسائل السياسية والأهداف العامة.

قال محمد عاكف في جريدة الوفد: «الإخوان يتفقون مع الطوائفِ الرئيسة للشيعة: «الجعفرية والاثنا عشرية والزيدية» في العقيدة، أما الاختلاف فلا يكون إلا في الفروع فقط» (إخوان أون لاين نت - ٩/٨/٢٠٠٦).

وقال: «فالمذاهب السنية والمذاهب الشيعية كلها مذاهب معتبرة تقود إلى الجنة - إن شاء الله - حينما يحترمها الإنسان» (الجزيرة. نت - ٣/ ١٠/ ٢٠٠٤م).

والظاهر أن عاكف لا يدري شيئًا عن معتقدات الشيعة، فطوائف الشيعة - عياذًا بالله تعالى - تدعو إلى النار، ولا تدعو إلى الجنة.

ولا عجب من توجهات الإخوان تجاه الشيعة ومؤامراتهم في العالم الإسلامي؛ فالإخوان كانوا جزءًا من هذه المؤامرات في كل البلدان، ففي أفغانستان دخلوا كابل

بقيادة عبد رب الرسول سياف تحت ستار النيران الأمريكية، بالتعاون مع قوات التحالف الشمالي الشيعي المدرب في إيران، واشتركوا مع الشيعة في أول مجلس حكم انتقالى في العراق تحت قيادة بول بريمر الأمريكى.

وإذا كان تصريح محمد حبيب في ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٨ م قد قلل من خطر المد الشيعى في العالم الإسلامي فإن المرشد العام للإخوان في مصر محمد عاكف قد صرح لجريدة النهار الكويتية في ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨م أنه لا يمانع من انتشار التشيع في العالم الإسلامي قائلًا: «وفيما يخص المد الشيعي أرى أنه لا مانع في ذلك، فعندنا ٥٦ دولة في منظمة المؤتمر الإسلامي سنية، فلماذا التخوف من إيران وهي الدولة الوحيدة في العالم الشيعية، أليس حسن نصر الله شيعيًّا، ألم يؤيده الناس في حربه ضد إسرائيل في صيف ٢٠٠٦» (النهار الكويتية - ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨م).

وهذا التصريح يضع مرشد الإخوان بجوار الخائن نصير الطوسي وصاحبه المؤيد العلقمي الرافضى، الذي راسل جنكيزخان ملك التتار، وفتح له المجال لاحتلال العراق وتقتيل أهلها والقضاء على الخلافة العباسية، وهذا يفتح الباب للفرس المجوس ليقضوا على العالم العربي والإسلامي، عامله الله بما يستحق.

❊ ❊ ❊

الإخوان وأمن الدولة

كثيرًا ما يتهم الإخوان من يخالفهم في الرأي من علماء الدين بأنهم عملاء لأمن الدولة، قال العلامة أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: (المورد العذب الزلال - ص / ٢٢٩): «إنهم يزهدون في علماء السنة، وينبذونهم بالألقاب،

فيصفون بعضهم بأنه عميل، وتارة يقولون عنهم: إنهم علماء الورق وعلماء الحيض والنفاس، فينفرون الشباب عنهم، ويزهدون فيهم وفي حلقاتهم، فلا ينظرون إليهم إلا بعين الاحتقار، وينشأ عن ذلك حاجز وحجاب يفصل بين هؤلاء وهؤلاء، أي بين العلماء والطلاب» اهـ، وقال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ: «إنهم يحذرون ممن ينقدهم، فإذا رأوا واحدًا من الناس يعرف منهجهم وطريقتهم، وبدأ في نقدهم وفي تحذير الشباب من الانخراط في الحزبية البغيضة، أخذوا يحذرون منه بطرق شتى، تارة باتهامه، وتارة بالكذب عليه، وتارة بقذفه في أمور هو منها براء، ويعلمون أن ذلك كذب، حتى يصدوا الناس عن اتباعه» (تسجيلات منهاج السنة بالرياض)، وها نحن قد بينا عمالتهم لكافة الطوائف وأصحاب العقائد، وها هي عمالتهم للأمن في الزمن الماضي، فهم يظهرون للناس أنهم ضدهم، غير أنهم لا يستطيعون القيام بأي عمل إلا بالتنسيق معهم، فضلًا عن كونهم عيون كبيرة ضد أصحاب التيارات الإسلامية الأخرى، بل ضد بعضهم بعضًا، ليس من أجل البر والتقوى، كما يشيع الإخوان للسذج من العامة والجهلة في الجماعة، فمصلحة الإخوان مقدمة على مصلحة الأمة والمسلمين، كما شهد كثير من أتباعهم، فالإخوان كانوا مطية للحكومات في زمن الملكية وفي زمن الجمهورية، يلعبون بهم كيفما شاءوا، وهم على كل حال لا يجرءون على تجاوز خط معين، فهم يخضعون للنظام، ومن وزنهم بأكبر من ذلك فقد أبعد النجعة، وأطال المسافة، فالإخوان لهم خبرة كبيرة في التعاملات الأمنية، التي يكفرون بها مخالفيهم.

كما أن لهم خبرة واسعة في التجسس على الأفراد والهيئات كما كان في التنظيم السري القديم فقد قال محمود عساف: «كنا نجمع معلومات عن جميع الزعماء

والمشاهير من رجال السياسة والفكر والأدب والفن، سواء كانوا أعداء للإخوان أو أنصارهم، وهذه المعلومات كانت ترد لى؛ لأحتفظَ بها في أرشيف، وأعود إليها كلما طلب أحد هؤلاء مقابلة الأستاذ الإمام، وأذكر الإمام بالمعلومات حتى تكون في خلفيته» (مع الإمام - ص: ١٥٢).

أما عمالتهم للأمن ضد أصحاب الاتجاهات والشباب في الجامعة. فقد أكد ذلك التلمسانى في تعامله مع وزير الداخلية نبوي إسماعيل، وقال: «وكنت على شبه اتصال دائم برجال الأمن في وزارة الداخلية، أقدم كل ما يسهم في ترسيخ الأمن في مصر» (أيام مع السادات - ط: ١٩٨٤م).

وفي صعيد مصر في أوائل الثمانينات، كان الإخوان عيونًا على الجماعات الإسلامية المخالفة لهم، قال المأمون الهضيبي: «لا بد أن نتعامل مع الواقع الموجود والقائم، خاصة أن وجود الجماعة يمثل مصلحة للحكومة؛ لأنها تلجأ إلينا كثيرًا لضبط التيار الديني المتطرف» (الشرق الأوسط - ١١/ ٥/ ١٩٨٧م).

وقد شهد محمود عبد الحليم على جمع من الإخوان بالعمالة لضباط الثورة، فقال: «الجديد في الأمر أنني اكتشفت أن القوم - بكل الوسائل التي أتيحت لهم من خزائن الدولة، وولاء بعض - إخوان لهم» (أحداث التاريخ - ٣/ ٣٩٠).

وكان يوسف القرضاوي من كتبة التقارير في زمن عبد الناصر، (سيرة ومسيرة - ٢ / ٤٧٠، تحت عنوان: «مع المقدم أحمد راسخ».

وأخيرًا فهذا د: سيد المليجي يتهم أحد الإخوان بالعمالة قائلًا: «وأحد إخواننا هؤلاء - غفر الله له - جمع معلومات مكثفة عن الإخوان في مصر، وقدمها هدية سهلة لمباحث أمن الدولة فيما عرف باسم قضية سلسبيل سابقًا»

(إسلام أون لاين - ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٧م).

وهذه ما تسمى بجبهة علماء الأزهر الإخوانية تعتب على مكتب الإرشاد اتهام جمع من أبناء الجماعة بالجهالة والعمالة، فتقول: «جاء مكتب الإرشاد أخيرًا ليعزل عبد المنعم أبو الفتوح عن الصدارة، ويرمي الأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد بالجهالة، ثم يغدر بالثلة المتوثبة من أبناء الدعوة: أبو العلا، وعصام، ومحمد عبد اللطيف، يرمونهم بالمروق والعمالة إرضاء لنزوات الأستاذ المستشار مأمون الهضيبي» اهـ.

وقد بدأ تعامل الإخوان الاستخباراتي مع القلم السياسي في زمن الملك فاروق بوصاية من حسن البنا (انظر مع الإمام الشهيد - ص: ٣١).

وقد كان حسن البنا ينفذ التعليمات الأمنية والسياسية بغير اعتراض ولا تلكؤ، يقول التلمساني عن موقف حسن البنا من الحلفاء: «لما قامت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، والإخوان على قوتهم، كان من الممكن أن يسببوا الكثير من المتاعب للحلفاء، لكن الإمام حسن البنا أصدر أوامره إلى كل الشعب والمناطق أن تلتزم جانب الهدوء، وأن تتفرغ لنشر الدعوة، وأن تعطيها كل اهتمامها وجهدها بعيدًا عن الاستثارة، حتى انتصر الحلفاء» (ذكريات لا مذكرات - ٢٥٣).

ولا يخفى تعاملات الهضيبي مع القصر الملكي بعد معارك القناة، وأمره الإخوان أن يلتزموا الهدوء، وانظر (من معالم الحق للغزالي - ص: ٢٢٢، ٢٣٣).

وقد كان آخر الاعترافات بتعاملات الإخوان مع الحكومة والأمن أثناء مظاهرات ٢٥ يناير ٢٠١١م - ما صرح به الأستاذ هيثم أبو خليل لموقع المصريون بعد أن تقدم باستقالته: «اعتراضًا على عدم اتخاذ إجراء «صارم وحاسم» ضد أعضاء من مكتب الإرشاد عقدوا اجتماعًا سريًّا مع اللواء عمر سليمان نائب رئيس

الجمهورية السابق خلال أحداث ثورة ٢٥ يناير، وقال: إن اللقاء الذي عقده سليمان مع أعضاء بمكتب الإرشاد هو غير اللقاء المعلن الذي حضره الكثير من القوى الوطنية، وأشار إلى أنه جرى خلاله التفاوض من أجل إنهاء مشاركة «الإخوان» في الثورة مقابل التصريح للجماعة بإنشاء حزب وجمعية. وأضاف أبو خليل: «كنت أتمنى بدلًا من أن يثور مجلس الشوري العام عليهم فور علمه – أن يقيل مكتب الإرشاد بأكمله والذي أقسم أفراده على عدم البوح بهذه المصيبة».

كما عزا استقالته لعدم قيام صبحي صالح النائب الإخواني بنفي أو تكذيب الاتهام الذي ذكره الدكتور فتحي سرور في أحد حواراته الصحفية، بأنه ذهب إليه قبل أن يترشح ضده ممثلًا لـ «الإخوان» والمستقلين على رئاسة المجلس ليستأذن منه، ويتعهد له بإعطاء صوته له، وهو ما اعتبره بمثابة «ضربة قاصمة للشفافية والمنافسة وأمانة تمثيل الجماهير».

واتهم أبو خليل قيادات «الإخوان» بالتفاوض مع جهاز أمن الدولة في انتخابات ٢٠٠٥م على نسبة معقولة من التزوير تتيح لأفرادهم النجاح، في حين قال: إنَّ نائبَ المرشدِ يستخف بعقولنا، ويقول: «إنها تفاهمات لجئوا إليها ليتيحوا مساحة أكبر للقوي السياسية بالتحرك» (موقع المصريون. ٠١ – ٠٤ – ٢٠١١م).

❁ ❁ ❁

الإخوان وأحزاب المعارضة

يؤمن مفكرو الإخوان بفكرة التحالف مع شتى الأحزاب، ولو كانت متأثرة بالأفكار الشيوعية والعلمانية، ولو كان ثمن ذلك ترك الخلافات المتعلقة بمجال

الدعوة والاعتقاد دون بلاغ، كل ذلك من أجل الوصول إلى سدة الحكم في مصر، ولأجل ذلك تجد الإخوان في صف المعارضة على الدوام في جميع الدول العربية والإسلامية، هذا هو محض عمل الإخوان في زمن الرئيس مبارك، لا علاقة لهم بالدين من قريب أو بعيد، القضية سياسية بحتة. قال د: محمد حبيب: «ولا شك أن الخطوة الأولى التي نهدف إليها هي محاولة تجميع الأحزاب والقوى السياسية والوطنية على آلية واضحة ومحددة من حيث تأكيد القواسم المشتركة بينها، وطرح الخلافات جانبًا» (آفاق عربيه - ١٩ أغسطس ٢٠٠٤م)، وعلى هذا النسق سعى الإخوان إلى التحالف مع الكنيسة الأرثوذكسية بعروض كثيرة، كان آخرها أن عرض الدكتور العريان على الكنيسة اشتراك نحو ألف نصراني جنبًا إلى جنب مع الإخوان في انتخابات المحليات ٢٠٠٦م - ٢٠٠٨م، قائلًا: «إنه يتحتم على الإخوة الأقباط أن يشاركوا بإيجابية في العمل السياسي، ويترشحوا في الانتخابات، ويبتعدوا عن التقوقع داخل الكنيسة» (جريدة الميدان - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م).

وقال مثل ذلك في (آفاق عربية عدد (٧٤١) - ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م)، وقام الإخوان جراء ذلك بتدعيم بعض المرشحين الأقباط في الانتخابات البرلمانية، وأفرغوا لهم الدوائر، كما نقل الأستاذ قطب العربي مراسل (إسلام أون لاين نت). في ٢٦ أغسطس ٢٠٠٠م عن المستشار المأمون الهضيبي، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فلا مانع من اشتراك اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والروافض في الحزب الإخوانى، فالحزب كما قال العريان: «لكل أبناء الشعب مسلمين ومسيحيين وحتى يهود أفراد» (قناة الجزيرة - ٥/ ٤/ ٢٠٠٥م)، ولا علاقة له بالدعوة، فـ: «الدعوة محلها الجماعة، ولكن مهمة الحزب هي النشاط السياسى»

(لقاء مع قناة دريم ١/ ٢٠٠٧م - نافذة مصر. نت)، وعندما شرع الإخوان في عرض برنامجهم الحزبي أكدوا أنه لا علاقة له بأي دين من الأديان، ونادى جمال حشمت - أحد كوادر الإخوان - بتغيير لغة الخطاب فيه، وإخراجه من هيمنة النص الديني! قائلًا: «كل ما نرجوه في برنامج الحزب أن يراعى عدة أمور.. أن يصاغ بلغة سياسية بعيدًا عن الصيغات التراثية الدينية - رغم مرجعيته الإسلامية - كي يفهمها الجميع، ولكي يتجمعَ عليها كلُّ من يقتنع بها بغض النظر عن مرجعيته أو ديانته هو! وهي مهمة لا شك في صعوبتها» (نافذة مصر. نت - ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٧م).

والإخوان يقصدون من وراء هذا المسلك استخدام النصاري وسيلة ضغط على الدولة المصرية، وقد بدا ذلك واضحًا في تصريحات محمد عبد القدوس، حيث قال: «هناك ثلاث فئات تحديدًا تعارض أي تقارب أو حوار بين كبرى الجماعات الإسلامية - الإخوان - وأقباط مصر.. وذكر منها: النظام المستبد الذي يحكمنا» (آفاق عربية - ٥ يناير ٢٠٠٦م)، وقد كان الإخوان في الزمن الماضي يرفضون فكر التحالف، قال حسن البنا: «إن الإخوان يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب» (الرسائل ص: ٢٠٢)، وعندما وقف التلمساني أمام الرئيس السادات نقض فكر التحالف مع الشيوعيين، قائلًا:

«زعماء الحزب الشيوعي يدعونني لحضور ندوات عندهم، فكنت أرفض في كل مرة؛ لأني أعلم ما بين الإسلام والشيوعية من عداء، وأن الاثنين لا يمكن أن يجتمعا في ركب واحد» (موسوعة الإخوان. نت).

وعلى الرغم من زعم الإخوان أنهم سياسيون إلا أنهم وراء الستائر على الدوام، يلعب بهم لمصلحة الغير، ثم يعودون بخفي حنين لا ناقة ولا جمل، فالملك

فاروق يضرب بهم حزب الوفد، والوفد يتحالف معهم لضرب السعديين والعكس، والثورة تستخدمهم للهتافات، والكنيسة تستخدمهم لرفع مرشحيها في الانتخابات، وأمريكا تستخدمهم لتحقيق أهدافها الاستعمارية ولحماية أمن إسرائيل لأكبر زمن ممكن - خاصة أنهم على استعداد لعمل هدنة مع إسرائيل لمدة خمسين عامًا كاملة، كما ظهر في عروض حركة حماس إبان الانفصال عن حركة فتح - فليسوا إلا مطية توجه شاءوا أم أبوا، وفي مظاهرات ٢٥ يناير الأخيرة كانوا في الصفوف الخلفية، ومن أعطاهم أكثر من ذلك فقد أطال المسافة وأبعد النجعة.

ولم يكن هذا الاتهام الموجه إلى الإخوان - أنهم مطية، وأنهم مجرد وسيلة تركبها الأحزاب للضغط السياسي - آتيًا من فراغ، فهم الذين يقولون ذلك عن أنفسهم، وهذا هو الذي يظهرونه للأحزاب القديمة والمعاصرة، وتلك هي شهادتهم على ذلك: يقول عباس السيسى في (في قافلة الإخوان - ص: ٢٤٥): «في الثاني عشر من يناير ١٩٥٠م اكتسح حزب الوفد الانتخابات بأغلبية ساحقة، وكان الإخوان هم أكبر عون لحزب الوفد في هذه المعركة ضد الحزب السعدى، الذي قتل مرشدهم وعذب إخوانهم» اهـ، وفي الوقت المعاصر عندما تراجعت أحزاب المعارضة عن التحالف معهم ضد الحزب الحاكم في وقت من الأوقات، قال الإخوان: «نحن أكثر عددًا وتنظيمًا. فلماذا لا تستفيدون منا؟»! هذا ما أكدته جريدة آفاق عربية في عددها الصادر في ١٠ذي الحجة ١٤٢٥هـ (٦٩٢) قال د: محمد حبيب: «إنهم باستبعادهم الإخوان يفقدون الرصيد والزخم الشعبي للإخوان الذي يلعب دورًا مهمًّا في الضغط السياسي على النظام الحاكم» اهـ.



العصيان المدني في الفكر الإخواني

لا يزال الإخوان يتكلمون عن الإسلام وأعينهم على الحكم، فالإسلام عندهم وسيلة، والمجتمعات الإسلامية مركب، هذه حقيقة لايمكن إنكارها، وتلك أعظم غايات التربية في الفكر الإخواني، يؤمن بها وينشأ عليها الفرد الإخواني، ويدعو إليها وينشرها في المجتمع منذ أن ينتسب إلى الجماعة إلى أن يموت، والأدلة على رغبتهم في الحكم لا تحتاج إلى بيان، والحجة عندهم الشريعة والدين وهم أبعد الناس عن القيام على ذلك: فقد سعوا في الانقلاب على الملك فاروق ملك مصر، وقتلوا الإمام يحيى بن حميد الدين إمام اليمن من أجل الحكم، وشاركوا في الانقلاب الذي تم في السودان بقيادة الترابي، وشاركوا الخميني ثورته الرافضية في إيران من أجل الحكم، قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد (حفظه الله): «أما أبرز أهداف هذه الفرقة فهو الوصول إلى سُدة الحكم في البلاد الإسلامية»، وقال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (حفظه الله): «الغاية من دعوتهم هو الوصول إلى الدولة، أما أن ينجي الناس من عذاب الله جَلَّ وَعَلَا وأن تبعث لهم الرحمة بهدايتهم - فليس في ذلك عندهم كثير أمر» اهـ، وقد أكد قادة الإخوان سعيهم من أجل الحكم، قال محمد عاكف: «الإخوان تنظيم ديمقراطي، وله شعبية كبرى فلماذا لا يصل إلى السلطة، طالما أنه سيصل عبر صناديق الانتخابات ومن خلال الناس، وليس على ظهور الدبابات» (إسلام أون لاين - نت ١٧/ ٤/ ٢٠٠٥م).

ولا يخفي الإخوان حرصهم على السلطة، غير أنهم يسلكون سبلًا مرحلية،

يقصدون بها تهيئة الشعب لذلك، فهم يبدءون رويدًا رويدًا بانتخابات اتحاد الطلاب ثم النقابات المهنية ثم مجالس الشعب والشورى ثم رئاسة الوزارة والوزارات، ثم عندما يقبلهم الشعب قبولًا كليًّا يتقدمون للرئاسة، والإخوان لا يجهزون المجتمع عقائديًّا ولا دينيًّا، ولا من ينتسب إليهم على نفس الوجهة، إنما يلعبون على النواحي السياسية، ويلتفون حول القوانين الوضعية، ويتسترون بالديمقراطية، لا علاقة لهم بالدين ولا بالدعوة.

اللهم إلا أنهم يستخدمون الشعارات الإسلامية التي تمثل بالنسبة لهم «حصان طروادة» من أجل ذلك، بزعم أنهم فصيل سياسي له الحق في ذلك، ولا مانع من استغلال قاعدة عمياء، لا تفهم اللعبة السياسية، غير ظنها أن كل ما تفعله الجماعة إنما يراد به نصر الإسلام وإقامة الدولة، ومن المعلوم أن الإخوان عند المحك يقولون: نحن لا نريد الحكم في تلك المرحلة إنما نريد الشعب، يريدون بذلك طمأنة المعارضين لهم؛ حتى يتسنى لهم السيطرة على جميع الهيئات والمؤسسات.

ولا شك أن الاعتماد على العصيان المدنى في إقامة دولة لا يحقق شيئًا من أحلام الفضلاء فضلًا عن غيرهم؛ لأنه لو فرض أن الشعب على أهبة الاستعداد للقيام بمثل هذا الأمر لكان ذلك دليلًا على تحقق نوع من التغيير المتكامل في العقول والنفوس والمشاعر، ولو كان هذا التغيير تغييرًا شرعيًّا لما كان المجتمع في حاجة إلى ثورة ولا إلى عصيان؛ لأنه يستطيع بهذا التغير المتكامل أن يحقق الإصلاح في نفسه، دون الحاجة إلى العصيان أو الثورة التي يريدها الإخوان، غير أنَّ أصحابَ تلك الدعوة من الإخوانيين والقانونيين والسياسيين باختلاف توجهاتهم السياسية - يريدون فقط التخلص من خصومهم السياسيين والانتقام

منهم، بشرط أن يسدد الشعب المصري الفاتورة بمفرده، وهم يعلمون أن الدعوة إلى العصيان المدني لا يحقق للشعب ما يريد، بل لا يحقق لهم أنفسهم ما يريدون، إنما هي رغبة الانتقام، والعاقبة مؤلمة والفتنة ستكون شديدة؛ لأنه اجتماع على غير إمام، والتفاف على غير راية، ولا شك أن قيام جميع الأطياف السياسية بتلك المبادرة - العصيان المدني - سيضعها في إشكالية متعلقة بالهدف من جهة، ومتعلقة بموقع الصدارة والتعبير عن الجموع من جهة أخرى. أي أيدلوجية ستحسم هذا السباق؟ فالأيدلوجيات متنوعة متباينة.. من الذي سيعبر عن تلك الأطياف. هل ستتكلم جميع الأطياف بلسان واحد؟ أم ستختار من بينها من يتكلم بلسانها جميعًا؟

لا شك أن تجارب كثيرة مطروحة في الواقع - تبين استحالة الاتفاق على هدف واحد يجمع أقصى اليمين مع أقصي اليسار، لا في السياسية ولا في الدين.

فدمج الأطياف الدينية في أفغانستان في زمن مجددي وحكمت يار وسياف ويونس خاص - لم يحقق دولة قوية ثابتة المبدإ والغاية، وتنوع الأطياف السياسية في لبنان أوقف عجلة النمو، وأدخل المجتمع في الصراع الدائم، أما نظرية القواسم المشتركة فهي نظرية فاشلة لا تقوى على البقاء في ظل الرئاسة، كما قال أحمد شوقي «أصدقاء السياسة أعداء بعد الرياسة»، وسيكون الشعب هو الضحية، وبهذا العصيان تعود الأمة من حيث بدأت، وترجع نظرية الإصلاح لتفرض نفسها على الواقع من جديد، بعيدًا عن الثورة والانقلاب والعصيان، وقد مر الإخوان بمرحلة التعريف والتكوين وإعداد القوة الشعبية، التي فيها التزلف والبيعة للأمراء والسلاطين والحكام (بشرط أو بغير شرط)، فقد بايعوا الرئيس مبارك أربع مرات، راجع في ذلك جريدة الشعب التي كان يصدرها حزب

العمل الاشتراكي، وهم الآن يستقبلون المرحلة الثانية التي تسقط فيها شرعية النظام، مرحلة العصيان المدنى.

قال عبد الله علوان: «وحين يصل المسلمون إلى مرحلة إيجاد القاعدة الشعبية، وتمتدّ حركتهم في الجموع الزاخرة من أبناء الأمّة الإسلامية، وتتخلل في الشعوب المؤمنة في كلِّ مكان تأتي مرحلة التنفيذ ولحظة الحسم» (العقبات. ٢/ ٣٦٨)، وقد أكد هذا المفهوم محمد عاكف بقوله: «إن جماعته لن تتوانى عن إعلان إضراب عام أو عصيان مدني في مصر ما دام «سيحقق العدل والإنصاف والحرية للشعب»» (إسلام أون لاين. نت/ ٨ - ٥ - ٢٠٠٥م)، والملاحظ في الفكر السياسي المعاصر أن الشعب المصري يمثل الميدان الأول في المنظومة السياسية للإخوان، أو قل: هو حصان طروادة الذي يستخدم لتحقيق تلك الغاية، أن تقوم فئة بالانقلاب والعصيان أولًا، ثم ينضوي تحتها الإخوان ثانيًا، أما أن يكونوا في الصدارة فلا؛ فإنهم لا يستطيعون تحمل تبعات الفشل، ولكنها لهم إذا انتصرت، وعلى غيرهم إذا فشلت،. وهذا بخلاف ما كان يدعو إليه سيد قطب، فقد كان يدعو إلى العزلة الشعورية عن الشعب، وعدم الاعتماد عليه في التغيير اكتفاء بتربية أفراد النظام.

❁ ❁ ❁

مظاهرة ٢٥ يناير ٢٠١١م وعلاقة الإخوان بها

وفيها أمور ينبغي الانتباه إليها باختصار:

١- لم يخرج الإخوان في مظاهرات ٢٥ يناير من أجل الشعب المصري، وإنما خرجوا من أجل إسقاط الدولة المصرية وتقديمها هدية لحركة حماس الإخوانية في

فلسطين، قال عصام العريان: «إن أكبر دعم يمكن أن تقدمه الشعوبُ العربية للشعب الفلسطيني ولحماس - هو أن تساهم في تغيير الأنظمة الحاكمة في الدول العربية» (المصري اليوم - ٤/ ٤/ ٢٠٠٦م).

٢- الإخوان في الثورة ليسوا حركة داعية إلى توحيد الله تعالى وإقامة شرعه - فقد تخلت حركة حماس الإخوانية في غزة عن إقامة الشرع -، وإنما هم حركة انتقامية، يستخدمون الشباب الثائر من أجل الانتقام من نظام ثورة يوليو بأكمله وتصفية الحسابات معهم، وجرائمهم في التاريخ تدل على أنهم لا يتحركون داخل المجتمعات الإسلامية إلا من أجل الانتقام، فقد قتلوا إمام اليمن يحيى بن حميد الدين على فراش المرض، وكذلك يريدون قتل كل خصومهم، والبصير بفكر الإخوان سيلحظ ذلك في الأيام المقبلة، فجميع الأيدلوجيات المخالفة لدين الإسلام لها في قلوب الإخوان محبة وصلح ومودة ومصالح مشتركة وصدورهم للعلمانيين والشيوعيين مفتوحة، حتى إسرائيل فلن يحاربوها، كما قال محمد عاكف، أما خصوم الإخوان فلا بد من التشنيع عليهم والانتقام منهم.

٣- الإخوان في مظاهرات ٢٥ يناير كانوا يلعبون على الحبلين، ويتفاوضون مع كلتا الطائفتين، كما كان يفعل اليهود من قبل، يجعلون لأنفسهم سربًا مع كل طائفة فلا يخسرون أبدًا، يتفاوضون والثوار مع الدولة لجني ثمار الثورة، وفي السر يتفاوضون ضد الثورة من أجل المصالح الخاصة بهم، وقد تقدم قول القيادي الإخواني هيثم أبو خليل: «أعضاء من مكتب الإرشاد عقدوا اجتماعًا سريًّا مع اللواء عمر سليمان خلال أحداث ثورة ٢٥ يناير».

وقال: «إن اللقاء الذي عقده سليمان مع أعضاء بمكتب الإرشاد هو غير

اللقاء المعلن الذي حضره الكثير من القوى الوطنية، وأشار إلى أنه جرى خلاله التفاوض من أجل إنهاء مشاركة «الإخوان» في الثورة مقابل التصريح للجماعة بإنشاء حزب وجمعية» اهـ.

٤- لم يكن الإخوان في أي معركة في الصفوف الأمامية، ولكنهم كانوا في الصفوف الخلفية، كما كانوا في ثورة يوليو، حتى لا تتعرض حركتهم للمواجهات غير المحسوبة، فإذا نجحت الثورة نسبوها لأنفسهم، وإذا فشلت قالوا: نحن أبرياء منها، ومن اشترك فيها فإنما يعبر عن رأيه الخاص، ولا يعبر عن الجماعة.

٥- الإخوان في حال الضعف يبايعون ويتزلفون، وفي حال الانقلاب تكفيريون إقصائيون، وإذا طالبوا بالأحزاب لغيرهم فذلك من باب «فرق تسد».

٦- الإخوان يتعاونون مع كل من يريد تغيير النظم، حتى ولو كانوا أمريكيين أو غربيين أو روافض، والغرب يقدمهم كبديل ديمقراطي سلمي للحركات الإسلامية الظاهرة المعادية لهم والأنظمة العربية المخالفة لخططهم، وانتظروا حتى يتضح دور تركيا كوسيط إخواني مع تلك الدول، ومعروف عن تركيا العلمانية الإخوانية حقيقة علاقاتها الإستراتيجية بالغرب وأمريكا وإسرائيل، ولا يخفى دور المخطط اليهودي «برنارد ليفى» في ميدان التحرير في مصر، واشتراكه بالدعم المادي والمعنوي لكافة الحركات المتآمرة في الدول العربية، وقد زار «ليفى» المركز العام للإخوان المسلمين في القاهرة والتقى عضو الإخوان سعد الدين الحسيني، وزار مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، وصوره على الإنترنت صريحة في بيان ذلك، قد ثبت في كتب الإخوان بشهادة الشيخ محمد الغزالي أن الإخوان المسلمين مخترقون من الهيئات الماسونية العالمية، وفيهم أفراد متنسبون إلى الماسونية كما تقدم بيانه.

٧- الإخوان كانوا في حركة (٦) أبريل الليبرالية العلمانية، وسافر أبناؤهم معهم إلى دول غربية للتدريب على أسلوب المؤامرات والانقلابات والثورات، وكما قال عصام العريان أنهم شاركوا في تأسيس صفحة ثورية على الفيس بوك مع الشاب الماسوني وائل غنيم، الذي يدعي الإخوان أنه كان عضوًا منهم، وهو صاحب العلاقات المعروفة بالموساد الإسرائيلي وأجهزة المخابرات العالمية الإنجليزية والأمريكية برعاية محمد البرادعي الذراع الأمريكي الليبرالي في الدول العربية، وكان المسئول الإخواني عن تلك الصفحة على «الفيس بوك» هو عبد الرحمن منصور، وكان وائل ومنصور يهيجان المجتمع بالتعاون مع البرادعي لصالح شاب اسمه خالد سعيد شهد أهله وأقاربه قبل الثورة وبعدها أنه كان مدمنًا للمخدرات والبانجو، وتبين في نهاية الأمر أن وائل غنيم ليس مسئولًا عن الصفحة بل المسئول هو عبد الرحمن المنصور الإخوانى.

٨- وللإخوان أيضًا علاقة باللقاءات الخارجية مع المنظمات الماسونية والعلمانية عن طريق المستشار محمود الخضيري، وهو رئيس الجمعية الوطنية للتغيير الذي اشترك في تكوينها جمع من الإخوان مع طائفة من العلمانيين - وهو أحد أذرعة البرادعى في تلك اللقاءات التي كانت تدبر للانقلابات والثورات وإثارة الرأي العام في المجتمع المصري، وله علاقة بعميل السي أي إيه الأمريكي الهارب من مصر العقيد عمر عفيفي سليمان الذي كان يدير مؤامرت ميدان التحرير من مركز المخابرات العالمى في أمريكا.

٩- للإخوان دور كبير في انتهاك إيران للسيادة المصرية بما لها علاقة قوية معها، وهي تعمل على تفتيت العالم الإسلامي، والإخوان لا يرون غضاضة من

انتشار التشيع في العالم العربي عن طريق إيران كما بين عاكف في تصريحاته لجريدة النهار الكويتية، وبغض إيران لمصر واضح بسبب دورها القومي في حماية الدول العربية ضد مؤامرات الشيعة في الخليج العربي والمملكة، وقد نفذت إيران أجندتها الثورية الانقلابية في ميدان التحرير وفي حرق سيارات الشرطة المصرية وسرقتها وحرق السجون ومراكز الشرطة، وذلك عن طريق حركتي حماس وحزب الله بالتعاون مع الإخوان المسلمين في مصر.

١٠- كان للخيم المنصوبة في ميدان التحرير دور كبير في تستر الإخوان بتلك الثورة، وقد اجتمع عدد كبير منهم بزي القوات المسلحة مع العميل القطري الإخواني أحمد منصور؛ ليخدعوا الناس بمظهرهم، وليثبتوا قوة التنظيم السري داخل الجماعة، فكل فعل يفعلونه إنما هو إثبات للوجود ونفي للعدم؛ نحن هنا.

١١- الإخوان بعد الثورة يتظاهرون للعامة بعدم رغبتهم في الحكم في أول الأمر، حتى لا يتحملوا مسئولية الفشل المرتقب في الدولة عقب الثورة، وإنما ينتظرون حتى تتجاوز الدولة عثراتها، وهم مختفون في تنفيذ مخططاتهم في الوصول إلى سدة الحكم، دون أن يشعر بهم أحد، فإذا تجاوزت الدولة عثراتها ظهروا.

قال عبد المنعم أبو الفتوح: «ليس في صالح مصر أن يصل الإخوان في هذه المرحلة إلى السلطة، لكنني أدرك أيضًا أن القدرة على الوصول إلى كرسي الحكم ليست المعيار الوحيد لصلاحية الفكرة، ولكن هناك معيارًا آخر حاسمًا يتمثل في مدى قدرتك على قيادة البلاد والخروج بها من أزمتها وتحقيق مصلحة هذا الشعب في مثل تلك الظروف والمعطيات الإقليمية والدولية، وأزعم أن الإخوان لن يتمكنوا من تحقيق كل هذه الأهداف إن هم وصلوا للسلطة في هذا التوقيت»

(إسلام أون لاين. نت. عبد الرحيم على - ١٧/ ٤/ ٢٠٠٥م).

وقد تفرق الإخوان عن رفقائهم الثوريين في الميدان.. من كان منهم ومن كان من غيرهم، وانقسموا انقسامات كثيرة، وأظهروا مطالبهم الفئوية، وظهر الصراع على أشده بينهم وبين الوطنية للتغيير وحركة ٦ إبريل وشباب الثورة، وبدأت الشكوك تظهر فيما يعلنه الإخوان وما يبطنونه، وتبرأ الإخوان من أمور كثيرة متعلقة بالشرع، واندثر شعار الإسلام هو الحل، واقتربوا من الجيش وتمسحوا برئيس الوزراء، وأظهروا أنفسهم بجوار كل مسئول ليأكلوا الكعكة التي حرموا منها زمنًا طويلًا، وأنشئوا حزبًا باسم الحرية والعدالة، واتخذوا له نائبًا نصرانيًّا، وانشق عنهم الدكتور محمد حبيب، وشرع في تكوين حزب خاص به، ومن قبله انشق الدكتور الزعفراني الإسكندراني، وشرع في تكوين حزب خاص به، وطرد عبد المنعم أبو الفتوح وكثير من القيادات من الجماعة، وهكذا كل ما بنى على الباطل فمصيره إلى الزوال والاندثار.

١٢- لقد كان استخدام الإخوان لحركة حماس الإخوانية في انتهاك السيادة المصرية - من أخطر المؤامرات التي قام بها الإخوان على مصر في تلك الثورة، وقد نشرت مجموعة وثائق توضح حقيقة المؤامرة التي قامت بها إيران بالتضامن مع حزب الله وحركة حماس المعبرة عن فكر الإخوان المسلمين في فلسطين، نقلتها مجلة الرأي الكويتية عن صحيفة الأخبار، نشرت الجمعة ٤ فبراير ٢٠١١م، وفيها: كشفت صحيفة «الأخبار»: «أخطر مؤامرة أجنبية لضرب مصر، وتورط عناصر في حزب الله، وحركة حماس والحرس الثوري الإيراني في الأحداث التي تشهدها القاهرة حاليًا». وأعلنت الصحيفة أنها حصلت «على وثائق من خبيرة

مصرية متخصصة في الشئون الدولية تكشف مؤامرة معادية تحاك لإسقاط الدولة المصرية بكل عناصرها، عن طريق استغلال التظاهرات العفوية لشباب مصر المطالبة بإصلاحات مشروعة»، وأوضحت أن «ما لديها من وثائق جاء فيها أن وحدة الكوماندوس المختارة التابعة لحزب الله دخلت مصر عن طريق السودان، بعد تظاهرات الثلاثاء في ٢٥ يناير الماضي، وبدأت بالتنسيق مع عناصر من حماس وبعض نشطاء حقوق الإنسان المصريين في وضع خطط لاقتحام السجون وتهريب عناصر تابعة لحماس وحزب الله وهو ما حدث بالفعل، حيث نجحت في اقتحام سجن وادي النطرون، وحررت عناصر كانت معتقلة بتهمة التخطيط لأعمال إرهابية في سيناء، وتم تهريب بعض العناصر إلى غزة عن طريق أنفاق رفح».

وأشارت الوثائق الى أن «قادة المؤامرة وضعوا (٣) أهداف تكتيكية للعصيان المدني وأحداث الفوضى في مصر: الاستيلاء على المباني الحكومية المهمة، ومحاولة ضم الشرطة والجيش لصفوف الشعب وحماية الإخوة والأخوات الثوار، ووضعوا ٥ خطوات لتنفيذ ذلك تبدأ بالتجمهر مع الأصدقاء في الشوارع البعيدة عن قوات الأمن والهتاف بهتافات إيجابية باسم مصر وحرية الشعب، والعمل في شكل إيجابي على تشجيع السكان على الخروج، والتظاهر في الشوارع الرئيسة، ثم الاتجاه نحو المباني الحكومية».

ولتحقيق ذلك - حسب الوثائق - «أرفقوا رسمًا كروكيًّا يوضح كيفية التجمع وخط السير، وصورًا بالأقمار الاصطناعية توضح الطريق إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون على كورنيش النيل وطرق محاصرته؛ تمهيدًا للاستيلاء عليه والسيطرة على البث المباشر، وإعلان مفوض عن الشعب لسيطرة (أهل البلد)

على التلفزيون المصري وتحريره مما أسموه الديكتاتورية المستبدة».

وأضافت الصحيفة «إن المتآمرين حددوا المكان الثاني المطلوب السيطرة عليه، وهو مقر الحكم في مصر الجديدة، وأرفقوا صورًا توضح كيفية الوصول إليه، كذلك حددوا بقية أهدافهم في المحافظات وهي الاستيلاء على مقارها».

وتضمنت الوثائق خطة المواجهة مع الأمن، والتي تتضمن ملابس خاصة للحماية من قنابل الغاز، واصطحاب شنطة الإسعافات الأولية بها خل وليمون ومشروبات غازية لغسل الوجه بها وعبوات الدوكو لرش سيارات الشرطة بها.

وأضافت «الأخبار» أنها «حصلت على معلومات وتقارير عن تسلل وحدات خاصة من كتائب القسام التابعة لحركة حماس عن طريق الأنفاق إلى رفح المصرية، ومن ثم الشيخ زويد لمهاجمة مراكز الأمن المصرية، وأن البدو استخدموا سيارات الدفع الرباعي لنقل الأسلحة التي أدخلتها عناصر حماس عبر الأنفاق وهي أسلحة متوسطة، وقذائف وعبوات متفجرة محلية الصنع»، وأشارت «إلى وجود دور إيراني في أعمال التخريب يتمثل في وجود عناصر من فيلق القدس التابع للحرس الثوري، دخلت مصر أخيرًا عن طريق صاحب قناة فضائية تعمل في مصر كغطاء لعمل استخباري» اهـ.

قال اللواء عدلي فايد: «وفي حدود الساعة السادسة مساءً بدأت الجموع تتجه إلى وزارة الداخلية لاقتحامها، وفي نفس الوقت هوجم العديد من مراكز وأقسام الشرطة في مختلف أنحاء الجمهورية، ومنهم من كان يحمل قنابل مولوتوف وأسلحة نارية، وبدأت عملية ترويع لضباط الشرطة، وحرق العديد من الأقسام والمراكز تعددت (١٠٠) قسم، وحاولوا اقتحام مبنى الوزارة إلا أن القوات

المعينة للتأمين تصدت لهم باستخدام الغازات المسيلة للدموع، إلا أنهم أصروا على اقتحام المبنى بإطلاق الأعيرة النارية تجاه القوات التي بادلتهم ذلك، واستمر ذلك ثلاثة أيام متتالية لمحاولة الاقتحام، ونتج عن ذلك بعض الإصابات والوفيات بالمتظاهرين والقوات، وفجر ٢٩ يناير بدأت مهاجمة السجون المختلفة من قبل أهالي المساجين مستخدمين في ذلك الأسلحة النارية واللودر، لكسر أسوار السجون واقتحامها وحرقها وإتلافها، واستشهد في ذلك ضباط وجنود» (المصري اليوم - ٢٢/ ٤/ ٢٠١١م).

وقد أكد اللواء محسن الفنجري «عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة» أن اقتحام سجون بعينها لإخراج أفراد متهمين بالتخابر ضد مصر - يدل على وجود مخطط يستهدف تدمير مصر بالكلية: «إن عمليات اقتحام أقسام الشرطة وحرقها، ومهاجمة السجون لإخراج بعض العناصر بعينها خاصة المضبوطة في قضايا تخابر ضد مصر وتهريب المساجين بالقوة في وقت واحد - لم تكن سوى خطط تخريبية وضعتها جهات أجنبية ونفذتها برجالها، بمساعدة بعض المصريين...» اهـ.

لا شك أن الخطط كبيرة والمستفيدين كثر، والخصومات مع مصر من قبل عناصر من حزب الله الشيعي اللبناني وكذلك حركة حماس الإخوانية وما تريد أن تحققه إيران من فوضى عارمة في الأوساط السنية - كل ذلك تواطأ على التعاون والعمل في هذا المشروع التخريبي الواسع، فحزب الله اللبناني يريد إخراج المعتقلين المتورطين في قضايا تخريبية في مصر، وكذلك حركة حماس الإخوانية أيضًا لها ذراع طويل في اقتحام السجون المصرية لإخراج معتقليها ونقلهم إلى غزة

في ساعات قليلة من خلال عربات الشرطة المصرية التي سرقوا منها ما يزيد على تسعين عربة شرطة، وقد أعادوها إلى مصر بعد انتهاء الثورة، فحماس هي ذراع الإخوان العسكرى الذي استخدموه في مصر بالتعاون مع التنظيم السري لإسقاط النظام وإشاعة الفوضى أثناء الثورة، فالغاية مشتركة، هذا هو الذي أشار إليه عصام العريان في ٢٠٠٦م عندما قال: «إن أكبر دعم يمكن أن تقدمه الشعوب العربية للشعب الفلسطيني ولحماس - هو أن تساهم في تغيير الأنظمة الحاكمة في الدول العربية» (المصري اليوم - ٤/ ٤/ ٢٠٠٦م).

وارجع إلى تلك القصة كاملة في «المصري اليوم» في تحقيق استقصائي: هروب عناصر «حماس» و«حزب الله» من سجن المرج.. أجراه هشام علام وأحمد رجب ٢/ ٥/ ٢٠١١م.

وهذه أجزاء منه تثبتها التقارير ولجنة تقصي الحقائق والشهود؛ لترد على الإخواني محمد سليم العوا الذي يكذب بما لم يحط بعلمه:

«وعلى الفور شرع ثلاثتهم - حسن المناخلي ورفقاؤه - في تحطيم باب الزنزانة مستغلين طفايات الحريق وقوائم الأسرة، وفي غضون دقائق كان جميع نزلاء عنبر «التجربة» في سجن المرج العمومي قد وصلوا إلى البهو الرئيس مرددين بصوت عال: «الله أكبر.. الله أكبر»، ظن المساجين في العنابر المجاورة أنه احتفال بالحرية الوشيكة إلا أن أعضاء هذا العنبر فقط كانوا يعرفون مغزى هذا الهتاف، إنه كلمة السر المتفق عليها.

في مكان ثان، في الوقت نفسه.. وفي أحد ثمانية أبراج للمراقبة تحيط السجن المقام على ١٠٠ فدان، وقف المجند «محمد» ضاغطًا زناد بندقيته، يلف وجهه

بمنديل مبلل بالمياه محتميًا به من دخان أسود خانق يهاجمه من خارج السجن، مجهولون أضرموا النار في كميات كبيرة من قش الأرز وإطارات السيارات خارج الأسوار متخذين من أعمدة الدخان ستارًا يطلقون من ورائه الرصاص بشكل عشوائى على أبراج المراقبة.

وبرؤية نصف ضبابية كان محمد ينتفض ذعرًا كلما استمع لطلقة رصاص تئز بجوار أذنه، فتشتد سبابته على الزناد، مفرغًا خزان ذخيرته واحداً تلو الآخر في قلب الضباب المحيط به.

في مكان ثالث، وفي التوقيت ذاته، كان النقيب سيد عبد الكريم يضع سماعة الهاتف منفعلًا بعدما أخبره ضابط الاتصال في الإدارة العامة للسجون بصعوبة إرسال الإمدادات والذخيرة المطلوبة لحماية السجن.

هذه هي مشاهد هروب ٥٠٤ سجناء يوم الأحد ٣٠ يناير من سجن المرج، وفق مدير العلاقات العامة لمصلحة السجون، والذي ظل لغزًا عصيًا على الفهم فيما كان تدبيرًا محكمًا لتهريب المساجين، لا سيما السياسيين منهم حسب النتائج التي توصل إليها هذا التحقيق الذي دام ستة أسابيع، إذ استغل أهالي المسجونين انشغال الأمن المصري بأحداث الثورة وهاجموا السجن لإطلاق سراح ذويهم، واستغل المسجونون السياسيون الفرصة ذاتها للاتصال بمنظماتهم لتدبير الهروب، ليس فقط من السجن بل من مصر كلها، وهذا هو مربط الفرس الذي أثار لغطًا طويلًا وسط اتهامات للشرطة بفتح السجون لإثارة الذعر بين المواطنين لإحباط الثورة، واتهامات لحركتي حماس وحزب الله بانتهاز الفرصة لإطلاق سراح أعضائهما المدانين بأحكام قضائية، ويقضون عقوباتهم في السجون

المصرية.

ضم سجن المرج خلف أبوابه مجموعة من أهم المساجين السياسيين، على رأسهم محمد يوسف منصور الملقب بـ «سامي شهاب» المتهم الأول في القضية التي عرفت إعلاميًّا بخلية حزب الله الإرهابية، بالإضافة إلى ٢٥ متهمًا، إلا أن المثير هو تمكن شهاب من الوصول إلى بيروت في غضون ٤ أيام من هروبه.

كما ضم السجن أيمن نوفل - القيادي بكتائب عز الدين القسام «الجناح العسكري لحركة حماس» - الذي أدلى بحديث إعلامي من غزة عقب هروبه من سجن المرج بأربع ساعات تقريبًا، مما يشير إلى أن الجاهزية العالية لحماس وحزب الله مكنتهما -دون اتفاق مشترك - من الاستعانة بأفراد مسلحين تسليحا جيدًا داخل مصر لإطلاق سراحهم ونقل كل منهم إلى بلده. قال لنا أحد السجناء الجنائيين الذين رفضوا الهرب ويدعى طارق قطب، شاهد عملية تهريب نوفل عن قرب: «كان أغلبهم دون الثلاثين، لغتهم قريبة من لغة البدو، ملتحين، يضعون الشال الفلسطينى على أكتافهم، بعضهم ملثمون، اقتحموا العنبر، واصطحبوا أيمن نوفل وزميله محمد هشام إلى سيارة إسعاف كانت تنتظرهم أمام ملعب كرة القدم فيما تفرغ الآخرون لفتح باقي العنابر، كانوا يجبروننا على الخروج من السجن، ويهددون بضرب من يمتنع بالنار».

وجاءت رواية سجين آخر يدعى إبراهيم حمودة، لتضيف جديدًا: «سمعت المساجين في المحابس المجاورة يطمئنوننا، يقولون: إن عناصر حركة حماس سوف يأتون ليخلصوهم بعد نصف ساعة وبعد نصف ساعة بالضبط تم اقتحام العنبر، وكانت زنزانة أيمن نوفل ومحمد هشام هي ثاني زنزانة تُفتح، وسمعت أحدهم

يصطحبهم للخارج ويجري مكالمة ويقول: «إحنا جبرنا.. وأخذنا السلاح»، وقاموا بالفعل بتجميع الأسلحة التي خلفها الضباط والعساكر الذين فروا بعدما نفدت ذخيرتهم..» اهـ.

لا يخفى أن جماعة الإخوان في ذلك تعبر عن ممارسات إجرامية قديمة مماثلة مع الملك فاروق من أجل نشر الرعب وإثارة الفوضى في المجتمع المصري، منها: إلقاء القنابل في جميع أقسام الشرطة في وقت واحد، كما شهد محمود الصباغ وهو يعدد جرائم النظام الخاص في زمن الملك فاروق، وهى: «تفجير قنابل في جميع أقسام القاهرة في يوم ٣/ ١٢/ ١٩٤٦م بعد العاشرة مساء، وقد روعي أن تكون القنابل صوتية بقصد التظاهر المسلح فقط، دون أن يترتب على انفجارها خسائر في الأرواح، وقد بلغت دقة العملية أنها تمت بعد العاشرة مساء، في جميع أقسام البوليس، ومنها بوليس الموسكي والجمالية والأزبكية ومصر القديمة ونقطة بوليس السلخانة، ولم يضبط الفاعل في أي من هذه الحوادث! ثم توالى إلقاء القنابل على أقسام بوليس عابدين والخليفة ومركز إمبابة» (التنظيم الخاص - ص: ٢٧٨).

وقال: «وقد كان إلقاء القنابل في المظاهرات أمرًا عاديًّا، كما حدث في مظاهرة طلبة المدرسة الخديوية حيث ألقى الأخوان سيد بدر ولطفي فتح الله قنابل» (التنظيم الخاص ودوره - ص: ٢٧٥).

أما تدبير المظاهرات في جميع البلدان في وقت واحد إثباتًا للوجود وهزًّا لمكانة الدولة وإثارة للفوضى فحدث ولا حرج، كما بين محمود عبد الحليم في وصف مظاهرات الإخوان أيام الملك فاروق بقوله: «وقامت هذه المظاهرات، وكان

قيامها في يوم واحد، وبهتافات واحدة في جميع أنحاء البلاد - دليلًا على قوة الدعوة، وهزًّا لمكانة الحكومة» (أحداث التاريخ - ١/ ١٩٥).



الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فالآن وبعد أن تغيرت الدولة وتغيرت الرموز والأشخاص، وامتحن كثير من الناس في تلك المحنة، فثبت من ثبت، وتلون من تلون، فهل تستطيع مصر أن تعبر تلك المحنة؟ هل تستطيع أن ترجع إلى مصادرها الأولى وقواعدها الإسلامية الثابتة: الكتاب والسنة وآثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ هل تستطيع أن تقدم نموذجًا للأصالة والكرامة والمروءة؟ هل تستطيع أن تبني معادن العز والشرف؟ هل تستطيع أن تساير العالم في التقدم العلمي والتكنولوجي؟ هل تستطيع أن تبني مجتمعًا مترابطًا متماسكًا؟ هل تستطيع أن تقدم مشروعًا تنمويًّا قويًّا يصمد أمام الهجمات الغربية واليهودية والأمريكية؟ لا أريد أن أرسم صورة قاتمة لما تستقبله مصر في الأيام المقبلة، ولكنها كما هي بادية للعيان خطيرة جدًّا؛ فكثير من الفئات السياسية في الشعب المصري قد تفننت في وصف الماضي، وكثير من العامة لا يحسنون إلا ذلك، غير أن العمل للمستقبل لا يستطيعه من تمرسوا على كثرة النواح، ولا يستطيع أن يعبر بمصر من تلك الأزمة إلا من كان ينهل من صديقية أبي بكر وقوة عمر ومروءة عثمان وزهد علي رضي الله عنهم أجمعين، وإلا فإن الفتنة لا تولد إلا الشر والفساد في الأرض، وهذا أمر قد ظهر للعيان فقد تفكك المجتمع، وظهرت فيه الطائفية، واتسع نطاق الإجرام.

قال ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد أكثر من الذي إزالته» وقيل: سمع

الحسن رجلًا يدعو على الحجاج، فقال: لا تفعل - رحمك الله -، إنكم من أنفسكم أتيتم، إنما نخاف إن عزل الحجاج أو مات: أن تليكم القردة والخنازير» اهـ وقد سمع عامة الشعب من الإخوان أنه يجوز تولية اليهود والنصارى والزنادقة، وأقوالهم في ذلك صارت متواترة معلومة، ولا يزال الليبراليون يزكون نار الفتنة على نفس النهج، نسأل الله تعالى أن يجنب بلادنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلها سخاء رخاء دار عدل وسائر بلاد المسلمين. اللهم آمين. وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

علي بن السيد الوصيفي



الفهرس




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


مَنْ هُمْ؟!
وَمَاذَا يُرِيدُونَ؟!
الإخوان المسلمون

دار الفرقان

